تاريخ قوريني

تأليف
د. يوحنا بطرس ثريغه

ترجمة
سليمان إبراهيم الجربي



مجلس الثقافة العام

تـاريـخ قـوريـنـي

تاريخ قوريني

تأليف

د. يوحنا بطرس ثريغه

ترجمه عن الإيطالية

سليمان إبراهيم الجربي

الناشر

مجلس الثقافة العام

اسم الكتاب	تاريخ قوريني
اسم المؤلف	د. يوحنا بطرس ثريغه
ترجمة	سليمان إبراهيم الجربي
سنة النشر	2006 م
رقم الإيداع	7234 2006 م
الترقيم الدولي	9959 - 38 - 148 - X
تصميم الغلاف	علي العباني
لوحة الغلاف	علي الفلاح
التنسيق الفني	عاطف الأطرش - نجلاء المنقوش

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات - سرت

هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161

فرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فرع بنغازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 - 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 - ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني - LCC2_2005@Yahoo.ca

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

تنفيذ الطباعة

القاهرة ت 0020123140315

كلمة المترجم

صدر هذا الكتاب باللغة اللاتينية عام 1828 بالدانمرك بعنوان "شئون قوريني من نشوء المدينة حتى الزمن الذي جعلها فيه الرومان ولاية لهم". مؤلفه هو الدكتور يوحنا بطرس ثريغه أستاذ التاريخ القديم بجامعة كوبنهاغن في ذلك الوقت.

عهدت وزارة إفريقيا الإيطالية، قبيل الحرب العالمية الثانية، إلى الأستاذ سيلفيو فري بإعادة طبع الكتاب وبترجمته على اللغة الإيطالية. فتم ذلك في عام 1940 وصدر الكتاب المترجم بعنوان مختصر هو" شئون قوريني " أو" تاريخ قوريني ". إلا أن المترجم حذف الفصول 2، 3، 4 و43 من الترجمة لأنها تدور حول مناقشة في فقه اللغة أصبحت غير ذات موضوع بعد مرور ما يزيد عن القرن على إيرادها. كما أهمل معظم الحواشي التي، رغم قيمتها، لا تهم القراء العاديين، في الوقت الذي هي فيه في متناول المتبحرين بالرجوع إلى الأصل اللاتيني إذا حرصوا عليها .

وكان المترجم " كما جاء في مقدمة الكتاب، يعتزم إصدار " ملحق لترجمته يضمنه ما جد من المعلومات عن قورينا، بصفة عامة وعن قوريني بصفة خاصة نتيجة للحفريات التي أجريت وللمستندات الحديثة التي برزت بين عام 1828 الذي صدر فيه الكتاب وعام 1940 الذي تمت فيه ترجمته وهي فترة طويلة تجاوزت القرن من الزمن .

وذكر الأستاذ فري في مقدمة الترجمة الإيطالية أن المواد التي اجتمعت له كانت من الوفرة بما جعلته يعدل عن إصدار الملحق ويفكر في أن يفرد كتابا قائما بذاته عوضا عنه " يرى النور، في شيء من التأخير بالضرورة بالنسبة للأصل اللاتيني والترجمة الإيطالية لتاريخ قوريني ". ولكن يبدو أن الظروف – ظروف الحرب العالمية الثانية في الغالب – لم تمكنه من أن يحقق أمله وينجز ما وعد. ذلك أنني

بحثت بعد الحرب في إيطاليا سواء في المكتبات العامة أو لدى من أعرفهم من المهتمين بالموضوع ولدى الأوساط الثقافية في الإدارة الإيطالية فلم أظفر بما ينبيء بصدور الكتاب الموعود.

يضم كتاب " تاريخ قوريني " بين دفتيه مجموعة كبيرة مما توفر من الأخبار عن قوريني لا غنى عنها لمن أراد أن يطلع على مجرى الأحداث التي أدت على نشوء هذه المستوطنة الإغريقية وإلى قيام أخواتها المدن الأربع الأخرى بقورينايا وأن يلم بأوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية والفنية وغير ذلك من وجوه حياتها طوال القرون العديدة التي عاشتها إلى أن آل الحكم فيها إلى الرومان .

الواقع أن الدكتور ثريغه لم يترك شاردة ولا واردة مما كتبه الأولون عن قورينايا وقوريني إلا ودوّنها وقارنها وحققها وخلص منها إلى رأي. مرجعه الرئيس هردوت مما أورده أبو التاريخ في الكتاب الرابع من مؤلفه الشهير " التواريخ "، ثم الأدباء والمؤرخون الإغريق والرومان والعرب وغيرهم ممن سترد أسماؤهم وأقوالهم في شتى أجزاء الكتاب .

كتب الأستاذ فرانسوا شامو في الفصل الثالث من كتابه " قوريني تحت حكم أسرة باطوس " في سياق إيراد المراجع العامة لمؤلفه، يقول ما ترجمته :

" إن الكتاب الشامل الوحيد، الدقيق المسهب في معلوماته يرجع إلى أكثر من قرن مضى: ألا وهو مؤلف ج.ب. ثريغه (شئون قوريني منذ نشوء المدينة حتى الزمن الذي جعلها فيه الرومان ولاية لهم) المطبوع في كوبنهاغن عام 1828 باللغة اللاتينية. ولقد قدم العالم الدانمركي فيه مقتطفات وافية عن المصادر الأدبية القديمة التي لا غنى عنها. وسأرجع إلى هذه الطبعة كلما اقتضى الأمر ذلك " .

أما بعد. فإني أقدّم الترجمة العربية " لتاريخ قوريني " وقد مرت مائة وأربع وخمسون سنة على صدور الأصل باللغة اللاتينية واثنان وأربعون سنة على صدور ترجمته إلى اللغة الإيطالية. ولرب سائل يسأل: هل ما زالت فائدة تذكر في كتاب قد مرت عليه هذه السنون الطويلة ولا يسجل الجديد في موضوعه ؟ .. صحيح أن خلال

هذه الحقبة المديدة قد تقدم علم التنقيب عن الآثار وتعاقبت على أطلال قوريني وغيرها من مدن البنطابوليس بعثات علمية عديدة سجلت حقائق جديدة وأن الدراسات التاريخية قد أبرزت قرائن وأدلة ألقت نورًا جديدًا على أحداث قوريني وقورينايا وعلى مراحل تطورها. كل هذا صحيح ويزكيه الأستاذ فري إذ أدرك أن الكتاب على ما هو لا يعكس تاريخ المستوطنة الإغريقية تماما ويقصر عما استجد من أخبار عنها .

ولكن عامل الزمن لا يقلل - في رأيي المتواضع - من قيمة كتاب " تاريخ قوريني " من حيث إنه جامع لكل ما أورده الأقدمون والمحدثون من أخبار عن قوريني حتى عام 1828. فهو الأساس الثابت في موضوعه ولا مناص من أن يرجع إليه أولا كل من يطلب الأخبار الإضافية المستجدة .

وانطلاقًا من هذا الرأي أقدمت على ترجمة " تاريخ قوريني " وأملي وطيد أن يكون إنجازي ذا فائدة حقيقية سواء للباحث أو لطالب التثقف في تاريخ جزء من بلادنا العزيزة السابق لتاريخ العصر العربي الإسلامي.

والله الموفق

سليمان إبراهيم الجربي

مقدمة

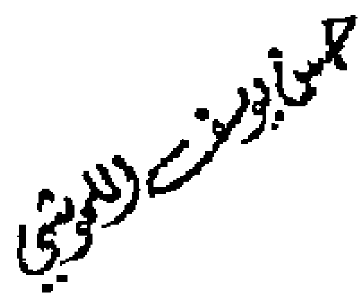
يتبوأ الإغريق بين الشعوب القديمة كما يعلم الجميع المكانة العليا في العلوم والآداب. ولا شك في أنه لم يكن هناك أي شعب آخر انتشر انتشارا واسعا مثلهم في العالم المعروف إذ ذاك. ولا نرى حاجة لأن نتوسع هنا في شرح مدى أثر هذا الأمر في تنمية مداركهم بشتى الطرق وفي تمدين الأمم المنعوته بالبربر [1]. ومن المؤكد أنه لم تكن هناك أرض أو شواطيء معروفة في ذلك الزمن إلا وحل بها هذا الشعب الدؤوب إذا لم يسبق إليها شعب آخر. ولا يخفى على الجميع مدى انتشار المستوطنات الإغريقية على طول شواطئ آسيا الصغرى وشواطئ البحر الأسود وتركيا ومكادونيا ناهيك بشواطئ بلاد الإغريق الكبرى [2] وصقلية وسردينيا وكورسيكا وبلاد الغال وإسبانيا. وإذا كانت هذه الظاهرة قد أسهمت في تنمية ثقافة الإغريق أنفسهم من جهة فإنها دفعت من جهة أخرى بالشعوب التي كنيت بالبربر إلى مزيد من الحضارة والثقافة.

أسست قوريني في المنطقة الإفريقية المسماة الآن بهضبة برقة كما لو أريد بذلك التدليل على أن القارة الثالثة ما كان لها أن تحرم من فوائد الحضارة. أسست بأرض خصبة ذات مناخ عذب وصحي كما أسست إلى جانبها مدن أخرى غنية وواسعة، نما رخاؤها بعد ذلك في يسر نتيجة لنشاط سكانها وذكائهم الطبيعيين .

ولا غرابة أن استطاعت قوريني، إذ كانت تتمتع بظروف الرخاء هذه وبموقع جغرافي لا يبعد كثيرا عن قرطاجنة وعن الواحات الداخلية وعن مصر، أن تبلغ سلطانا وبأسا لم تكن لتحلم ببلوغهما جيرة ثيرا [3] المسماة الآن سانتورينو والتي جاء منها سكانها. وبذلك كانت قوريني، بعد قرطاجنة وقبل إنشاء مدينة الإسكندرية، ثاني المدن التي تقام على الساحل الإفريقي. ومن اليقين أنه ما كان للإغريق أن يجدوا مقرا أكثر ملاءمة لإنشاء مستوطنة لهم فيه. ورغما عن أن هذه المستوطنة لم تتورط بحكم وجودها عبر البحر في الحروب والخلافات الداخلية التي

كانت تنشب في المدن الإغريقية الأخرى، فإنها كانت على صلة، بشكل أو آخر، بالوطن الأم. ثم رغما عن أنها كانت معرضة لغارات عدائية في أوقات متقاربة، يمكن القول بأن البربر لم يتمكنوا قط من الاستيلاء عليها استيلاء كاملا وأنها ظلت تتمتع ببعض الحرية الباقية عندما وقعت أخواتها المدن الإغريقية الأخرى تحت نير الاستعباد. وكذلك أثبتت لنا أن الإغريق ظلوا إغريقًا حتى لما احتل السكّان الأصليون أراضي قوريني، فاحتفظوا بعبادة أربابهم وبعاداتهم ومزاجهم وحبهم لوطنهم وشغفهم بالفنون وحتى بنقاء جنسهم. والواقع أن قوريني لم تحذ في الثقافة والأناقة حذو آثينا الشهيرة بفنونها وآدابها فحسب، بل نافستها أيضا في الأعمال والتجارة. ومن ذلك نشأ الغنى والترف اللذان تشهد بهما اليوم المباني والأعمال العمرانية الباقية. وقد أحسن سونزيوس عندما قال: " قوريني اسم قديم مسجل ذكره الكتاب القدماء ألف مرة ".

الفقرات الثانية والثالثة والرابعة
من الأصل اللاتيني محذوفة في الترجمة الإيطالية
التي تمت هذه الترجمة العربية عنها



هوامش المقدمة

(1) كلمة " بربر " مأخذوة عن كلمة " فارفاروس " الإغريقية وكان الإغريق يطلقونها على من لا يتكلم باليونانية أي على من يرطن بالأعجمية، كما يقول العرب .

(2) بلاد الإغريق الكبرى هي مجموع المستوطنات التي أنشأها الإغريق في جنوب "إيطاليا" باللاتينية MAGNA GRAECIA .

(3) ثيرا THERA واسمها الحديث سانتورينو SANTORINO جزيرة صغيرة بركانية في بحر إيجه تقع على مسافة 110 كيلومترات شمال جزيرة كريت. وهي الوطن الأم لمستوطنة قوريني كما سيأتي الكلام. أصيبت في عام 1470 قبل المسيح تقريبا بانفجار بركاني غاية في العنف قسمها إلى شطرين وذهب بعضهم إلى أنها القارة المفقودة " الاطلنطيه " التي ذكرها أفلاطون نقلا عن صولون المشرع الذي سمع قصة الانفجار في مصر. وقد غاص معظم مساحة الجزيرة البالغة 80 ألف كيلومتر مربع نتيجة للانفجار فلم يبق طافيا الآن منها إلا قمم جبالها التي كانت على ارتفاع 1500 متر عن سطح البحر. وجاء أخيرا (أغسطس 1981) في جريدة الكوريري دللا سيرا الإيطالية أن الدكتور هانس غوديكه مدير معهد الشرق الأدنى في جامعة جون هوبكنس الأمريكية قد فسر ما جاء في التوراة عن غرق فرعون وجنوده أثناء محاولتهم عبور البحر الأحمر وملاحقة اليهود الفارين بأن انفجار بركان جزيرة ثيرا الكاسح أدى إلى انشقاق البحر فمكن اليهود من الهرب ثم إلى انطباقه على فرعون وجنوده وغرقهم .

- 5 -

جغرافية قوريني

كانت قوريني تقع في ناحية إفريقيا التي كان الأقدمون يطلقون عليها اسم قوريـنايا مشتقين الكلمة من اسم المدينة، التي عرفها العرب والجغرافيون المحدثون باسم برقه وتؤلف اليوم (1827) الناحية الشرقية من ولاية طرابلس أي ولايتي بنغازي ودرنه . وكثيرا ما كان يسميها الأقدمون – المتأخرون منهم على الأقل – بنطابوليس اشتقاقا من عدد المدن الخمس التي كانت توجد فيها - .

كان الليبيون يسكنون في وقت ما القسم الأكبر من المنطقة المسماة اليوم برقة ولم يحتل الإغريق منها إلا الناحية الساحلية التي تؤلف الضلع الشرقي من سرت الكبرى . وكانت حدود المنطقة متباينة وغير محددة نظرا لأن الليبيين المتاخمين لها كانوا رحلا، هذا إلى أن اتسعت رقعة الإمبراطورية القرطاجينية شرقا مما أدى إلى احتمال تقلصها . نحتفظ بالتحدث عنها في مكان أنسب، ولكننا مع هذا نقول أن حدود قوريـنايا كانت الحدود التي خطتها الطبيعة أي سرت الكبرى والصحراء غربا وجنوبا ومعابر كاتابتمو [1] الحصينة شرقا والساحل شمالا . وهذا الساحل ذو طبيعة صخرية على امتداده كله تقريبا باستثناء بعض مرافئ تجارية منيعة ضد ما كان يمكن أن يحدث من إغارات .

- 6 -

جغرافية قوريني - استطراد

قد نستغرب من أن قوريني قد بلغت شأوا زراعيا زاهرا في منطقة يصفها بعض المعاصرين بأنها غير مأهولة وشحيحة بالماء والزرع لولا أننا متيقنون من أن هؤلاء الكتّاب قد وسعوا صورة الصحراء الجنوبية حتى شملت المنطقة المحدودة والخصبة جدا التي سكنها الإغريق، أو أنهم لم يعرفوا طبيعة المنطقة ومناخها معرفة جيدة كما هي معروفة الآن . والواقع أن الشهود الموثوق بهم يؤكدون بأن هذه المنطقة – ولو أنها اليوم ليست مزدهرة كما كانت قديما – خصبة جدا لولا افتقارها إلى مزارعين أذكياء.

لم تهب الطبيعة إلا مناطق قليلة بالمزايا التي جعلت قورينايا غنية . وهذه المزايا تظهر إلى العيان بصورة بارزة لأن الصحراء تحيط بها من كل جانب . فمن المعلوم أن هردوت يقسّم إفريقيا إلى ثلاثة أقسام : الصحراء وأرض السباع والأرض المأهولة بالسكان . وتقع برقة في القسم الثالث وتعتبر لهذا الأمر نفسه منطقة من أخصب مناطق إفريقيا . والواقع أن جميع من رادوها يجمعون على الإشادة بجمالها وخصبها .

وتجتاز سلاسل من الجبال المتواصلة المنطقة من الغرب في اتجاه الشمال والشرق ويسمي بطليموس [2] الغربية منها " هضاب هرقل " والشرقية " جبال فلبا " وتبتعد عن البحر درجتين أي خمسة وعشرين ميلا جغرافيا . وتتفرع من السلسلة الرئيسية ذراعان لعل أطولهما الذراع التي تمتد حتى الرأس الشمالي المسمى قديما " فيكونته " واليوم رأس سام ويبعد من " تيتارو " [3] البولويوينز 2800 ستاد (الستاد الجغرافي 177 مترا تقريبا) . وتتألف هذه الجبال في غالبيتها من حجر جيري صلب جدا يشبه الرخام وتكثر فيه الكهوف وليس من النادر أن يكون بعضها مزدان بالنوازل (الستالقتيت) [4] . إن هذه الجبال لا تتصل بسلسلة جبال إفريقيا الغربية ولكنها تبلغ ارتفاعا شاهقا وتتخللها الأودية المكسوة بالأعشاب وينقص ارتفاعها في

الناحية الشرقية ويهبط برفق نحو البحر أي نحو الشمال وهكذا تؤلف منطقة منحدرة هي التي استقر فيها الإغريق . وتكون في بادئ الأمر هضبات مكسوة بالنباتات تعقبها حقول ووديان خصبة جدا تنمو فيها الأشجار المثمرة وتنبسط المراعي الغنية . وتروي الأرض الخصبة فتزيدها خصبا سواق وعيون كثيرة تنساب مياهها من الجبال. وتتعاقب بقرب الساحل الهضاب الجيرية على الأراضي الرملية وتتخللها هنا أيضا المروج الجميلة . وتهب على المرتفع بأسره رياح الشمال فتبرده وتدفع الجبال عنه رياح الجنوب فيصبح المناخ لطيفا معتدل الحرارة وتعتبر أرضه من أخصب الأراضي لولا أنه ينقصها أي نوع من أنواع الفلاحة .

ويتفق هذا الوصف الذي يورده الرواد المعاصرون مع المعلومات التي تناقلها الأقدمون الذين أجمعوا على الإطناب في خصب قورينايا . وينفرد هردوت في وصفعها وصفًا دقيقًا كاملاً، فيقول إنّ قورينايا التي تتألف من نجد أعظم خصبا من الأراضي المجاورة له . وينقسم إلى ثلاثة أقسام تختلف عن بعضها طبيعة ومناخا، المنطقة المرتفعة إلى الجنوب تليها هضاب ثم سهول على الساحل . ينضج العنب والزرع في الجهة الساحلية أولا ثم في الجهة الوسطى فالجهة العليا . وبذلك يشغل أهل قوريني بجني المحاصيل مدى ثمانية أشهر في العام . وكل هذا يطابق ما علمناه من ديلا تشيلا [5] . وكان الأقدمون يشيدون بغزارة مياه العيون والجداول فيها . وكان أعظمها وادي ليثون [6] الذي اشتهر بسمك الجري وهو أكبر من مثيله في بحيرة كوبايس [7] كما اشتهر بكثرة سمكه من الأنواع الأخرى على طول مجراه . وكان يصب في بحيرة الاسبريدس غير بعيد من مدينة اسبريدس[8] . ومن بين العيون الصغرى عين كيرا أو عين آبوللو [9] وعين تستيسي [10] وغيرها . وأخيرا نجد أن الأمطار تروي منطقة قوريني في حين أنها نادرة الهطول في المناطق الأخرى من ليبيا، وقد وصف بيندار سهول قوريني بأنها مجلبة للسحاب لكثرة ما تهطل عليها من الأمطار المخصبة [11] .

الإجماع إذن قام بين الأقدمين على خصب الأرض . فيقول آريانوس[12] أن قورينايا كثيرة الأعشاب وخصبة ومروية وغنية بالمروج وبأنواع الثمار . ويرى

ثئوفراستوس [13] أن أرض قورينايا لطيفة ليست بشديدة الحرارة وهواؤها نقي جاف . ويثني بلينيوس [14] على كرم مناخها لأنه يجعل الكثير من الأعمال الزراعية زائدة لا ضرورة لها . ويتفق سترابون [15] وديودورس [16] مع بلينيوس في ذلك . ويشهد آريسارقوس [17] نقلا عن بيندار " بسمنة " أرض قورينايا وهنالك من الأقدمين من يشهد بروائح زهور قورينايا العطرة لا سيما برائحة الورد والزعفران الزكية ويرجع أريجها على مناخها الخاص . ويتغنى بيندار بهذا الخصب وهذا الجمال فينعت ليبيا في شعره بأنها " ذات الثمار " و" أرض الخصب الفريدة " و"مجمع أشجار الثمر " و" منتجة القمح " . أما بالنسبة لقالليمفوس [18] فقوريني "مدينة التربة العميقة " ولسترابون " مدينة الثمار الجميلة " .

على أن بعض الكتاب الرومان المتأخرين يعربون عن آراء مخالفة لهذه الشهرة بالخصب . فيدعو لوكانوس [19] " الرمضاء " الأرض بضواحي برنيق – بنغازي . ويقول كل من كلاوديانوس [20] وسيليوس ايتاليقوس [21] عن قورينايا بأنها " جافة " و " الأرض العطشى " ولا يختلف معهم جيرولاموس عندما يصف مدينة برقة بأنها في مكان قفر . ولكن من الواضح أن هؤلاء جميعا إنما أرادوا أن يشيروا إلى الصحراء المتاخمة للمنطقة أو أنهم غيروا من طبيعة الأرض في شعرهم تجاوزا، ذلك مثلا أن مدينة برقة (المرج) لا توجد في الصحراء على الإطلاق . ولا عجب من ناحية أخرى إلا تكون قورينايا في عصرهم في نفس الإزدهار الذي كانت عليه بعد ما طرأ عليها من الأحداث ما طرأ – ومما يؤيد ذلك شهادة نيزيوس [22] في نهاية القرن الرابع بحالة البؤس التي كانت عليه هذه الأرض وقد تضافرت أنواع من المصائب لتخريبها : غارات السكان الأصليين والجراد والزلازل وتناقص السكان بفعل المجاعات والأوبئة فضلا عن الاستبداد العسكري وحكم الولاة الجائر وأخيرا إهمال السكان وكسلهم . فلسوينزيوس الحق في أن يقول : " أن البنطابوليس قد ذهبت وانحطت إلى الحضيض " ث/ " لقد ماتت البنطابوليس، لقد ماتت، لقد انتهت، لقد قتلت، لقد ماتت " و " كره الله البنطابوليس " . أما الغابات المتعاقبة، ذات الظلال الوارفة والجدول الباسم، والنسيم الذي يداعب الأغصان برفق، وغريد الطيور على أنواعها، والشذا المنبعث من الزهور، والمروج وأخيرا غار العرائس –

الخليق بقلم ثيوقريتوس [23] لوصفه – كل هذا يقصه علينا سونزيوس بلغة شعرية فاتنة في مكان آخر في إحدى رسائله – ولا يختلف بروكوبيوس [24] الذي عاش في القرن السادس بعد المسيح، عن سوينزيوس في وصفه لغارات البربر وآثارها المخربة. ورغما عما قدمه الإمبراطور يوستينانوس لقوريانيا من مساعدات فقد أجدبت الأرض وذهب حذق أهلها شيئا فشيئا. وإذا اعتبرنا أن فتنة يهودية وغارات العرب قد اجتاحت البلاد فيما بعد، اتضح لنا لماذا ليس لقوريانيا اليوم الشهرة التي كانت لها في سالف الأيام. بيد أنه يمكنها ولا شك أن تعود إلى مجدها الغابر لولا أنها الآن قفر ويسكنها شعوب متخلفون.

❋❋❋❋❋

هـوامش الفقرتـين (5) و (6)

(1) كاتابتموس (CATABATMUS) : الاسم القديم للسلوم ومعبرها الجبلي . وهي اليوم " العقبة " مجردة أو " عقبة السلوم " .

(2) كلاوديـوس بطليموس (GLAUDIUS PTOLOMEUS) : عـالم رياضي وفلكي وجغـرافي إغـريقي ولد بالإسكندرية عام 127 وتوفى عام 151 ب.م. مؤلف كتاب "جغرافيا" كـان المرجع طوال القرون الوسطى . وقد ذكر فيه أن الأرض تحتل مركز الكون وثابتة في مكانها .

(3) رأس تينارو (TAENARUS) : في أقصى جنوب شبه جزيرة البلوبونيز .

(4) ستالقيتت : يحدث في بعض الكهوف أن يتسرب ماء المطر من وجه الأرض قطرة قطرة إلى الداخل وتحمل كل قطرة معها جزءا من كربونات الكالسيوم مذابا فيها فتتراكم أجزاء هذين العنصرين على مدى آلاف السنين بعضها على بعض فتكون أعمدة داخل الكهف ذات أشكال مختلفة عجيبة تسمى النوازل (ستالقيتت) والكلمة يونانية .

(5) ديللا تشيللا (PAOLO DELLA CELLA) : الدكتور باولو ديللا تشيللا طبيب إيطالي زار ليبيا عام 1816 وكتب " رحلة من طرابلس الغرب إلى حدود مصر الغربية " عن مشاهداته . ترجم الكتاب إلى العربية بليبيا .

(6) (LETHON) يعتقد أن الوادي الذي يجري تحت الأرض والظاهر في كهف " الجخ " جنوب بنغازي هو الليثون الذي يذكره القدماء وهو يصب في خليج صغير هو أشبه ببحيرة ساحلية على بعد 10 كيلومترا شرقي بنغازي يعرف بعين زيانة . وما من شك أن البحيرة هي بحيرة الاسبريدس المذكورة . وقد اشتهر الليثون بسمك الجري وهو سمك طويل كالثعبان ويسمى أيضا الحنكليس .

(7) بحيرة كوبايس (COPAIS) : لعلها بحيرة " بوجزيرة " الصغيرة شرقي بنغازي .

(8) أسبريدس (HESPERIDES) وبرنيق هي مدينة بنغازي كما هو معروف .

(9) كيرا (KYRA) : في الأساطير الإغريقية عروسة خطفها أبوللو وجاء بها إلى ليبيا وإليها نسبت مدينة قوريني . وعين الماء في هذه المدينة سميت باسمها كما سميت باسم آبوللو .

(10) عين تيستيس (THESTIS) : من المحتمل أن تكون عين القبة على بعد 45 كيلومترا غربي درنة أو عين مارا على بعد 35 كيلومترا غربي درنة أيضا . (انظر الهامش رقم 2 – الفقرة 14) .

(11) متوسط كمية المطر بمنطقة قوريني يبلغ 600 مليمتر سنويا بينما لا يتجاوز ساحل بنغازي 200 مليمتر.

(12) آريانوس واسمه فلافيوس (FLAVIUS ARRIANUS) : مؤرخ إغريقي عاش في القرن الثاني ب.م. كتب " الصيد " و " الفن العسكري " و " حملات الاسكندر " .

(13) شؤفراستوس (THEOPHRASTOS) : فيلسوف إغريقي (372-287 ق.م) .

(14) بلينيوس واسمه غايوس سقوندوس (23-79 م) (PLINIUS, GAIUS SEGUNDUS) : كاتب روماني موسوعي .

(15) سترابون (STRABON) : مؤرخ وجغرافي إغريقي (63 ق.م – 217 ب.م) .

(16) ديودورس (DIODORUS) : مؤرخ إغريقي عاش في القرن الأول قبل الميلاد ملقب بالصقلي إذ ولد بتلك الجزيرة . ألف كتاب تاريخ عام في 40 مجلدا لم يبق منها سوى 14 مجلدا .

(17) آريستارقوس (ARISTARCHUS) : فلكي إغريقي شهير. ولد في جزيرة ساموس وعاش في القرن الثالث قبل الميلاد . وكان أول من قال بأن الأرض تدور حول الشمس . ألف كتابا يعد من أهم الأعمال الفلكية في القدم حول : " حجم الشمس والقمر وبعدهما " .

(18) خاليمقوس القوريني (GALLIMACHUS) (320 – 240 ق.م) : فقيه لغة وشاعر. كان شاعر بطليموس الثاني بالإسكندرية . كتب قصائد غنائية وأناشيد ومراثي وهجاء وملحمة عنوانها " الأصول " وكتب نثرا " الموائد " وهو أول محاولة في تاريخ الأدب .

(19) ماركوس آنئوس لوكانوس (MARCUS ENNEUS LUCANUS) : شاعر ملحمي لاتيني . ولد بقرطبة عام 39 ومات عام 65 ب.م . تتلمذ مع نيرون (الامبراطور فيما بعد) على خاله الفيلسوف سينيكا. ولقد حقد نيرون عليه غيرة لما بدأ يشتهر بأعماله الأدبية . اشترك لوكانوس في مؤامرة على نيرون فأكرهه هذا على الانتحار.

(20) كلاوديوس كلاوديانوس (CLAUDIUS CLAUDIANUS) : ولد بالإسكندرية ويعتبر آخر الشعراء الكلاسيكيين اللاتين . عاش طويلا بروما في ظل رعاية الإمبراطور أونوريو في القرن الرابع للميلاد .

(21) سيليوس ايتاليقوس (SILIUS ITALICUS) : شاعر لاتيني عاش في القرن الأول للميلاد . كتب ملحمة " بونيكا " في 17 كتابا موضوعها الحرب البونية الثانية .

(22) سينزيوس (SYNESIUS) (370-414 ب.م) أسقف طلميثة . ولد بقوريني من أسرة غنية يرجع أصلها إلى ملوك سبارطه . كتب باللغة الإغريقية " ديون "، " في الأحلام " و " في مدح الصلع " و " الرسائل " .

(23) ثيوقريتوس (THEOCRITUS) : شاعر إغريقي مجيد عاش في القرن الثالث قبل الميلاد . وهو مبتكر الشعر ذي الموضوع الريفي . وقد استعمل في شعره متعدد الجوانب مختلف اللغات الدارجة الإغريقية حسبما كان يقتضيه الموضوع .

(24) بروكوبيوس (PROCOPIUS) : أعظم مؤرخ بيزنطي في عهد يوستنيانوس . كتب "تاريخ الحروب " روى فيه أحداث حرب بيزنط ضد فارس والقندال والقوط بكل نزاهة وقد اشترك في تلك الحروب كلها . وفي كتاب آخر، مدح فيه بوستنيانوس جاءت معلومات جغرافية واقتصادية ثمينة . وكتب كذلك " التاريخ السري " فنكب بسببه ومات عام 565 م بالقسطنطينية .

الجزء الأول

نشوء قوريني

- 7 -

الآكيون وأجيديو آميكله

يرجع تأسيس قوريني إلى زمن في منتهى القدم ويغشاه ظلام الأساطير، كما هو شأن الأحداث في ذلك الوقت. بيد أنه يتميز بشيء إلا وهو إجمال الكتّاب عامة على أن هذه المدينة كانت مستعمرة لثيرا وأن سكان هذه الجزيرة كانوا في غالبيتهم آتين من مقاطعة لاقونيا، وعليه يتحتم علينا أن نبدأ القصة بالمستوطنين الذين احتلوا ثيرا حتى يتضح أصل قوريني، وأن نعالج الأسباب الرئيسة لهجرتهم لأنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بما نعرفه عن نشوء قوريني. فكيف كانت حال لاقونيا في ذلك الوقت؟

من المعروف أن الغزو الدوري كان بداية عهد جديد في هذه المقاطعة الإغريقية. ولما كان عدد الغزاة قليلا وفي غير مقدورهم احتلال المنطقة بأسرها، اكتفوا باديً ذي بدء بالنزول في سبارطه ومنها تدرجوا شيئًا شيئًا لاحتلال باقيها. ووقع تبعا لذلك أن أخذت الشعوب تتدافع بفعل ضغط أهل سبارطه تدريجيا عليهم، فاضطر عدد كبير من سكان المنطقة الأولين إلى ترك موطنهم والهجرة طلبا لموطن جديد. وكانت هذه المناسبة التي جعلت الوطن الأم لقوريني تستقبل بعض من اختاروها موطنا لهم [1] .

فكما كان الدوريون استقروا بسبارطه استقر الآكيون (الذين حالوا بينهم والبحر) بآميكله. وقد انهار سلطانهم فيما بعد أمام الدوريين بعد صراع طويل، واحتل الآكيون آميكله بالاشتراك مع الأجيديين وهم قوم كرام أصلهم من تيللو. ولكن الرواية عن أصلهم وهجرتهم إلى لاقونيا غير واضحة، ولو أنه من المؤكد أنهم نزلوا بآميكله بعد خروجهم من تيللو وقبل تأسيس ثيرا. ويبدو أن الاجيديين، عندما احتل البئويتون تيللو وشتتوا بقايا القدميين، لاذوا بالآكيين بآميكله واستقروا بها معهم قبل وصول الدوريين إلى البلوبونيز بقليل .

- 8 -

المينيون سكان آميكله

وكان المينيون بعد طردهم من ليمنوس قد نزلوا بلاقونيا وكان هؤلاء قوما يسكنون مقاطعة تساليا ونزحوا عنها فيما بعد واحتلوا مقاطعة بئوتيا. وقد اشتهروا في القدم بالملاحة والتجارة بمستوطنة ليمنوس التي أنشأوها قبل الغزو الدوري. وبما أن المستوطنين المينيين من جزيرة ليمنوس كانوا يؤلفون السواد الأعظم ممن استوطنوا جزيرة تيرا وبالتالي قوريني التي ترتبط اسطورة هجرتهم بها ارتباطا وثيقا، نرى لزاما علينا أن نسرد قصة هجرتهم إلى لاقونيا في شيء من التوسع.

روى هردوت نقلا عن قصص اللاكيدمونيين والتيريين أن المينيين، الذين هم من نسل الآرغاونوط [1] وأجلاهم البلاسجيون عن ليمنوس، بلغوا لاقونيا بعد الغزو الدوري بقليل. وما استقروا على جبل تايجيت حتى طلبوا من أهل سبارطة السماح لهم بالاشتراك معهم في زراعة الحقول وفي ممارسة الحقوق المدنية. فاستجاب السبارطيون ومنحوهم جنسيتهم إكراما للتندرايين الذين كانوا اشتركوا في حملة الآرغانوط، وعملوا عن طريق مصاهرتهم على دمجهم في شعبهم – ولكن لم يمض وقت طويل حتى تطاول المينيون وطلبوا الاشتراك في الحكم. فما كان من الأسبارطيين إلا أن اعتقلوهم.

هـوامش الفقرة (7)

(1) إن بعض الشعوب التي يذكرها المؤلف إنما كانت من سكان اغريقيا (قبل أن تسمى هذه البلاد بهذا الإسم) منذ قبل التاريخ. وهم من الجنس الهبيري (نسبة لهبريا، شبه جزيرة اسبانيا) ذوي البشرة السمراء والعيون والشعور السوداء مثل الشعوب الهبرية الأخرى التي كانت تسكن في جنوب إيطاليا وصقلية وكريت وقبرص وشمال إفريقيا وشبه الجزيرة التركية. وقد أقامت هذه الشعوب حضارة زاهرة بلغت أوجها بمدينة قنوسوس وغيرها بكريت وفي مدن يكنى وترينس وبيلوس وخلافها في إغريقيا ذاتها. وسميت هذه الحضارة بالحضارة الأيجية.

وفي القرن التاسع قبل الميلاد أخذت أقوام كانت تترحل في حوض الدانوب تتسرب عبر مكدونيا إلى إغريقيا. وهذه الأقوام شماليون ذوو عيون زرق وبشرة بيضاء وشعر أشقر، يسمون أنفسهم بالهلنيين. لهم لغة مشتركة والكثير من اللهجات وبينهم نوع من الوحدة. اتجهوا يزحفون نحو الجنوب في موجات قتالية وفي أوقات متباعدة. فجاء أولا اليونيون أو (اليونان) وتعايشوا مع السكان الأصليين. وجاء بعدهم الأوليون وأخيرا الدوريون (1100 ق.م) وكانوا أكثر عددا وأقل حضارة. ولم يأت القرن السابع قبل الميلاد إلا وكانوا استولوا على البلاد كلها وقضوا على الحضارة الأيجية قضاء تاما واستعبدوا السكان واجلوا الكثير منهم عن ديارهم وأراضيهم.

وما يذكره المؤلف في هذه الفقرة السابعة وبعدها إلاّ نماذج من الصراع الذي دار بين الإغريق الغزاة وسكان إغريقيا الأصليين.

ولكن زوجاتهم وهن بنات سراة سبارطه رجون أن يسمح لهن بالدخول إلى السجن لرؤية أزواجهن قبل أن يساقوا إلى الموت. فسمح لهن ولم يشتبه أحد في الحيلة فدخلن عليهم واستبدلت كل منهم لباسها بلباس زوجها. وانطلق المينيون هكذا من السجن وعادوا إلى مقرهم على جبل تايجيت.

هذا ما رواه هردوت ونقل عنه بولتينوس [2] وفاليريوس ماكسموس [3]. ونقل بيندار [4] نفس الرواية في إحدى قصائده إلا أنه يضيف أن أبناء المينيين من نساء ليمنوس وفدوا إلى سبارطه ليبحثوا عن آبائهم. ولكن بيندار على علم برواية هردوت أيضا.

أما أن هذه الروايات لا يمكن أن يكون لها أي سند تاريخي فيتضح فورا من واقع، وهو أنه كان محظورا على السبارطيين التزاوج من أجانب. كما أنه كان محظورا على من لم يكن ينحدر من أصل دوري أو من قريب لهم أو من أسرة عريقة شهيرة من الكهنة أو الأبطال أن ينتسب إلى القبائل الدورية. فالرواية القائلة بأن المنيين كانوا ينتسبون بصلة القربى إلى الديوسكوريين وبالتالي كانوا من المشتركين في حملة الأرغانوط – بينما حتى الدسكوريون أنفسهم لم يكونوا منحدرين من أصل دوري – لا بد أنها روجت فيما بعد لشرح أسباب نزول المنيين بلاقونيا. ومن الواضح أن حملة الأرغانوط لم تقع قط على النحو الذي يورده الشعراء كما أنه ليس من شك في أن نزول الأرغانوط المزعوم بجزيرة ليمنوس قد أشاعه المينيون من سكان الجزيرة ثم اشاعه سكان قوريني ممن يرجعون أصلهم إلى مؤسسي المستوطنة. فيتضح من كل هذا إذن أنه لا يمكن تصديق هذه الرواية.

ولكن يبدو مطابقا للحقيقة ما رواه هردوت من أن المينيين قد نزحوا عن ليمنوس بفعل البلاسجيين التيريين الذين كانوا هاجروا من بئوتيا إلى آتيقا فطردهم الآثينيون فنزلوا بليمنوس. ويشهد بذلك مؤرخون آخرون. ومن المؤكد أيضا أن هؤلاء المينيين الذين طردهم البلاسجيون قد وصلوا إلى لاقونيا فاحتلوا جبل تاريجيت واستقروا بضواحي آميكله ومنها، بعد تأسيس تيرا، ركبوا البحر إلى ميلوس وكريت حيث أسسوا ليتو واستولوا على مدن أخرى ومنها غورتينا.

أما المينيون الذين نزلوا بلاقونيا فمن الواضح أنهم استقروا لدى الآكيين لأن آميكله لم تكن تحت سلطان الدوريين. ويتضح هذا الأمر من رواية هردوت أيضا إذ يبرر أسباب منح الجنسية إلى المينيين باشتراك الديوسكوريين في حملة الأرغانوط. وبما أن المينيين كانوا يتمتعون بحرية سياسية كاملة، فإنهم اتخذوا مقرهم هنالك ثم نزحوا عن المنطقة نزوحا كاملا ولا شك في ذلك. ولكنهم بدافع ضغط أهل سبارطه التوسعي كانوا قد أرسلوا قبل ذلك رجالهم إلى يثرا وإلى ميلوس وكريت. ويبدو أنهم ألفوا مع الأجيديين شعبا واحدا بارتباطهم معهم ارتباطا وثيقا .

هـوامش الفقرة (8)

(1) آرغونوط (ARGONAUTES) : كلمة يونانية تعني " ملاحو السفينة آرغو ". ولهذه السفينة وملاحيها قصة خرافية في الأساطير اليونانية. وتتلخص في أن أحد ملوك مقاطعة تساليا فقد عرشه بعد أن سطا عليه أخوه وخلعه. وكان للملك المخلوع طفل إسمه جازون أودعه والده خوفا عليه عند مرب عني به وأحسن تربيته حتى نشأ قوي البدن شديد البأس. ولما بلغ جازون عامه العشرين ذهب إلى عمه وطالبه بعرش أبيه. فلم يمانع عمه ولكن اشترط عليه أن يأتي إليه بالجزة الذهبية ..

وكانت الجزة هذه لكبش أرسلته الآلهة لإنقاذ غلام وبنت رزق بهما عم جازون من مطلقته التي كانت ربة السحاب " نفيله ". وكانت زوجة جازون الثانية تكره ربيبها الغلام والبنت وضمرت لهما السوء. فافتعلت مجاعة وأوحت إلى زوجها بأن الآلهة تأمره بأن يضحي بالطفلين لكي تزول المجاعة. فرضي بذلك. إلا أن أثناء القيام بمراسم التضحية نزل كبش من السماء مرسلا من ربة السحاب أم الطفلين فامتطى هذان صهوته فطار بهما. ولكن الفتاة سقطت في البحر وغرقت وسمي البحر " هلسبونت " من هلس اسم البنت وهو بحر مرمره الآن – أما الولد فوصل إلى بلاد في أقصى البحر الأسود فأكرمه ملكها وذبح الكبش واحتفظ بجلده تحت حراسة تنين لا تغمض له عين .

فكان يتعين على جازون أن يأتي بجلد الكبش بجزته الذهبية إذا أراد استعادة عرش أبيه. فبنى سفينة كبيرة (قيل إنها كانت أول سفينة مقاتلة على الإطلاق) سميت آرغو واصطحب معه خمسين من مشاهير أبطال الإغريق وعلى رأسهم هرقل وكاستور وبولكس واورفيه وتلامون وغيرهم وأبحر للبحث عن الجزة الذهبية – وتستطرد الخرافة فتصف ما لاقاه الأبطال من مشاق ومتاعب وتصور كيف تغلبوا عليها إلى أن تمكن جازون عن طريق الساحرة ميديا من الحصول على الجزة الذهبية.

(2) برليـنوس (POLYAENUS) : مـؤرخ إغـريقي ولـد عـام 210 وتـوفـى عـام 125 ق.م مـن أعماله كتاب " التاريخ " .

(3) فـاليريوس ماكسـيموس (VALERIUS MAXIMUS) : كاتـب رومـاني عـاش في القـرن الأول بعد المسيح، مؤلف كتاب " الأفعال والأقوال الشهيرة " ويقع في 9 مجلدات .

(4) بينـدار (PINDAR) : أكبر شـاعر غنـائي أنجبـته بلاد الإغـريق والعـالم أجمع. ولد بطيبة عـام 518 وتوفـى عـام 442 ق.م. خلـد اسمـه "بالقصـائد البيتـية" وخاصـة "بقصـائد النصـر" الـتي تغـنى فـيها بالفـائـزين في الألعـاب الأولمـبية ومـن ضـمنهم تليسـقرات القوريـني الذي فاز في عهد الملك آركسيلاو في الأولمبياد 753، كما سيأتي الكلام.

- 9 -

مستـــوطنـــة ثيرا

إذا كانت رواية هردوت عن العلاقات بين المينين والدوريين تبدو بعيدة عن الحقيقة في كثير من عناصرها فإن القصة المبنية عليها عن تأسيس ثيرا لا تبدو أقل بعدا. يقول هردوت نقلا عن رواية كل من أهل سبارطة وثيرا : " في الزمن الذي عاد المينيون فيه وتجمعوا على جبل تاريجيت بعد إفلاتهم من السجن نظم ثيراس القدمي بن آنتزيون (آخر ملوك طيبة من أسرة أوديب) وعم أوريستين و بروكلس ابني آريستوديم، نظم هجرة من لاقونيا. وكان ثيراس أدار الحكم في سبارطة في المدة التي كان فيها مليكاها قاصرين. ولكن بمجرد أن اعتلى هذان العرش لم يطق العيش خاضعا لغيره فقرر أن يذهب على رأس جماعة من المهاجرين إلى أقاربه من سلالة ممبليادوس الفينيقي الذي تركه قدموس في جزيرة ثيرا وكانت هذه تسمى في ذلك الوقت " كالليسته " (أي الجميلة جدا). وبعد أن حصل على الإذن بالهجرة من أهل سبارطه اقنع هؤلاء بأن لا يقتلوا المينيين الذي فروا إلى جبل تايجيت ووعد بأن يصطحبهم معه. وجمع على أثر ذلك صحبة من قبائل المدينة وضم اليهم فريقا من المينيين وأقلع بهم جميعا على ثلاث سفن كل منها ذات ثلاثين مقذافا واتجه إلى ثيرا وفي نيته ألا يطرد أهلها منها بل أن يتصالح معهم على نظام جديد من العيش. وما أن تم له ذلك حتى استبدل الأهلون اسم الجزيرة باسم ثيرا إكراما له .

ويمكن استنتاج أن هذه القصة لا تطابق الواقع من مجرد زعمها أن قائد الحملة كان دوريا ترأس فريقا غير قليل من المينيين، ثم من قيامها على أساس أن المينيين قد نزلوا على الدوريين مما أثبتا أنه زيف. ويبدو كذلك أن صلة القرابة بين ثيراس القدمي وأسرة الهرقليدس المالكة محض اختلاق لأنه أكثر احتمالا أن يكون ثيراس من أصل أجيدي. وأخيرا أن الواقع لا يستسيغ ما يروي من أن ممبلياروس كان مؤسسا لمستوطنة جزيرة كاالليسته مما له صلة وثيقة بقدموس الذي يعتبر شخصية خرافية أكثر منها تاريخية رغما عن أنه يجوز أن يكون الفينيقيون قد حلوا بهذه الجزيرة كما حلوا في غيرها من الجزر التي أقاموا فيها مستوطنات لهم .

- 10 -

مستوطنة ثيرا من أصل مدينة آميكله

ومهما يكن من أمر فمن المؤكد أن جزيرة ثيرا قد احتلها مهاجرون من أصل ميني خرجوا، كما ذكرنا آنفا، من آميكله لا من سبارطه ولهذا يسمى ديونيزوبيوس باريجستاس أهل قوريني " قوم آميكله " وقد أساء اوستازيوس ترجمة هذه الجملة فقال إنهم " لاقونيون " (1). وفضلا عن البراهين التي أوردناها حول هذا الأمر والدلائل الكثيرة عن وحدة الدم بين المينيين وأهل قوريني الذين انحدروا من ثيرا – كما سيجيء فيما يلي من هذا الكتاب – يمكننا أن نورد شهادة بيندار حول مؤسسي قوريني المهاجرين من ليمنوس إذ قال: "إنهم أسسوا تلك المستوطنة في الجزيرة التي كانت تسمى في يوم من الأيام كالليسته حاملين معهم تقاليد رجال الأكيدمونيا ".

وفي هذا يكمن السبب الذي من أجله يدعى " تناريوس "، أوفيموس الذي ولد من أصل ميني والذي يقال إن مؤسس قوريني ينحدر منه وكان أوفيموس هذا ممن اشتركوا في حملة الآرغونوط. وتذكر المراجع القديمة جدا بأنه كان يقيم إما بـ"بانوبو" أو " بايريا البؤتية "، موطن الفليجي. ولا شك أن الفليجي هؤلاء كانوا رهطا من الجنود انشقوا عن المينيين كما فعل رجال اللابيت. ولكن بما أن المينيين قد نقلوا مقرهم فيما بعد إلى لاقونيا فإن أوفيموس كثيرا جدا ما كان الشعراء الذين طرقوا موضوع الآرغونوط يلقبونه " تيناريوس " (2) بل يقال أيضا إنه ولد من إبنة لاوروتا وأنه زوج إبنة آلفامينا .

كان المينيون يسكنون مع الأجيديين في المنطقة قرب آميكله وهذا الأمر نفسه يدفع إلى التخمين بأنهم اشتركوا في الهجرة إلى ثيرا. وهذا واضح بما فيه الكفاية. والواقع أن الأعياد الرئيسية والقومية لدى أهل ثيرا وقوريني قد جاء بها الأجيديون إلى ثيرا وقوريني إذ أنها كانت مناسبات يحتفلون بها في الوطن الأم بل يبدو أن كلا من أوستازيوس الذي يقول عن قوريني أنها مستوطنة لجماعة من سكان طيبة (ولكن الأصل لا بد أنه لجماعة من سكان الجزر أصلهم من ثيرا).

وديونيزيوس باريجيتاس الذي يروي في تفسيرله أن ثيراس قد قاد، كمهاجرين من سبارطة، أهل طيبة المنحدرين من أوديب (لا شك أن هذه الكلمات أيضا خاطئة)، أقول إن كلا منهما كان يشير على الأرجح إلى الأجيديين على أساس أنهم نشأوا بطيبة.

ومن هذا يبدو محتملا أن يكون ثيراس من أصل أجيدي من حيث إنه قدمي وأن يكون قد رحل مع قومه عن طيبة أمام الغزو البيؤتي. ولعل من أصله هذا نشأت شهرته التي ذكرها هردوت في معرض حديثه عن نشأة الأجيديين بطريقة تغاير تماما ما نعرفه عن الأجيديين أي عندما يجعلهم منحدرين من إيجيوس ابن ثيراس .

ثم إذا بحثنا عن السبب الذي أتاح المناسبة لإيفاد هذه الجالية لوجدناه يرجع على ازدياد سلطان الدوريين مما دفع المينيين والأجيديين إلى البحث عن مقر آخر لهم. ونستنتج من القصيدة البيتية الرابعة لبيندار أن عددا من الآكيين غير قليل قد هاجر معهم. والكلمتان :" مع الداناي " [3] (البيت 47 من القصيدة) تشيران ولا شك إلى الآكيين البلوبونيزيين الذين أزاحهم الدوريون وتؤكد أن، خلافا لما ذكره هردوت، بأنهم هم الذين نزحوا إلى ثيرا مع المينيين لا الدوريون .

فهؤلاء الأقوام الثلاثة كانوا يؤلفون إذن رجال الجالية الذين اتجهوا بقيادة ثيراس الأجيدي إلى جزيرة كالليستة على متن ثلاث سفن، إذا صدقنا الشائع المتوارث الذي لا يعرف أي عدد آخر بين الثلاثة والألف. أما أن ثيراس كان حقيقة القائد للجمع فيؤكده ما جرى عليه أهل ثيرا، حتى عهد باوزانياس [4] من تكريمه كبطل، ولو أنه لا يمكن استبعاد أن يكون الشائع من الأخبار قد خلق شخصية ثيراس قائدا للجالية لشرح سبب الاستعاضة عن إسم كالليستة الذي كانت تحمله الجزيرة .

ولكن السبب في القول أن الجالية كانت موفدة من قبل سبارطه يجب أن ترجعه إلى أن بعد اتساع سلطان الدوريين كانت جميع الأعمال الهامة تنسب إلى أحفاد هرقل وعليه يبدو أن نسب ثيراس كان مختلقا، وفضلا عن ذلك فإننا إذا اعتبرنا أن ثيرا كجزيرة ميلوس قد اعترفت بعد ذلك بإمارة اللاكيدميون [5] وأقامت معهم علاقات صداقة دائمة يتضح لنا أن الشائعات، وقد استندت على هذه الأدلة لغرض شرح طبيعة الاتحاد القائم بين الجزيرة وسبارطة، ولاظهار أفراد الجالية

كحكام شرعيين للجزيرة، نادت الشائعات بأن ثيراس كان من سلالة ممبليادو وأن استيلاءه على الجزيرة كان حقا من حقوقه.

تولى حكم الجمهورية بثيرا في العهد القديم النبلاء ولم يكن يتولى المناصب إلا من كان من سلالة أفراد الجالية الأولين من مينيين وأجديين رغما عن قلة عددهم وكانوا يحكمون الشعب وفقا لحاجتهم الخاصة ولم يكن سائر السكان أحرارا. ونستنتج من هردوت أن الملوك كانوا يديرون شئون المدينة ولو أن سلطانهم كان محدودا، ويقول أن أحفاد ثيراس وحدهم كانوا يتمتعون بالسلطة الملكية وأن الأمر كان كذلك بين سكان قوريني مستوطنة ثيرا. بيد أن النقوش التي ترجع إلى العهود القديمة غير الواضحة تكشف كذلك عن مراسيم باسم " مجلس الشيوخ والشعب " كما تكشف غيرها مراسيم باسم الشعب وحده وباسم القضاة "الاركونت". ولكننا لا نعلم غير ذلك عن شكل الحكم. ولكن لا شك في أنه لم يكن يرتقي إلى شرف مجلس الشيوخ إلا أعضاء الأسر الأولى .

هوامش الفقرة (10)

(1) الواقع أن آميكله كانت مدينة قرب سبارطه فتكون جزءا من مقاطعة لاقونيا – ذكر أوستازيوس الكل عن الجزء – .

(2) تيناريوس (TOENARIUS) : نسبة إلى روس وهو رأس ماتابان اليوم في مقاطعة لاقونيا اليونانية .

(3) الآكيون و الداناو (ACHEOS, DANAOS) : قومان ذكرهما هوميروس في ملحمته الالياذة التي ضمنها حوادث حرب تراودة بين هذه المدينة ومنالاو ملك آرغو في شبه جزيرة البلوبونيز. وقد فرقهم الغزو الدوري .

(4) باوزانياس (PAUSANIAS) : مؤرخ وجغرافي إفريقي عاش في القون الحادي عشر بعد الميلاد. له كتاب عنوانه : " وصف اليونان " .

(5) اللاكيديميون (LACEDAEMONI) : أهل اسبارطه .

- 11 -

المناسبة التي أدت إلى إرسال الجالية من ثيرا

إن نشوء القورينين كما هو الأمر بالنسبة لأهل ثيرا يغشاه ظلام الأساطير التي كان يطيب للاغريق أن يزينوا بها عناصر الأشياء إرضاء لغريزتهم الشعرية. وقد اكتنف أصل المدينة ستار من خرافات كثيرة ورائعة بقدر ما ارتقت إليه قوريني من هيبة وسلطان. وعليه نرى لزاما علينا أن نعرض ونحلل القصة التي جاءنا بها هردوت وقد خصص لها الجزء الأكبر من الكتاب الرابع كما نعرض ونحلل الأساطير الأخرى التي تخص منشأ هذه المدينة ذائعة الصيت. ونبدأ بما نقله سكان ثيرا – حسبما يقول هردوت – عن مجيء جاليتهم إلى ليبيا .

إن رواية أهل ثيرا تبدو جديرة بالتصديق وقائمة في معظمها على حقيقة الوقائع، فهم مؤسسو المستوطنة ولا يفضلهم أحد في معرفة الواقع ولا شك. قيل إن غرينوس بن ايزانيوس أحد أحفاد ثيراس، وكان ملكا على ثيرا، جاء إلى دلفي (1) بمائة ثور ليقدمها باسم الجزيرة قربانا للآلهة وكان بين من صحبوه باتوس بن بوليمنستوس من سلالة أوفيموس أحد المينيين. فما يقال إذن عن أصل باتوس مؤسس المستوطنة يتفق تماما مع هذه الرواية. والواقع أنه إبن بوليمنستوس وفضلا عن ذلك ينحدر من أوفيموس الميني. وبذلك تكون الأسرة المالكة بقوريني من أصل ميني. وهذا يتفق أيضا مع ما رواه الأرغونوط الذين نزلوا بليمنوس عن شرف أصل القوم الذين حكموا المستوطنة القورينية. وجاء في إحدى قصائد بيندار : " إلى هنالك (أي لليمنوس) قد انتقل قوم أوفيموس إلى الأبد ".

ويوضح المفسرون (المعروفون بسقولياست) بيت الشعر هذا فيروون أن ليمنيا زوجة أوفيموس مالاكي ولدت له لئوكوفان ومنه انحدر ساموس أومنساقوس شريك ثيراس في تأسيس ثيرا ومن ساموس هذا ولد أوفيموس ومنه ولد ارسطاطاليس أو باتوس مؤسس قوريني فيكون الحفيد من الجيل السابع عشر لاوفيموس الجد الأول للأسرة. واسم أوفيموس بين القورينيين كان شائعا. فأحدهم

يصحب باتوس وآخر – ولو أن لا علاقة له بالقصة – كان معاصرا لآركيسلاو الرابع. ومن كل هذا يبدو أن القدماء درجوا في الغالب على نسب أصل الرجال العظام إلى الأبطال الكرام. فإذا صدقنا الأسطورة فعلينا أن نسلم بأن أصل باتوس ينحدر من أوفيموس الآرغونوطي. ومن الجائز أن يكون هذا النسب مجرد خرافة ولكن لا يبقى شك على كل حال في أن باتوس من ذرية أحد المينيين الذين نزحوا إلى جزيرة ثيرا .

ويستطرد هردوت فيقول : " وسأل غرينوس الكاهنة البنتسية عن بعض شأنه فأجابته وفقا لما جرت عليه من عدم الرد على سؤال مباشرة – بأنه مسموح له بإنشاء مدينة في ليبيا – ولا نعجب في أن آبوللو نفسه – الذي كثيرا ما كان يأمر بالهجرة وإنشاء المستوطنات – أن يدل غرينوس على ليبيا، إذا اعتبرنا أن هذه المنطقة لم تكن مجهولة إطلاقا لدى الإغريق في عهد باتوس ذلك لأن رياح الشمال كثيرا ما كانت تدفع السفن إلى شواطئها وسبق لهوميروس أن امتدح خصبها في أشعاره. والواقع أنه منذ العهد الذي أنشأ فيه سكان ساموس علاقات تبادل تجاري مع المصريين، كان الإغريق بآسيا الصغرى كذلك يترددون على مصر ومنها تمكنوا – ولا شك – من الوصول إلى ليبيا بكل يسر. ولا أشك والحالة هذه في أن الكهنة، رغما عن أن ليبيا كانت معروفة بقدر لدى إغريق أوربا، كان يعلمون عن هذه المنطقة ولو عن طريق الأخبار المبهمة. وأنه لا يضير الحقيقة أن تنسب إلى الخرافة كل ما يحكى عن آبوللو من أنه أمر بإنشاء مستوطنة بليبيا، ولربما كان مرد هذه الخرافة إلى أن قوريني، وقد بلغت سلطانا عظيما، كانت تعبد أبوللو عبادة خاصة، وكانت تتمتع في نظر الجميع بحماية غير عادية من جانب هذا الإله، مما أوحى بالتالي بأن إنشاء المستوطنة إنما جاء بأمر منه. بيد أن هذا الشك يبدو مبالغا فيه نظرا لأن الرواية التي نقلها هيردوت متماسكة تماما ولأنه من الثابت أن آبوللو كان يحظى بعبادة خاصة لدى أهل ثيرا وكان يعتقد بأنه كان يحمي الجزيرة بعناية فريدة .

ويوالي هردوت قصته فيقول إن غرينوس وقد بلغ من الكبر عتيا ولم يعد قادرا على تنفيذ التكليف طلب إلى آبوللو أن يعهد بالمهمة إلى أحد الشبان الحاضرين وأشار بإصبعه إلى باتوس. ولما عادوا إلى وطنهم ولم يكونوا يعرفون حتى أين تقع

ليبيا أهملوا الأمر إلى أن اجتاحتهم كارثة كبرى فأدت إلى إعادة النظر فيه بإمعان. وكان المطر قد انحبس عن الجزيرة لمدة سبعة أعوام (لعل الرقم رمزي غير محدد ونعتقد أنه إنما أورد للتعبير عن الأمد الطويل الذي عانت فيه الجزيرة الجفاف). فيبست الأشجار إلا واحدة. ورجع سكان ثيرا على معبد دلفي فأكدت الكاهنة لهم أمر آبوللو الأول، وكان من باب أولى إذ لم يكونوا ليستطيعوا سد رمقهم في جزيرتهم المجتاحة. ولو لم تبد هذه الأمور وكأن الحقيقة تعافها لأسباب أخرى، لقلنا إن السكان إنما دفعوا إلى تأسيس المستوطنة بسبب الجفاف وحده وأن غرينوس لم يلجأ إلى استشارة آبوللو إلا بحثا عن علاج لما كانت تعاني منه المنطقة منذ زمن. ولكن لا يستبعد أن تكون هذه الظروف مجتمعة – وقد توافقت بهذا النحو الملائم – الدافع للهجرة .

ولما لم يجد أهل ثيرا وسيلة أخرى للتفريج عن كربهم بعثوا برسل إلى كريت للسؤال عما إذا كان أحد من الكريتيين قد بلغ ليبيا. وكانوا يخمنون أن سكان هذه الجزيرة التي تربطها بثيرا روابط القربى ووحدة الدم قد يكونوا أن أنشئوا علاقات مع تلك البلاد نظرا لما لهم من دراية بالملاحة ونظرا لوحدة الأصل. وراح الرسل يطوفون بالجزيرة فصادفوا أحد سكانها واسمه قوروبيوس الايتاني وكان تاجر أرجوان وتحادثوا معه فأخبرهم بأن الرياح المعاكسة قد قادته يوما إلى بلاتيا (2) وهي جزيرة بليبيا. ومن هذا يتضح أن حتى الكريتيين لم يكونوا يعرفون ليبيا أو قد يكون أن تجارهم قد أخفوا معرفتهم للمنطقة خشية أن يشاركهم التجار التيريون في تجارتهم مع الليبيين وحسدا لهم عليها. وهذا عنصر لا يستهان به في تأكيد صحة الرواية إذا ما اعتبرنا حرص الأقدمين على حفظ الأسماء وربطها بالوقائع. وجاءوا بقوروبيوس إلى ثيرا ثم أرسلوا معه تحت إرشاده روادا لمعرفة موقع الجزيرة وطبيعتها. وعاد الروابط بعد بلوغهم بلاتيا لينقلوا أخبار الجزيرة بعد أن تركوا قوروبيوس هنالك ومعه زاد يكفيه لبضعة أشهر (ولا شك في أنه بقي معه آخرون ولكن حتى هردوت نفسه لا يؤكد ذلك بوضوح). ولكن لم يرجع أحد على قوروبيوس في الموعد المحدد وفرغ زاده. فالتقطته سفينة من ساموس اسم ربانها قولقو كانت في طريقها إلى مصر. وبما أن سكان جزيرة ساموس ركبوا البحر قبل الإغريق، كانوا

يستقلون الرياح حتى تارتيزو ويعودون منها محملين بالخيرات الكثيرة يدل على ذلك ما كانوا يقدمونه من دلفي إلى معبد هيرا [3] (ولا شك أنه كانت للملاحة مكانة هامة لدى الإغريق حتى أنهم لم يكونوا يهملون حتى أتفه الأشياء التي لها صلة بها) ونظرا لأن الصداقة التي كانت قائمة بين سكان ساموس وسكان ثيرا والقورينيين – والتي كان لها أثر كبير على شئون قوريني حتى في الأزمان التالية – نشأت، كما يقول هردوت، في هذه المناسبة، فإنه لا مجال للشك في مجيء سفينة من ساموس إلى بلاتيا وفي صلتها بقوروبيوس.

وبشر الثيريون العائدون إلى وطنهم بأنهم احتلوا جزيرة بقرب السواحل الليبية، فعزم غرينوس في آخر الأمر على إرسال جالية إليها واختبار بالقرعة من كان عليهم أن يركبوا البحر. ثم عين باتوس قائدا لهم. وكان هذا نشأ في أسرة نبيلة ورؤي فيه الكفاءة للقيام بالمهمة كما أنه اختير ليكون ملكا على المستوطنة المزمع انشاؤها. وأقلعت سفينتان ذات خمسين مقذافا كل منهما في اتجاه بلاتيا. ولا غرابة، أن جزيرة صغيرة مثل ثيرا ليس في مقدورها أن ترسل عددا أكبر من الأشخاص.

هوامش الفقرة (11)

(1) دلفي : مدينة إغريقية اشتهرت في القدم بمعبد آبوللو رب النور والفنون والكهانة. كان آبوللو يوحي بالغيب في معبده هذا عن طريق كاهنة تسمى " البيتيا " وكان لهذه الكاهنة مراسم تقوم بها تنتهي بغيابها عن الوعي أو تتظاهر بذلك عند التحدث على آبوللو أن تلقي نطقه بالغيب. لعب معبد آبوللو دورا هاما جدا في الحياة السياسية والاجتماعية للمدن الإغريقية. ويعد الدافع الأكبر لحركة الهجرة والاستيطان خارج إغريقيا. تقع شمال آثينا وطيبة على سفح من جبل البارناسي، تشرف من ناحية على واد فيه عين ماء مياهها ما زالت جارية، وعلى منظر البحر من جهة أخرى. شديدة الشبه بموقع قوريني مما يوحي بأن اختيار المستوطنين الإغريق للموقع الأخير لم يكن وليد الصدف ويفسر لماذا كان آبوللو حاميا لقوريني. ومن المعلوم أنه خطف العروسة قوري وأنزلها قرب العين التي سميت باسم قوري وباسمه على السواء، كما تقول الأساطير. ودلفي اليوم تشرف على مجموعة كبيرة من الآثار منها معبدا آبوللو وآثينا وأمكنة كانت تسمى بالكنوز وهي مبان شادتها

شتى المدن الإغريقية (ومنها قوريني) لإيداع هباتها لآبوللو. وهناك أيضا ملعب ضخم بالإضافة إلى أعمال فنية.

(2) بلاتيا (PLATEA) : معناها باليونانية " المنبسطة " أو " ميدان " يعتقد أنها الجزيرة غير المسكونة الظاهرة من الشاطئ في خليج البمبا. وهي فعلا " منبسطة " ولا يبدو أن فيها ماء إلا ما اجتمع منه في فصل الأمطار. لربما كانت أيام نزول الإغريق فيها قبل ستة وعشرين قرنا ذات ماء ونبات.

(3) هيرا (HERA) : أكبر إلهة أنثى. أخت جوبيتر وزوجته. كان الإغريق والرومان يكرمونها بإنشاء المعابد لها وبتقديم القرابين إليها.

ولكن الرواية التي تناقلها القورينيون عن منشأ الرجل الذي اختاره أفراد الجالية قائدا لهم تختلف تماما عن هذه الرواية. ويبدو أنها كانت أكثر شيوعا وقد تغنّى بها بيندار ولم يكذبها هردوت. إن مصدرها كان يرجع في معظمه إلى خيال الشعراء المحبين للخوارق ولا شك. ولعل الحقيقة لا تعرض عنها – وتقول الرواية القورينية أن باتوس كان ابن بوليمنستوس من كرام رجال ثيرا ولكنه كان قد ولد من خطيئة أتى بها ثيري إسمه ترميزون إلى الجزيرة. وقد كان سلمها إليه والدها أتياركوس ملك مدينة آسو بجزيرة كريت عندما كان الرجل يوجد بها لأعمال تجارية، حتى يلقيها في اليم ويغرقها بعيدا عن الشاطيء. وما من شك في أن الرواية إنما قد صورت والدة باتوس على أنها ابنة ملك كريتي رفعا من مكانته ولإضفاء هالة من الشهرة على منشئه. ويبدو كذلك أن الاسمين فرونيمي [1] (أي العاقلة أو الحكيمة) وتميزون [2] (أي العادل) رمزيين .

وباتوس هذا، وكان ألكن وذا صوت خافت وقد بلغ مرحلة الكهولة، هو الذي أجابته الكاهنة البيتية عندما سأل الوحي الدلفي عن علاج لصوته قائلة : " ياباتوس لقد أتيت من أجل صوتك ولكن الملك فيبو آبوللو مرسل لك مؤسسا في ليبيا الغنية بالمواشي ".

أما كون باتوس يستشير الوحي الدلفي بحثاً عن دواء لدائه فليس فيه ما يتعارض مع الحقيقة نظراً لما بين الفنون والدين من صلة لدى الإغريق ونظرا لأن قوريني قد عبدت آبوللو كطبيب أيضاً، إلا أن ذلك يعيب رواية الثيريين فأصبحت تعوزها، كما يبدو، الحجج المناسبة. على أننا إذا وزنا الأمر بدقة، اتضح لنا أن الخلاف يكمن، إذا لم أخطيء في اسم باتوس وحده. والواقع أنه لا يبدو من الخطأ ما كان ينسبه المتواتر بين الشعب إلى باتوس الثيري، قبل إبحاره إلى ليبيا من اسم آخر هو ارسطاطاليس. ولكنني لا أنسى في نفسي قدرة على تقرير شيء مؤكد عن اسم باتوس لأننا لا نعرف ما إذا كان اسما أو لقبا. فلربما كان من نفس أصل اسم " بيسي " [3]. وأن قائد الجالية الثيرية المخلصة لآبوللو سمي به لشيوعه بين كهنة

باكوس لدى الساتريين وهم قوم من تراكيا كان لهم معبد وحي. ويبدو أن هردوت قد تجاهل هذا الاسم رغماً عن علمه بالاسم الآخر وقد صرح بعدم قبوله لكل من الرواية القورينية والرواية الثيرية أي أنه يرفض أن باتوس كان حقيقة قائدا للجالية. ويعتقد أنه لم يدع باتوس إلا بعد وصوله إلى ليبيا وأن الاسم قد استعير مما قاله وحي دلفي ومن مكانته بين أتباعه. والواقع أن الكلمة باللغة الليبية كانت تعني الملك ويعتقد أن الكاهنة البيتية أسمته باسم ليبي إذ أنه كان على وشك أن يكون ملكا على ليبيا. فالناحية العجيبة من القصة تزداد عجبا عندما تسمي الكاهنة الرجل باتوس أي باسم المنصب الذي كان على وشك أن يتبوأه، ملكا لقوريني. بيد أن هردوت كان يعلم حق العلم بأن كلمة باتوس تعني الملك باللغة الليبية ومع هذا يبدو أنه ذهب إلى ما ذهب إليه لتأكيد حكم الوحي الدلفي ولم يشتبه إطلاقا في أن الاسم قد جاء فيما بعد، ولو أنني أظن أن الاسم لم يصبح علما دالا على الملك إلا في زمن تال أي عندما تبوأت الأسرة الباتية الملك بين الليبيين .

ويعتقد آخرون من الأقدمين أن باتوس لم يُدعَ بهذا الاسم إلا لأنه كان ألكن ولا أعتقد أن هناك شكا في أن هذه الأسطورة لم تأت إلا من محاكاة صوت الفأفأة وهي " فاتوس " باللغة الإغريقية نظرا لأن الرجل كان عسير الحديث. بل لقد تصوروا بأن الذي ذهب ليستشير الوحي الدلفي لم يكن الملك غريتوس بل باتوس نفسه طلبا للدواء لصوته. ذلك لأنه لم يكن هناك اتفاق على الأسباب التي دفعت الثيريين إلى إنشاء مستوطنة لهم. وتقبل القورينيون هذه الأسطورة بنفوس مبتهجة لما فيها من عجاب وبفخر لاهتمام الآلهة بأصلهم. وأخذ بيندار في تغنيه بمجد قوريني بالرواية الأكثر ملاءمة للقوم وتلهي بالعجيب شأنه شأن سائر الشعراء. ويبدو أن هذه الرواية قد روجت لأنها عزيزة على القورينيين ودعمت بمكانة بيندار الرفيعة وبما يبدو من تأييده لها. ولكن هذا يحط من القدر الدلفي لأن كلا من هردوت ومفسر خاليمقوس (4) يقدمها في صورة تتباين إحداها مع الأخرى. وتزيد الرواية التي أوردها منيكلس عن الوحي الأمر تباينا بالإضافة إلى عرض يختلف كل الاختلاف. وليس من شك أن عددا غير قليل من أوامر الوحي قد اختلق في أزمنته متأخرة وقد وضعت لتسجيل وقائع صحيحة أو خرافية .

ولكن فلنعد إلى حكاية القورينيين. لم يفهم باتوس إذن كيف يعهد الوحي إليه بالذات، وهو الرجل العادي ولا أعوان له، وجاء ينشد العلاج لضعف صوته، بإنشاء مستوطنة في بلاد بعيدة. فذهب مرة أخرى يسأل الإله ولكنه لم ينل إلا الجواب الأول. وما أن عاد إلى ثيرا حتى حل به وبمواطنيه غضب الإله (ولا يذكر الثيريون نوع الجائحة الجديدة) ولما لم يجدوا لمحنتهم تفسيرا عادوا إلى دلفي فأجابتهم الكاهنة البيتية أن شئونهم تكون أفضل مما هي عليه إذا هم أنشأوا قوريني بليبيا. ويدل ذكر قوريني – المدينة المطلوب تشييدها – مرة أخرى وبوضوح على أن هذه القصة قد وضعت في وقت متأخر. أما بقية رواية أهل ثيرا فتأتي منسجمة. فإذا ما تركنا جانبا أمر الرسول الموفد إلى ثيرا وأمر قوروبيوس الذي ترك ببلاتيا فالتقطه بعض أهل ساموس، فإن الرواية تمضي فتقول أن باتوس أوفد إلى ليبيا في سفينتين ذات خمسين مجدافا ولما لم يعرف ماذا يفعل هنالك عاد إلى ثيرا ولكن مواطنيه طردوه. وهذا يعني أن الثيريين لم يرسلوا في الحقيقة إلا عددا قليلا من الرجال لارتياد المنطقة قبل إرسال جاليتهم وأن هؤلاء لما أعيدوا اضطروا إلى النزول ببلاتيا وهي جزيرة بقرب الساحل الليبي .

هوامش الفقرة (12)

(1) فرونيمي (PHRONIME) : كما هو واضح اسم الخطيئة التي أتى بها الثيري من كريت وأصبحت والدة باتوس .

(2) وتميزون اسم ذلك الثيري (THEMISON) .

(3) بيسي (BISSI) بالإغريقية (BMSSOI) .

(4) قالليمقوس : شاعر إغريقي عاش في القرن الثالث ق.م ولد بقوريني من نسل باتوس. كان واسع الثقافة. تولى منذ عام 260 ق.م. إدارة المكتبة التي أنشأها بالإسكندرية بطليموس فيلادلف – ترك الكثير من الأعمال نثرا وشعرا منها " الاناشيد " وهي الأشعار التي اشتهر بها .

- 13 -

قصة مرض باتوس وشفائه

إن ما ورد في الرواية عن لكنة باتوس يتفق مع ما نقل عن شفائه. فكما أنه كلف بالانتقال إلى ليبيا كان من اللازم، وقد امتثل إلى الأمر، أن يمن عليه بالشفاء بعودة صوته. ويقول خاليمقوس في ذلك : " يا آبوللو لقد نقلك ارساطاليس الورع من ثيرا على أرض الاسبست " وإنما أراد الشاعر بهذه الكلمات أن يقول إن ارسطاطاليس، وقد جاء إلى افريقيا بأمر الإله، قد استرد نطقه. وإلا لما كان فائدة في كلام آبوللو.

ولكن المعلق على شعر خاليمقوس ثم باوزانياس يذكر أن كذلك الطريقة التي شفي بها باتوس. والواقع أن باتوس بعد أن جاء بالجالية إلى ليبيا (ويعبر باوزانياس عن ذلك بقوله : " عندما وصل القورينيون إلى طرف صحراء إفريقيا " ومن لا يرى في هذه العبارة يد المؤرخ الذي يدعم الرواية؟) قد تصادف ذات يوم مع أسد فأخذه الفزع لرؤيته المفاجئة وانحلت عقدة لسانه وأطلق الصراخ فإذا به يتكلم بطلاقة. ورغما عن أنه يبدو معقولا التفسير الذي روي به شفاء باتوس لما نعلمه عن مدى الأثر الذي يحدثه الفزع على الأصحاء والمرضى ولما قرأناه عن حالات مماثلة أوردها مؤلفون قدماء ورغما عن أنه يبدو مقبولا تصادف باتوس في منطقة إفريقية قفراء، لا سيما إذا كان هؤلاء الإغريق قد توغلوا إلى الداخل، كما ذكر باوزانياس، اعتقد رغما عن هذا كله أن الرواية ليست من الحقيقة في شيء. وقد سبق لي أن عالجت كيف نشأت خرافة باتوس أأبكم كان أو ألكن. ولا يبدو غامضا المصدر الذي جاءت منه. أما كون قصائد بيندار لم تفهم دائما ولو أنها تقرأ باستمرار يبدو من تفسيرها الذي كثيرا ما يكون خاطئا كل الخطأ. ولا أشك في أن هذا وقع في الأبيات من 57 إلى 62 من القصيدة البيتية الخامسة ذاتها وقد جاء فيها : " لقد فرت الأسود خوفا من باتوس عندما جاءهم هذا بلغة أجنبية. والواقع أن آبللو القائد للجالية قد بث فيها الرعب ". وقد قصد بهذه العبارات، في شيء من الغموض ولا شك، أن قورينايا قد تحضرت على يد الإغريق وأن السباع قد طردت من المدينة بعد

تأسيسها، كما قال وأحسن ديديموس [1] في شرحه لمقطوعة بيندار هذه. وقد ربط الكتاب في وقت تال بين قصة الأسد الفزع، في بساطتها كما هي، وبين الخرافة المعروفة عن عيب النطق حتى يمكنهم القول بأن العيب قد زال – وفي رأيي أن هذه الأشياء لا يمكن توضيحها بأيسر مما شرحتها - .

على أن الشارحين لبيندار في عصرنا هذا قد أعربوا عن رأي آخر فقالوا إن الشاعر وجّه جل اهتمامه إلى شفاء باتوس. ويشرح أحدهم وهو هينه العبارة اليونانية التي استعملها بيدار بـ " وفجر الكلام ذاك الذي كان حتى الآن محروما من استعمال لسانه ". ويذهب بوخ إلى الاعتقاد في أن آريستارقوس فهم مقصود بيندار عندما فسر لنا أن باتوس – على قول بيندار قد طهر منطقة تسكنها السباع وقد طردها بتعاويذ أعطاها له آبوللو وذلك بعد أن زالت الفأفأة عنه وأصبح يتحدث بصوت عادي. أما كون باوزانياس يقول إن الملك هو الذي فزع لا الأسد فليس بأمر ذي بال، نظرا للتباين الكبير الذي بين شتى الأساطير. والواقع أنه لا يلائم الشاعر، وهو في سياق المديح، أن يقول إن باتوس كان فزعا. ويذهب شييرش إلى القول وكأنه سكولياست جديد [2] أن باتوس، عند اقترابه من الصحراء، وقد كان حينئذ ألكن، صاح بعون آبوللو مما أفزع الأسود فولت الأدبار.

ورغما عن أنه يستحيل التدليل بيقين على أن بيندار لم يكن على علم بهذه الخرافة، التي زاد فيها وزينها المؤلفون المتأخرون، لا يسعنا إلا أن نلاحظ بأن تفسير ديديمو لعباراتها إنما جاءت مصطنعة وبأن رواية شفاء باتوس التي لم يقبلها حتى القورينيون أنفسهم إنما اختلقت في وقت لاحق.

هوامش الفقرة (13)

(1) ديديموس (DIDYMUS) (63 ق.م – 10 ب.م) عالم ونحوي إغريقي عاش في عصر أوغسطس قيصر. وعمل في التعليم في الاسكندرية وروما. شرح أشعار ونثر الكثير من الشعراء والكتاب الإغريق خاصة أشعار بيندار وسوفوكليس وآريستوفان.

(2) سقوليوم (SCHOLIUM) هو الاسم الذي عرفت به في القدم الهوامش التفسيرية في النحو والشعر والنقد وكانت تدرج على هامش الكتاب – ومنها سقولياست وهو الشارح أو المفسر.

- 14 -

تتواصل المناقشات حول أصل قوريني بين الثيريين والقورينيين

إن رواية الثيريين والقورينيين حول الحوادث اللاحقة لإنشاء المستوطنة ببلاتيا تبدو متقنة بعد أن كانت حتى الآن متغايرة ولو أنه لا يمكن التمييز بين إحداها والأخرى في رواية هردوت بوضوح كاف. فهو يواصل قصتهم فيقول : بعد أن أقام الثيريون حولين ببلاتيا (جزيرة صغيرة ولكن خصبة بالتأكيد) لاقوا خلالهما من الأحداث ما لم يكن ملائما لهم تركوا رجلا هناك (أمر غير محتمل ولكن لا ينال من صحة بقية القصة) ومثلوا من جديد أمام كاهنة دلفي وسألوها الجواب. فقال آبوللو على لسانها: " إذا أنت تعرف ليبيا بأنعامها الكثيرة، أنت الذي لم تكن فيها، أكثر مني أنا الذي كنت فيها فإني أعجب بحكمتك " .

أما أن هذا القول الموحى قد وضع في زمن تال فيبدو من الإشارة الواضحة لإقامة آبوللو والعروسة قوريني بليبيا. وكان الشعراء تغنوا كثيرا من الأحيان بتلك الإقامة. وعليه يستحيل استنتاج أي شيء من المعلومات عن ليبيا قبل زمن باتوس، لا سيما أنه يتضح من المفردات باللغة الدورية التي توجد في قصة هردوت أن المؤرخ قد اقتبسها من أساطير القورينيين. ويعلم الجميع أن أهل قوريني كانوا يتكلمون باللغة الدورية .

تلقوا هذا الجواب فعادوا إلى بلاتيا واعتقادا منهم بأنهم لن يتمكنوا من تشييد المستوطنة إذا لم يحلوا بالأرض الليبية، نزلوا على الساحل المقابل لجزيرتهم في نقطة تسمى آزيريس أو آزيلين (1) في مكان تحيط به من كل جانب تلال مكسوة بالأشجار الجميلة ينساب في وسطه جدول ماء، وكان الجيليغام هم سكان تلك المنطقة، ومرت عليهم هنا ست سنوات وفي العام السابع اقترح الليبيون على الوافدين أن يصحبوهم إلى أرض أفضل، وكانوا تضايقوا من هؤلاء الأجانب الذين أبعدوهم عن نهرهم وغاباتهم. ولكن لم يجرؤ على إخراجهم بالقوة. ساروا بهم إذن

نحو الغرب وعملوا على أن يعبروا منطقة جميلة جدا إسمها إيراسا [2] أثناء الليل حتى لا يروها، إلى أن وصلوا إلى عين الماء التي أصبحت بعد ذلك مقدسة لدى آبوللو. ولما بلغوا المكان قالوا : " أيها الإغريق، هذا مكان يصلح بكم : إن السماء مثقوبة هنا ". وفي هذا المكان نزل المستوطنون واختاروا مقرهم .

في رأيي أنه لا يمكن إجمالا إثارة اعتراضات كثيرة على هذه القصة التي أوردها هردوت، إذ لا يوجد أي تعارض بينها وبين الواقع / فمن المعقول أن يصل المستوطنون بعد بلوغهم الشاطئ الليبي إلى ذلك المكان ولو بعد حين وأن يحطوا رحالهم فيه في نهاية الأمر .

ومن الجدير ذكر أسطورة الغراب كذلك، الذي قاد المستوطنين أثناء دخولهم ليبيا. والغراب كان مقدسا عند آبوللو وكانت الجالية تفخر بحمايته. وكان فضلا عن ذلك يعتبر طائرا ميمونا. ويعلم الجميع أن آبوللو، حسب ما تذكر الأساطير، كان دليل هؤلاء القوم، الذين كانوا على وشك إنشاء مستوطنة، متخفيا في شكل حيوان.

هـوامش الفقرة (14)

(1) آزيريس (AZIRIS) : قال هردوت (التواريخ : الكتاب الرابع آخر الفقرة 157) : "وهكذا ذهبوا (أي الإغريق النازلون في جزيرة بلاتيا) إلى الجزيرة واصطحبوا الرجل الوحيد الذي كانوا تركوه وراءهم ومن ثم نزلوا على البر بليبيا واتخذوا مقرا لهم فيها في مكان اسمه آزيريس مقابل الجزيرة. إنه مكان ذو غابات جميلة جدا (تصطف أشجارها) من ناحيتين ويجري بينها نهر في (اتجاه) الناحية الثالثة " .

ما تقدم حدث قبل إنشاء قوريني بثمانية أعوام أي عام 62 ق.م. إن قول هردوت واضح لا لبس فيه : كان نزول الإغريق إلى البر بليبيا مقابل [illegible]ة بلاتيا في مكان اسمه آزيريس. ونعلم أن بلاتيا هي جزيرة البمبا اليوم. ووصف ه[illegible] لمكان يشير إلى التميمي وفيه عين التميمي ووادي التميمي وهو مقابل جزيرة البمب[illegible] وبلاتيا في القدم. ولإتمام الصورة لا ينقصنا في وصف هردوت إلا الغابات الجميلة والنهر الجاري نحو البحر. ولكن هذا النقص غير ذي بال لأن ستة وعشرين قرنا قد غيرت معالم البيئة ولا شك:- فقضت العوامل الجوية ويد التخريب البشرية والحيوانات على الأشجار وتآكلت التربة نتيجة لذلك فلم تعد تحتفظ بالماء فانقطع ماء النهر وأصبح واديا لا يجري ماؤه إلا في فصل الأمطار.

وفي ليلة الثلاثاء من يوم 28 يناير عام 404 ميلادي أي بعد عشرة قرون من نزول

الإغريق بآزيريس جنحت سفينة شراعية قادمة من الاسكندرية ومتجهة على الأرجح إلى آبوللونيا (مرسى سوسه اليوم)، وهي ميناء قوريني. جنحت على الساحل الليبي وعلى ظهرها مسافرون أبرزهم سينزيوس أسقف طولومايس (طلميثة اليوم). كتب سينزيوس إلى أخيه بليبيا في الرسالة الثانية من مجموعة "الرسائل" يقول أن عواصف عاتية طرحت السفينة وقذفت بها "على صخور حادة امتدت من البر على شاكلة شبه جزيرة صغيرة" فأنقذها في الصباح رجل أشار إلى الركاب من الشاطئ ثم ذهب إليهم في قارب وقاد السفينة إلى مأمن في مرفأ صغير بهيج "أظن أن اسمه آزاريوم" على حد عبارة سينزيوس.

كانت هذه السفينة قد غادرت ميناء الاسكندرية في الفجر المبكر من يوم الجمعة 24 يناير عام 404 ميلادي (وفقا لحساب الدارسين لأعمال سنزيوس) واستغرقت الرحلة من الاسكندرية حتى جنوح السفينة مائة ساعة تقريبا - فإذا افترضنا أن سرعتها المتوسطة كانت خمسة أميال في السعة، فتكون قطعت 600 ميل أي 740 كيلو مترا. وهذه هي المسافة بين الاسكندرية وخليج البمبا بطريق البر - أما المكان أي: "المرفأ البهيج بقرب صخور حادة امتدت من البر على شاكلة شبه جزيرة صغيرة والذي اسمه آزاريوم" فلا سبيل إلى معرفته سوء أنه في خليج البمبا احتمالا -.

ولكن هناك الإسمين آزيريس وآزاريوم، فكلاهما يتكون من ثلاثة حروف أصلية آزر و عزر - أما الحرفان الأخيران في الاسم الأول والحروف الثلاثة الأخيرة في الاسم الثاني فإنها مزيدة لكي ينسجم الاسم الأول مع طبيعة اللغة الإغريقية والاسم الثاني مع طبيعة اللغة اللاتينية. وفي اللغة الإغريقية الحديثة ما يوضح أسباب زيادة حرفي الياء والسين على اسم آزيريس. فالإغريق ما زالوا حتى اليوم يضيفون على أسماء العلم هذين الحرفين لأنهما علامة الرفع في لغتهم لفئة من الكلمات. فإذا أرادوا أن يتحدثوا عن شخص عربي يدعى سليمان مثلا إنهم يردعونه "سليمانيس" كما كان يفعل أجدادهم، أي أنهم يطوعون الأسماء، الأجنبية لمقتضيات إعراب لغتهم ونطقها - ومن ذلك كلمة عزير البربرية التي أصبحت آزيريس لانعدام حرف العين في اللغة الإغريقية. ومثل ذلك يقال عن تطويع عزار لطبيعة اللغة اللاتينية.

وهناك اسم ثالث يشترك مع الاسمين المذكورين في الحروف الأصلية هو آلازير أو العزير اسم ملك برقة (المرج اليوم) الليبي (انظر الفقرة 41 من الكتاب) مما يؤكد أن الأسماء الثلاثة بربرية ثلاثية الأصل: آزر أو عزر - ولعل لها معناها بتلك اللغة.

ويمكن الاستنتاج مما تقدم أن الاسمين آزيريس وآزاريوم هما في الحقيقة اسم واحد: عزير أو عزار عند البربر وآزيريس بالنسبة للاغريق وآزاريوم في عهد الحكم الروماني وبعده. ولعلهما يدلان على مكان واحد أو على نفس المنطقة أي خليج البمبا حيث هبط المستوطنون الإغريق ومكثوا ستة أعوام وحيث جنحت السفينة التي كانت تقل سينزيوس بعد ذلك بعشرة قرون.

هذه قرائن على كل حال ولا يمكن التيقن من انطباقها على الواقع إلا بعد العثور على آثار ملموسة تدعمها.

ايراسا (IRASA) :

يقول هردوت في الكتاب الرابع من " التواريخ " الفقرة 158 : " وعاشو (أي الإغريق الوافدون) هناك (بآزيريس) ست سنوات ولكن في العام السابع توسل الليبيون إليهم بأن يغادروا آزيريس ووعدوهم بأن يدلوهم على مكان أفضل، وقادهم الليبيون وانطلقوا بهم في المساء حتى يجتاز الإغريق أحسن جزء من بلادهم ليلا دون التمكن من رؤيته، وكان اسم هذه المنطقة ايراسا. ومضوا بهم إلى مكان اسمه عين آبوللو وهناك قالوا لهم : " أيها الإغريق هنا المكان المناسب لسكنكم لأن السماء هنا مثقوبة " ... أي أنها كثيرة الأمطار.

فأين تقع يا ترى المنطقة التي يسميها هردوت ايراسا؟ اختلف الكتاب في ذلك. فمن قائل إنها منطقة عين مارا ومن قائل أنها منطقة القبة إلى الغرب من درنه – ويذهب بعضهم إلى أنها أم الرزم إلى الشرق من درنه – .

يقول الأستاذ فرانسوا شامو في كتابه " قوريني تحت حكم الأسرة الباتية " صحيفة 120 أن الرحالة الفرنسي ج.ر. باشو الذي زار ليبيا في القرن الماضي يعتقد أن ايراسا هي أم الرزم، إذ أنه وجد فيها عين ماء قد تكون عين تستيس التي انتصر القورينيون بقربها عل جيش الفرعون آيرس وفيها مناظر بهيجة تذكر بما قاله هردوت من أنها منطقة جميلة جدا، حتى أن رجال قبيلة الجيلغام تعمدوا السير بالإغريق عبرها ليلا حتى لا تستهويهم فيطمعوا في اتخاذها موطنا – وهناك كذلك تشابه بين الاسمين ايراسا وام الرزم – .

أظن أن ما ذهب إليه باشو كان مجرد احساس – فلا أرى في الواقع أن أم الرزم كانت في القرن الماضي حين مر بها باشو، خضراء بهيجة أكثر مما هي عليه اليوم – ولم يقدم باشو أي قرينة أو دليل يرجح أن منطقة أم الرزم كان تعرف باسم ايراسا سوى التشابه بين الاسمين، واضح أن أم الرزم اسم عربي لا يمت فيما يظهر بايراسا بأية صلة ومعنا – على ما قيل لي – " أم الرياح " لكثرة رياحها " الرازمة " أي ذات الصوت الشديد.

فلنبحث إذن في احتمالات أخرى. يقول أوريك بيتس في الصحيفة 79 من كتابه القيم " الليبيون الشرقيون " (ماكميلان، لندن، عام 1914) أن لغة واحدة كانت سائدة في شمال إفريقيا في العصور القديمة. ومنها اشتقت اللهجات البربرية المختلفة الحية اليوم في بعض أنحاء الشمال الإفريقي. ودلل على ذلك بتشابه أسماء بعض الأمكنة في شطري شمال إفريقيا الشرقي والغربي لاشتراكها في نفس الأصول المشتقة اللغة الواحدة الأم. وأورد بعض الأسماء يهمنا منها هنا ايراسا، يقول بيتس أن هذ ة بربرية مشتقة من فعل ثلاثي هو " أرس " ومضارعه " يرسو " (في لهجة كل من م وجي ومناصر) ومعناها " هبط " أو" انحدر " ومضارعه " يرسا " (في لهجة ورغلة) ومعنا نصب بيت الشعر " .

وعليه إذا أخذنا بالمعنى الأول يمكننا القول أن كلمة ايراسا تعني " المنحدر " أي " العقبة " .

كانت ايراسا منطقة جميلة جدا على قول هردوت وبداهة كانت تقع بين آزيريس والمكان الذي أصبح فيما بعد قوريني. فإذا صح أن إسم المنطقة يعني المنحدر، كما يقول بيتس، فليس بين آزيريس (أي التميمي) ونجد قوريني منحدر يلفت الانتباه أعلى وأهم

من منحدري درنه الشرقي والغربي وليس هناك عين ماء بمنطقة شرقها أو غربها حتى قوريني، أغزر ماء من ماء عينها أو عيونها المختلفة، بما في ذلك عينا مارا والقبة. والماء الغزير يتبعه النبات والأشجار ومن هنا الجمال الذي ذكره هردوت.

فنستطيع إذن أن نقول في شيء من التأكد أن الأوصاف تشير كلها إلى عقبة درنه بأنه ايراسا أي المنحدر كما يدل اسمها باللغة البربرية. ولعل الاسم كان يشمل المنطقة كلها أي وادي درنه بمنحدرية وعين الماء فيها ومرتفعها الشرقي.

وأتصور أن القورينيين انتشروا في مرتفع درنه شرقا وجعلوا عين تيتس أي عين درنه خلفهم عندما هبوا لمواجهة جيش آبريس حتى يكون الماء قريبا منهم وبعيدا عن خصومهم وحتى يكون وادي درنه ملاذا لهم إذا دعت الحاجة وعائقا أمام تقدم الجيش الفرعوني المحتمل.

- 15 -

مختصر قصة منكلس في الموضوع نفسه

إن رواية منكلس عن هجرة باتوس وعن نشوء قوريني غير ذائعة ولكنها أجدر بالاعتبار من غيرها. وهي تبتعد كثيرا عن الروايات التي عرضناها حتى الآن ولا توجد بين محتوياتها إلا نواح قليلة تتباين مع الواقع المحتمل. وهي لا تتحمل مشقة البحث عن أصل اسم باتوس ولا تبني الأساطير حول عيبه الصوتي وعدم استطاعته الكلام بل تروي بكل بساطة : " على أثر حرب أهلية نشبت بثيرا قرر باتوس زعيم الفريق المغلوب وقد طرد من الجزيرة دون أمل في العودة أن ينشيء مستوطنة. فأمره آبوللو الدلفي أن يترك الجزيرة وأن ينزل بالقارة ". أما أن هذه الرواية لم تكن مجهولة في الزمن الذي كتب فيه منكلس وفضلها على الروايات الأخرى فشيء نستنبطه من عباراته التي جاء فيها: " يبدو أن سبب الحرب الأهلية أكثر اعتمادا بينما يبدو سبب الصوت أكثر خرافة". والواقع أن كثيرا ما تؤسس المستوطنات بسبب خلافات المواطنين كما أن الأقدمين كانوا يحرصون كل الحرص عند انشائهم مستوطنة إلا يعاب فيها عدم طلب الثمن لها من الآلهة. ولا عجب إذن إذا ما قبل كاتبان حديثان هما هاكسديون وراوول روشيت هذه الرواية على أنها صحيحة.

يروي آكسيساندرو أن " باتوس " لم يولد ألكن بل فصيحاً وحكيماً وكفؤاً وأنه إنما تعمد اللكنة. وهذه العبارة نوعا رواية منكلس ولكن عبارة آكسيساندرو يمكن تفسيرها كذلك بأن اللكنة كانت طارئة نتيجة لمغامرة ما تعرض لها باتوس. وإذا اتفقنا على أن ما ذكره الثيريون حقيقة واقعة فلا يعدو أن يكون آكسيساندرو قد عجز في التوفيق بين عيب باتوس وحكمته فذهب إلى الاعتقاد بأن الرجل تظاهر باللكنة تحايلا منه .

ثم أن ما رواه هردوت من أن الموفدين للاستيطان قد عادوا إلى ثيرا وأن مواطنيهم قد طردوهم تفسره رواية منكلس بل يبدو أنها تؤكده. وطردهم هذا يمكن

أن يقع – إذا لم فعلا – حتى إذا كان المستوطنون قد رحلوا بالطرق المعتادة، ذلك أن الخوف من المجاعة كان ما زال قائما.

ويلاحظ أنه كان لقوريني منذ البداية قوانينها وسيادتها ولم تكن قوانين ثيرا سارية وواجبة الإطاعة. وهذا مما يؤكد أن الذين أنشأوها كانوا مواطنين مطرودين. ورب معارض يقول أن الثيريين لم يكونوا من السلطان بما يمكنهم من الاهتمام بمستوطنة بعيدة عنهم كل البعد، وما كان في وسعهم أن يفكروا في إنشاء دولة بقورينيايا لأن ليبيا لم تكن معروفة في ذلك الزمن إلا قليلا. ومن الثابت لم يعثر على أية إشارة إلى تحالف أو صداقة بين الثيريين والقورينيين.

وإذا طرحنا جانبا الحجج الرامية إلى تأكيد رواية منكلس وهي حجج في الواقع قليلة الأهمية فإنه يبدو أن قيمتها تتضاءل بسبب أنها تتعارض مع رواية الثيريين التي تتمشى تماما مع الحوادث التي يمكن الأخذ بها. ومن المحتمل أن الكاتب، وهو فطن ولا شك لأنه لم/ يأخذ بالمختلقات الخرافية حول صوت باتوس الشائعة كثيرا في وقته الذي غشى فيه الضباب الحقيقة، من المحتمل أنه وصل إلى هذه النتائج عن طريق الافتراض. أي أنه فكر في أنه كان من الأيسر له تفسير عبارات هردوت عن طرد المستوطنين العائدين إذا هو روى قصة نشوء المستوطنة في الصيغة التي رواها بها. ونحن لا ندع مجالا لنفسنا ولا شك للانصياع إلى قبول هذه الرواية ولم تصدر إلا من منكلس وحده في الوقت الذي تتعارض فيه حوادث محققة ولو أننا نقبل بأنها لم تختلق اختلاقا بالكامل.

- 16 -

خرافة العروس قوريني التي أحبها آبـوللو

بما أن الروايات عن منشأ قوريني عديدة ومتباينة كما أسلفنا نرى أنه من الضروري أن نوضح شتى الأساطير في ذلك. ويبدو لنا أنه لا يجب إهمال قصة حب العروس قوريني لآبوللو البيتي لأن كثيرا من الكتاب قد أوردوها وزينوها بشتى الشروح

يقول بيندار أن قوريني أبنة أيبيو ملك اللابيت اعتادت مقاتلة الأسود الكبيرة للدفاع عن قطعان والدها. وأعجب آبوللو بشجاعتها عندما كانت تتصارع مع أسد في وادي بليو فسأل كيرون [1] عنها وعما إذا كان من الممكن الحصول على حبها. فأجابه كيرون قائلا : " بأنه (أي آبوللو سيكون زوجها وأنه سينقلها عبر البحار ليجعل منها ملكة مدينة لشعب يسكن في جزرة. وإلى أن يحدث ذلك يجب أن تقيم العذراء في معابد ليبيا الذهبية وهناك وهي سيدة أرض مهداة لها ستلد له ابنة آريستؤ. وقد دفعت هذه الكلمات آبوللو إلى خطفها ونقلها إلى ليبيا على عربة من ذهب وهناك استقبلتها فينوس ربة الجمال وبعد زفافها نصب الإله قوريني ملكة على تلك الأرض .

وهناك من يقول إن الصراع بين العروس والأسد وقع بأرض ليبيا، ويضيف أن أوريبلو ملك ليبيا كان وعد بالملك من استطاع أن يخلص البلاد من الأسد العاتي فتصدت العروس له، وكانت نقلت إلى ليبيا وقتلته وخلفت الملك على العرش ومن اسمها اشتق اسم مدينة قوريني [2] .

ومن الواضح أن الغاية من هذه الخرافة لم تكن إلا الإشارة إلى أصل المستوطنة القورينية. ولا يفسر اختطاف آبوللو للعذرا إلا بأنه إشارة إلى أن قوريني قد أنشأت بأمر آبوللو. فقيل أن آبوللو " أحبها " لأن الجالية التي ارتحلت من أميكله إلى ثيرا ومن هنا إلى ليبيا كانت تتمتع في اعتقاد الجميع بحماية الإله الفريدة. أما أن قوريني وصفت بأنها إبنة ملك اللابيت وأنها اختطفت من وادي

بيليو يشير بديهيا إلى إنحدار القورينيين من أصل ميني. وقد مر بنا آنفا أن اللابيت كانوا يؤلفون شعبا واحدا مع المينيين. ويجيء أيضا من هذا أن الأسوياي التي يقال فيها أن قوريني كانت تقيم بقرب بينئو يجب نسبتها إلى زمن لاحق ذلك لأنه لا شك في أن هذه الرواية قد نشأت ووضعت بين الفورينيين. وأوضح من هذه الرواية أن القورينيين ينحدرون من أصل ميني ولو أنه لم يرد هذا في مرجع.

ولا ريب أنه عندما ذكر أن العذراء كانت تهوى استعمال الأسلحة وتفضلها على الأعمال النسائية كان الغرض منه الإشارة إلى ممارسة البنات الليبيات للألعاب الرياضية وإلى روح التنافس الرياضي عند القورينيين. ثم/ لأن نشوء قوريني كان بعيدا عن عصر كيرون وإنما أراد بيندار الشاعر أن يعهد إليه بالقول بأن العذراء قوريني، رغبة منه في قلب التاريخ إلى نبوءات. ولعل آغريتا قد أورد لنفس السبب أن العروس قد نقلت أولا إلى كريت. وربما أراد هذا المؤرخ أن يشير بذلك على أن الجالية المينية ارتحلت إلى كريت قبل رحيل الجالية الثيرية إلى ليبيا (اللهم إلا إذا ذكرت كريت بدل ثيرا وهو مما لا أشك فيه). ثم رمز بالقصر الذهبي الذي أعطى للملكة دلالة على ثراء قوريني كما أن مجيء فينوس لاستقبال العروسين عند وصولهم إلى ليبيا إن هو إلا دلالة على عبادة القوريين لألهة الجمال ووجود معبد لها في مدينتهم.

وإذا قال بعضهم أن مصارعة قوريني للأسد وقعت بتساليا وقال غيرهم بليبيا، فإنما يرجع السبب في ذلك إلى أن اوربيلو الذي كانت قطعانه فريسة لذلك الأسد كان ملكا على أورمنيو مدينة بماغيزيا التي كانت كثيرا ما تذكر في شئون المينيين. وقد اشترك كذلك في الحملة على تروادة. وتقول الأساطير أنه نقل بعد ذلك إلى ليبيا كما نقل أوفيمو إلى لاقونيا، وبما أن المينيين كانوا من أصل تيسالي فإننا نجد عناصر تيسالية وليبية مختلطة بشكل مختلف في اسطورة قوريني، على ما جرى عليه الأقدمون. وسندلل في مكان آخر بإسهاب على السبب الذي أدى إلى تنصيب أوربيلو بالذات ملكا على هذه المنطقة. وأن تباين القصص هذه التي تقول بعضها أن أوربيلو لا آبوللو سلم ملك قوريني إلى العذراء يجعلنا نخمن بأنها وضعت في وقت لاحق بغرض إظهار أن احتلال المستوطنين الإغريق لليبيا إنما جاء على أساس حق معين

ورثوه من بطل من قومهم كان صاحب المنطقة. ويبدو أن المؤرخين منازيا وفيلاركو حاولا أن يجدا تفسيرا للأسطورة فلم يتحدثا عن آبوللو مرشد الجالية ولكنهما أخطئا عندما ظنا أن باسم قوريني كان المقصود العروس لا المستوطنة.

ومن الغريب كذلك أن تذكر خرافة آريستئو في سياق الخرافة التي نحن بصددها وأن يوصف بأنه ابن قوريني وهو إله أغريقي كان يعبد بتساليا وفي غيرها ونقل المينيون عبادته إلى قوريني (أي أن القوريين منحو آريستئو كما منحو باتوس شرف " المؤسس " واحتفلوا به بطقوس دينية كبرى .

وعليه فإن هذه الخرافة من وضع القوريين أنفسهم ذلك لأن أصلهم ينتسب إلى الآلهة وقد قدسوا قوريني كآلهة حتى في الأزمنة المتأخرة. وقد زادت الخرافة ذيوعا مع ازدياد سلطان المدينة .

إن تفسير هذه الخرافة، وهو التفسير الوحيد الحقيقي، وكنت الأول في عرضه، كما عرضه في نفس الوقت العلامة موللر في تبحر وحكمة، وقد اشار إليه، كما لاحظت أخيرا ناتاليس قومسى كذلك. ولكنه قال إنه لا يستطيع قبولها لأنه " ليس في هجرة التساليين إلى ليبيا أي أمر عجيب ولا أي شيء يبدو أنه يستحق التخليد". ولعله لم يفكر في كم من مرة قد زينت الشهرة والخرافات أمورا أقل شأنا. أما عرض هرمان للموضوع ذاته القائل إن خرافة قوريني التي نشأت في تساليا ونقلها المينيون إلى ثيرا ومنها إلى قوريني وأن اسم هذه المدينة قد جاء من اسم الصيادة التيسالية الشهيرة، فإننا لا نشعر بحاجة إلى تفنيده. وأخيرا، أما ما قيل من أن جالية إغريقية قد جاءت على ليبيا قبل عصر باتوس فيستحيل استنتاجه من كل هذا الجدل .

هـوامش الفقرة (16)

(1) كيرون (CHIRON) – في الأساطير الإغريقية : أشهر السنتاور وهم جيل نصف جسمهم آدمي والنصف الآخر فرس. كان يعيش في الجبال وكان عاقلا حكيما – علم اسكولابيوسي رب الطب استعمال الأعشاب في تحضير الأدوية وعلم هرقل علم الفلك. قتله هرقل خطأ بسهم مسموم. رفعته الآلهة إلى السماء وجعلته برجا من الأبراج .

(2) في " نشيد آبوللو " يشير خليماقوس الشاعر الإغريقي ابن مدينة قوريني ببلده بفخر واعتزاز ويذكر اسطورة تأسيسها وخطف آبوللو للعروسة قوريني كما يذكر الاحتفالات الكارنية التي كانت تقام بقوريني إكراما لآبوللو " باشتراك الليبيات الشقر والمقاتلين. ننقل فيما يلي معربة بعض أبيات " نشيد آبوللو " :

وأرشد الإله آبوللو ورعا
باتوس، فحط في الساحل المخصب
وأقام ملكا وقورينة موطني

لكني، سليل لايو، سادس الأجيال
أتى بك من ثيرا مقرك الأول
فنزلت مبجلا بين الرمال

يجيئك شذا نبات الزعفران
بالربيع، ولك تحيا الليالي
دوما بسمر مشتعل النيران

إذا جاء يوم الألعاب الكارينية
انساب موكب الفيد، ليبيات شقر
مع مقاتلين، في حلل بهيسية

طابت نفس آبوللو رنا حوله
لا لعين كيرا وغارها الدوري
بل لغاب آزيلي وكان موئله

وأشار إلى زوجه من الجبل
هنا شطرت رأس الأسد
الصائل على قطعان أوريبل

خورس رائع لم ير فيبو مثله
ولم يكن لحب قوريني عنده
نظير فالخطف القديم لم ينسه

- 17 -

قصة جوستين عن أصل قوريني

مجد شتى الخرافات عن نشوء قوريني مختلطة في نظام - حقاً - غريب فيما كتبه تروغوس بومبيئوس [1] وجوستان [2]. ويقول هذا الأخير: " أن آريستؤ الملقب بباتوس لعيب في نطقه هو الذي أسس قوريني ". ولا ريب أن الشعراء هم الذين استبدلوا الأسماء بعضها ببعض وأنهم ألبسوا ارسطاطاليس مؤسس قوريني بعض خصائص الإله آريستؤ القديم. يقول جوستين: " وكان والده كيرنوس ملك ثيرا جاء إلى دلفي يتوسل لدى الإله لإبنه الذي بلغ سن الشباب ولم ينطق، فجاءه الرد بأن إبنه باتوس سيتمكن من استعمال لسانه في المكان بإفريقيا الذي يأمره الإله بأن ينزل فيه ويؤسس مدينة قوريني ". ولعل اسم كيرنوس الذي سمي به والد باتوس مشتق من اسم غرينوس ملك الثيريين رغما عن أن هذا كان شخصا آخر غير والد باتوس حسب رواية أهل ثيرا. بيد أن باتوس، حسب هذه الرواية، يكون قد نشأ من أسرة أكثر نبلا وكذلك يتفق مع رواية الثيريين القائلة أن الملك لاباتوس ذهب لاستشارة الوحي الدلفي. بيد أن جوستين في حديثه عن السبب في سؤال الوحي يتبع رواية القورينيين فيروي بأن باتوس كان محروما تماما من استعمال صوته ثم شرح أصل إسم باتوس فدفع بذلك الخرافة إلى نتائجها القصوى. ويعهد أخيرا إلى باتوس في وحي لا يغشاه الغموض بإنشاء قوريني: " وهناك سيحصل على النطق ". ويواصل جوستين كلامه فيقول: " بدا منطوق الوحي وكأنه أضحوكة لصغر ثيرا وقلة سكانها. وكان على جالية منهم أن ترتحل لإنشاء مدينة في إفريقيا ذات الأرجاء الواسعة. وعليه لم يعر الثيريون الوحي اهتماما ". وهذا لا يتباين مع رواية الثيريين " وبعد فترة من الزمن تجاهل فيه الثيريون أمر الإله اضطرهم وباء (قحط في رواية الثيريين) إلى الرحيل ولكنهم كانوا قليلين فما كادوا يملئون سفينة (وبهذا تتصف الحملة بالجرأة) ". " بلغوا إفريقيا ودفعوا بالسكان أمامهم ونزلوا بجبل كيرا لجمال المكان وغزارة عين الماء. وهنا انحلت عقدة لسان قائدهم باتوس وبدأ يتكلم

لأول مرة " (تأكيدا للنبوءة طبعا). وجوستين متماسك في قصته هذه ولو أنه سكت عن الطريقة الغريبة التي شفي بها باتوس. " وبعد أن رأى الثيريون هكذا تحقق جزء من وعد الإله أصبحوا يشعرون بالأمل في تأسيس مدينة. فبعد أن أقاموا معسكرا لهم علموا بأسطورة قوريني إبنة ايسئو ملك تساليا التي خطفها آبوللو من جبل بيليو وجاء بها إلى التل نفسه الذي كانوا نازلين فيه. وعلموا أيضا أنها رزقت من الإله بأربعة أولاد أحدهم آريستئو وباق الرجال الذين بعث بهم والدها للبحث عنها استحسنوا جمال المكان فأقاموا فيه ". وبعد أن قص جوستين اسطورة آريستئو يستطرد فيقول : " ولما سمع باتوس كل ذلك وتعرف على اسم العذراء مما كان بلغه من النبوءات أسس مدينة قوريني "

وبنفس هذه الطريقة العجيبة يخلط تروغو اسطورة قوريني عذراء تساليا بشئون باتوس ويروي قصة تأسيس قوريني مرتين كل منها من مصدر يختلف عن الآخر. ويطلق اسم آريستئو على ابن قوريني وعلى مؤسس المستوطنة على السواء. ونجد بين أبناء قوريني نوميو وآرجئو (أو آغريئو) وهما من ألقاب آبوللو. وأخيرا يشتق اسم المدينة من نص النبوءة ومن رواية الآفري. وعليه فإني راض كل الرضى بحكم هيبرنيوس (3) على رواية جوستين عن منشأ قوريني، فهو لا يشك على الإطلاق في أن روايته خرافية تماما ومقتبسة من أحد الشعراء. وتطيب ملاحظته بأن جوستين استخلص نبذته من تئوبومبوس (4) الذي يبدو أنه عالج آثار قوريني على طريقته، مكررا ومقتبسا أقوال أي شاعر كان .

هوامش الفقرة (17)

(1) تروغوس بومبيوس (TROGUS POMPEUS) : مؤرخ روماني ولد بفاليا (فرنسا) وعاش في عصر أغسطس قيصر. عمله الأكبر " التاريخ الفليبي " في 44 مجلدا، يتناول تاريخ العالم وبصفة خاصة الامبراطورية المكدونية، وقد فقد بيد أنه توجد له خلاصة أعدها جوستين .

(2) جوستين (JUSTINUS) : مؤرخ لاتيني عاش في القرن الثاني ب.م. من أعمال اختصار " التاريخ الفيليبي " وكتاب ألفه تروغوس

(3) هيرن آرنولد هرمان لودفيغ (هييرينوس)

HEEREN, ARNOLD HERMANN LUDVIG (HEERENIUS)

مؤرخ ألماني تعلم في جامعة غوتنغن ودرس فيها الفلسفة ثم التاريخ. درس تاريخ الدول القديمة من حيث علاقاتها الاقتصادية ودساتيرها ونظمها المالية. كان من رواد التفسير الاقتصادي للتاريخ (1760 – 1842).

(4) ثئوبوميوس (THEOPOMPUS) : مؤرخ إغريقي عاش في القرن الرابع ق.م. من أعماله " تاريخ فيليب " المطدوني في 58 مجلدا، وكتاب " الهلنيين " وهو تاريخ إغريقيا في 12 مجلدا.

- 18 -

خرافة الآرغونوط الذين مروا بليبيا

بين الأشياء التي تروى عن نشوء القورينيين لا يجدر السكوت عن خرافة الآرغونوط [1] الذين نزلوا بليبيا من البحر. وبما أن أوربيلو (الذي يوصف في أسطورة قوريني بأنه ملك ليبيا) يقوم بالدور الرئيسي فيها، فلها نوع من الصلة بأصل قوريني. ومن الضروري لكي يمكننا الحكم على مصدرها أن نرتب شتى روايات الكتاب الأقدمين.

إن المصدر الأول هو بيندار (القصيدة البيتية الرابعة، الأبيات 9-55) الذي كتب قصيدته لإنشادها بقوريني إكراماً للبيت المالك الباتي وبدأ من الوحي الذي أوحاه الإله الدلفي لباتوس ومن نبوءة ميديا المبشرة بإنشاء قوريني على يد الثيريين. فيقول : " ركب الآرغونوط البحر في عودتهم من كولكيدي وساروا شرقا عبر فاسيد ثم انتقلوا إلى المحيط. واندفعوا إلى ليبيا من ناحية الشرق بمجرد أن مالوا إلى رمالها الجنوبية للوصول إلى بحرها الداخلي وحملوا سفينتهم على أكتافهم اثنى عشر يوما عبر الصحراء إلى أن بلغوا مستنقع تريتونيد ". تتفق نصوص الأقدمين كلها على هذا وتشير إلى خط سير الآرغونوط خلال فاسيد حتى المحيط ونزولهم من هناك إلى اليابسة وسيرهم عبر ليبيا إلى البحر الداخلي. " اجتاز الآرغونوط مستنقع تريتونيد على متن سفينتهم وما أن توقفوا على مدخل المستنقع حتى عرض الإله عليهم الضيافة وكان متخفيا في ثياب أوربيلو بن نبتون. ولما اعتذروا عن القبول لاستعجالهم بالعودة إلى وطنهم أخذ الإله كتلة من طين وهم بإعطائها لهم كهدية ضيافة فنزل أوفيموس من السفينة والتقطها منه. ومن هنا اتجهوا إلى ثيرا وفي أثناء سيرهم وقعت الكتلة في البحر فنطقت ميديا بالنبوءة التالية : " من هذه الجزيرة سيكون لليبيا مدينة في مقر جوبيترعمون وستكون ثيرا من كتلة الطين هذه أما لمدن كبرى. وفي هذه الجزيرة قد نثر بذر ليبيا قبل أوانه. وإذا حمل أوفيموس كتلة الطين إلى وطنه قرب نهر فينارو يحتل ليبيا أحفاده من الجيل الرابع مع الداناي (أي

كان عليهم أن يسافروا إليها من سبارطه وآرغو وميكيني) ولكن الآن سيتولى قيادة الجالية إلى ليبيا نسل نساء ليمنوس بجزيرة ثيرا بأمر من الإله ". ولكن باتوس حقق نبوءة ميديا في الجيل السابع عشر.

عرض آبوللونيوس وديوس [2] هذه الرواية بعد أن أدخل عليها بعض التعديل ولو أنه اقتبس دون شك من بيندار. على أنه من المعلوم أن آبوللنيو، نظرا لازدياد المعلومات الجغرافية في عصره، كثيرا ما كان يتصرف بمعتقدات الأقدمين، كما معلوم، بطريقة حكيمة على طريقة المدرسة الاسكندرية ولكن في شيء من الخيال. فقال في عرضه أن الآرغونوط، أثناء عودتهم من الغرب، وأصبحوا يشاهدون شواطئ البلويونيز دفعتهم عاصفة إلى البحر الليبي حتى بلغوا سرت. " وعندها حملوا سفينتهم لمدة إثنى عشرة نهارا واثنتى عشرة ليلة على أكتافهم عبر الصحراء الليبية إلى أن بلغوا مستنقع تريتونيد. ولما لم يجدوا مخرجا منه حثهم أورفيوس على تكريس تريبود آبوللو (كرسي برونزي ذو ثلاث أرجل) الذي كان معهم في السفينة إلى الآلهة المحلية ككفارة لعودتهم. وما فعلوا ذلك حتى جاءهم تريتون (هذا هو الإله حامي البحيرة والمنطقة المجاورة وكان يظهر بمظهر أوربيلو) وقدم إليهم كتلة طين التقطها من الأرض كهدية ضيافة ولم يأنف أوفيموس من قبولها. وبعد ذلك ساروا في الطريق الذي دلهم عليه تريتون مسرورين. وأخذ الإله التريبود واختفى عن أعينهم. ولما بلغ الآرغونوط جزيرة أناق قص أوفيموس على جازون حلما كان رآه في منامه وما سمعه جازون حتى نصحه بإلقاء كتلة الطين في البحر ذلك لأن الآلهة كانت قد قدرت ولادة جزيرة يسكنها أحفاده. وهذا ما حدث فعلا، أي أن جزيرة كالليت اوثيرا نشأت واستقر فيها أحفاد أوفيموس .

وتختلف هذه الرواية عما أورده بيندار أولا في أن السفينة لم تصل إلى تريتونيد من المحيط بل من البحر الأبيض المتوسط. والفرق هذا قد حدث لأن آبوللونيو قبل رأي من طاب له أن يمخر الآرغونوط البحر من كولكيد نحو الغرب. أما هدية التريبود التي دفعت تربتون إلى إرشاد الآرغونوط إلى المسار فإنها تتصل برواية أخرى للخرافة. ولم يذكر بيندار أن الآرغونوط كانوا يهيمون على وجوههم ضالين الطريق، ثم

إن كتلة الطين كانت بالنسبة له هدية طوعية غير مستوجبة لمقابل، وفضلا عن ذلك ينسب بيندار النبوءة إلى ميديا في حين ينسبها آبوللونيو إلى جازون. وأخيرا فقد كانت جزيرة ثيرا في الوجود بالنسبة لبيندار في حين يذكر آبوللونيو أنها نشأت في هذه المناسبة، ولا شك في أن هذا التفصيل يتصل بالرواية التي كان يعتقد بموجبها بأن هذه الجزيرة قد خرجت فجأة من البحر ولعلها كانت ذائعة في زمن آبوللونيوس، إذ كان من المحتمل جدا أن تكون ثيرا قد اجتاحتها هزات أرضية قبل ذلك بقليل في حين لم يكن يعرف شيء عن هذه الزلازل في عصر بيندار [3].

إن مرجع هذه الخرافة هم دون شك القورينون أنفسهم ويبدو أنها وضعت للإشادة بقوريني وإظهار أن اسمها العظيم قد جاء في النبوءة منذ القدم ويبرر حق المستوطنين المينيين في احتلال تلك المنطقة في ليبيا. وما كان يمكن درجها في خرافة أفضل من خرافة الآرغونوط التي هي مينية أصلا. ثم لما كان من الضروري ذكر قوريني، حيث وجد المينيون بعد طول مطاف مقرا ثابتا وميمونا، وقد حورت الرواية بحيث جعلوا الآرغونوط في رحلتهم من بلاد الفاسيد شرقا يسلكون ذلك الطريق الذي أدى بهم إلى مستنقع ترتونيد. وليس هناك إجماع على موقع هذا المستنقع، بيد أن الغالبية تقول إنه في سرت الصغرى أقرب إلى قرطاجنة منه إلى قوريني رغما عن أن خرافة منشأ قوريني تبدو أنها تشير إلى منطقة قريبة من هذه المدينة. وهناك عدد غير قليل من الأقدمين الذين يضعون التريتونيد في سرت الكبرى ومنهم فريسيد القديم، ولو أنه أقل دقة عندما يقول أن إيرازا تتاخم التريتونيد - ولكن لهذا السبب نفسه يتوافق مع تفسيرنا – وفضلا عن ذلك يقول خاليمقوس، ويجب الوثوق فيه تماما لأنه كان من مواليد قوريني وجغرافي دقيق، يقول إن المستنقع كان يجاور قوريني. وقد كتب يقول عن قوريني : " وحدها بقرب مياه التريتون الآسبستي ". ولا يخفى أن قوريني كانت تقع في منطقة الآسبيست، وسترابون كذلك يضع برنيق وهي مدينة في غرب قورينايا "بقرب مستنقع تريتونيد". ويتحدث كل من بليبنوس [4] وسولينوس [5] عن مستنقع كبير يقع بقرب مذبح الفيلبيني على حدود قورينايا الغربي يصب فيه نهر التريتون ومنه اشتق اسم المستنقع. وأخيرا رأى دلا تشيللا في أقصى بنغازي وهي مدينة تقع على خليج سرت الكبرى، بحيرة متصلة بالبحر بمضيق ضيق ولا يشك في

أنها التريتونيد. وهكذا في الوقت الذي يضع فيه شهود عيان يوثق فيهم بحيرة التريتونيد في قورينايا (وبيندار ذاته الذي يورد روايات قوريناية لا يبدو أنه شاهد يمكن إهماله ولا شك) فإن هيردوت ينقلها قبل غيره إلى سرت الصغرى، بينما يبدو محتملا أن تيرتونيد الذي كان يطلق أصلا على بحيرة في بئوتيا قد جاء مع المستوطنين المينيين إلى ليبيا وأطلق في بادئ الأمر على المستنقع القريب من قوريني ثم أطلق على المستنقع الآخر الأبعد.

تسلم إذن أوفيموس الذي يعتز الباتيون بالإنحدار منه، كتلة الطين بالقرب من هذا المستنقع من يد تريتون (تريتون واوفيموس أخوان من ذرية نبتون) ومنحه الإله حامي المنطقة مع هدية كتلة الطين الليبي هذه ومنح ذريته من بعده ملك تلك الأرض. وبما أن الجالية التي هاجرت من ثيرا إلى ليبيا كانت من المينيين وأن كتلة الطين سقطت في البحر بقرب هذه الجزيرة، نسبت الرواية سبب عدم مجيئ المستوطنين من لاقونيا مباشرة إلى ليبيا بل عن طريق ثيرا، إلى أمر إلهي محتوم. ولا عجب بعد هذا أن يسمى أوفيموس حسب أسطورة شائعة، تيناريو وأن تتشابك في الخرافة علاقات المينيين بنساء ليمنوس لأن القورينيين يرجعون أصل أجدادهم إلى هذه العلاقة. وأخيرا أن ما جاء في نبوءة ميديا من أن : " أحفاد أوفيموس من الجيل الرابع سيؤسسون قوريني مع الداناي وبعد طردهم من البلوبونيز، إذا حمل أوفيموس كتلة الطين إلى نهر التينارو " يخص الهجرة الدورية بوضوح وهي التي أكرهت الداناي (آكاي البلوبونيز) بصحبة المينيين والايجديين الذي كانوا على صلة نسب معهم إلى الخروج من البلوبونيز تدريجا. وينتج عن ذلك أيضا أن الذين قبلوا المينيين هم الآكاي لا الدوريون.

وفي النهاية عندما قاد باتوس حفيد أوفيموس من الجيل السابع عشر الجالية إلى لبيبا تحققت نبوءة ميديا.

هـوامش الفقرة (18)

(1) آرغونوط – انظر رقم (1) من هوامش الفقرة (8).

(2) آبوللونيوس روديوس (APOLLONIUS R.) : شاعر ونحوي إغريقي إسكندري، عاش في عصر البطالمة (222-181 ق.م) كان تلميذا لخاليمقوس القوريني وقد تخاصما فيما بعد. كتب في شبابه " أرغاناوتيكا " وموضوع هذا العمل رحلة الآرغونوط الخرافية، في 4 أجزاء. له مجموعة قيمة من الشروح والهوامش. كما له كتب في النحو والنقد – تولى إدارة مكتبة الاسكندرية الشهيرة من عام 196 ق.م حتى وفاته – .

(3) ثيرا (THERA) انظر الهامش رقم (3) من المقدمة.

(4) غايوس بلينيوس سقندوس : عالم روماني ولد بقومو (شمال إيطاليا) في عام 23 ق.م. مؤلفه " التاريخ الطبيعي " في 37 مجلدا يعد موسوعة زمانه. مات قرب بومبي على أثر ثورة بركان فزوف عام 79.

(5) غايوس يوليوس سولينوس : نحوي وكاتب روماني. عاش في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي. كتب " مجموعة العجائب " وهو وصف مقتضب للعالم القديم مع تعليقات تاريخية واجتماعية دينية.

- 19 -

أوجه أخرى لهذه الخرافة

قصة الآرغونوط هؤلاء الماخرين بسفينتهم في مستنقع تريتونيد والنبوءة التي بشروا بها وقد تناولها الشعراء بالتنويع بما لا حصر له، نجدها مزينة وفي أشكال متباينة. فيقول هردوت : " يصب نهر التريتون في مستنقع تريتونيد الكبير حيث توجد جزيرة " فلا ". وهناك نبوءة لدى أهل سبارطة فحواها أنهم موعودون بمستوطنة في هذه الجزيرة. ويحكى كذلك أن جازون وهو على ظهر سفينته في طريقه إلى دلفي دفعت به الرياح نحو ليبيا فجنحت سفينته على صخور ساحل بحيرة تريتونيد. وإذ كان يفكر كيف ينجو بسفينته ظهر له تريتون وطلب إليه أن يهديه التريبود الذي كان مكرسا لإله دلفي. ولما استجاب جازون، أرشده تريتون على مخرج مأمون خلال الصخور وأودع التريبود في معبده. ولكن التريبود نفسه تنبأ لجازون بأنه فيما إذا اختطفه (أي التريبود) أحد الآرغونوط فسيكون مقدرا لذريته بناء مائة مدينة اغريقية بقرب بحيرة تريتونيد. ولما علم السكان الأصليون للبلاد بذلك أخفو التريبود ". ويقول ديودورس بأن التريبود كان محفوظاً في الأزمنة المتأخرة لدى سكان أوسبيريدس.

ورغما عن أن هردوت يضع مستنقع تريتونيد، الذي حواليه وقعت هذه الحوادث بقرب سرت الصغرى، يبدو مع ذلك أن نفس الخرافة التي أوردها محورة كل من بيندار و آبولونيوس تحافظ على ملامح خرافة هردوت ولكن هذا لم يشتبه اطلاقا بأنها كانت تخص نشوء قوريني. ولهذا فإن الآسبست كذلك وهم قوم كانوا يسكنون بجوار قوريني قد أخفوا كما يقال هدية القدر هذه وحرص أهل اسبيريدس حتى في الأزمنة المتأخرى للاحتفاظ لديهم بذلك التريبود الذي كانت منقوشة عليه حروف قديمة جدا، ومن هذا كله يتضح أن مستنقع تريتونيد كان يقع في قوريناي .

ولكن في هذه الرواية يحل التريبود أو كأس القربان محل كتلة الطين. وإذا ما تسلم تريتون أحد هذه الأشياء ينسب المينيون لأنفسهم ملك المنطقة فيما يأتي من الأيام، لنفس السبب الذي من أجله كانت كتلة الطين بديلة لهذه الهدية في رواية آبولونيوس. أما ما قيل من اخفاء الهدية فإنه يعني بأن جالية من المينيين قد حلت في وقت لاحق في هذه الأرض كما يعني بوجه خاص بأنهم لم يحتلوا قوريناي دون صراع .

- 20 -

قصة منجزات هرقل بليبيا

قد بلغنا نقطة تحتم علينا التحدث عن الصراع الذي اضطر إليه الإغريق مع الوطنيين عندما أرادوا الاستقرار على ساحل ليبيا. رغما عما سبق أن ذكرناه من أن المستوطنين قد حلوا في مقرهم في هذه المنطقة دون أن يلاقوا مقاومة كما يبدو، فإنه لا يسعنا إلا الشك فيما إذا كان الليبيون قد تنازلوا عفوا عن الأرض الجميلة الخصبة التي شيدت عليها قوريني. بيد أن الذائع من الأخبار لا يتوسع في ذكر مقاومة محلية ولعل ذلك ليقال أن الاستيلاء على هذه الأرض إنما جاء نتيجة لحق مكتب للإغريق. ولكن جوستينوس يروي أن المستوطنين قد احتلوا البلاد بعد رد هجمات سكانها. ويقول باوزانياس أن آنكيونيد أو كيونيد السبارطي الذي كثيرا ما كان يفوز في مباريات الألعاب الإغريقية قد قدم المساعدة إلى باتوس عندما كان هذا يقود رجاله لرد هجمات الوطنيين المجاورين .

ومن هذا يتضح أن بين أفراد الجالية كان يوجد بعض السبارطيين رغما عن أن الثيريين كانوا الأغلبية. فلا أكاد أصدق أن انكيونيد، وهو من علية القوم، أن يكون هاجر من بلده بمفرده دون أن يكون معه رفقاء. فكما أن سبارطه كانت تعتبر الوطن الأمم لثيرا كذلك كانت قوريني تعتبر مستعمرة للسبارطيين (أن السبارطيين الكثيرين الذين وجدوا فيما بعد بقوريني من المحتمل أنهم جاؤوا إلى ليبيا في عهد باتوس السعيد). ورغما عن إنشاء المينيين لها تحسب من المستوطنات الدورية كتيريا الأم وميلوس وغورتينا.

ولنعد إلى الصراع الذي خاضه الإغريق ضد الليبيين لإنشاء مستوطنتهم وإنمائها. نقول إن هذا الصراع قد أشير إليه في بعض الأساطير التي نشأت بقوريني دون ريب، أي صراع آنتثوس ضد هرقل الذي سرق تفاح الاسبيريدس. خرافة هرقل وأنتثوس معروفة. ويقع الصراع في أماكن مختلفة جدا وتتباين من راو إلى آخر. لكن فريسيد المؤلف القديم لهذه القصة يروى لنا أن أنتثوس، الذي قتله هرقل فيما بعد، كان يسكن بايرازا. وعليه فإن الروايات القديمة نذكر أن مكان الصراع كان

قورينايا. وما من سبب لأبعاد آنتثوس فيما إلى موريتانيا على الحدود الغربية إلا لأن هذه الأسطورة لها صلة بالاسبيريدس. وإلى موريتانيا هذه كانت تبعد كافة الأشياء العجيبة بعد أن زادت المعلومات الجغرافية .

يرشدنا بيندار في عرض أصل الخرافة معناها فيروي أن : " آنتئوس ملك إيرازا، وقد عزم على تزويد إبنته وضعها رهانا لإحدى المباريات الرياضية بحيث أن أول من يبلغها في نهاية الشوط يتزوجها. ففاز بها آليكسيداموس أحد طلاب يدها فتزوجها. (ومن هذا الرجل ينحدر تلسيكراتيس القوريني الذي فاز في الألعاب البيتية. ويبدو أن بيزاندروس الكاميري كان على علم بهذه الرواية بدليل أنه يطلق اسم " الكيس " على هذه العذراء. أما اسم برقة الذي يطلقه غيره عليها فمشتق من اسم مدينة برقة ولا شك، كما اشتق اسم العروسة قوريني من اسم قوريني المدينة. وآنتئوس هذا هو نفس الشخص الذي يحكى أن هرقل قتله. والواقع أن كلاهما سكن في إيرازا. وبما أن اسطورة آنتئوس الذي قهره هرقل تتصل بهذه الصورة بالأحداث التي تبدو متعلقة بزمن احتلال الإغريق لليبيا، لا يساورنا شك بأن الأسطورة نفسها، وقد خلقت عند وصول الإغريق إلى ليبيا قد طويت وأرجعت إلى زمن الأساطير (مثلها مثل اسطورة العروسة قوريني واسطورة الآرغونوط) ونسبت إلى هرقل (قائد) الدوريين (ومن بينهم القورينيون أيضا) وأبرز بطل في قومهم.

أما عن معنى الخرافة فقد قال س.و. موللر وهو محق فيما يقول ولا شك بأنه يرمز إلى الصراع الذي نشب بين المؤسسين وسكان قوريني من الليبيين الأصليين. فكما أن آنتئوس وقد صرعه هرقل يعود ويستمد قوى جديدة من أرضه الأم كما قيل، كذلك يعود الليبيون الأصليون أصحاب الأرض، الذين كثيرا ما كانوا يغلبون ويردون على أعقابهم والذين هرقل رمز لهم في الخرافة. أقول يعود الليبيون على الدوام من صحرائهم لمعاودة الصراع، أن هذا التفسير المبسط جدا للخرافة (لقد عرضه لأول مرة هولمان ولكنه أخطأ حين ظن أن هرقل يرمز إلى القرطاجينين) تؤكده رواية ديدوروس كذلك فيقول أن هرقل بعد مصرع آنتيئوس قتل السباع وأسس عبادة الحقول والكروم والزيتون وحاول أن يعلم الآفريين طريقة للحياة متحضرة. ومن البديهي أن الغاية من هذه الكلمات هو الإشارة إلى أن الحضارة الإغريقية المستوردة أرفع وأرقى .

- 21 -

خرافة الاسبريديين

لا شك في أن معنى خرافة هرقل الذي يختطف تفاح جنة الأسبريديس ينطوي على نفس المعنى السابق. أن أسطورة الأسبريديس وتفاحها الذي كان يحرسه ثعبان، أقدم من تأسيس قوريني ولا شك. لأننا نجدها لدى ايزيود وهو يحدد موقع هذه الجنة بالغرب الخرافي مما وراء المحيط. بيد أن أسطورة صراع هرقل مع الثعبان قد أضيفت إليها في وقت متأخر جدا. وفيريسيد الذي يعين وجود جنة الأسبريديس بقرب المحيط ويتحدث عن هرقل الذي يستحوذ على التفاح بمساعدة آتلاس يتجاهل ذلك الصراع. ولكن يبدو أن هذه الخرافة كانت معروفة لدى بيزا أندرو الكاميري وهو أقدم من فريسيد وشهير في عصر يلي زمن تأسيس قوريني بقليل، إذ أنه يتحدث عن الثعبان ابن الأرض ويخالف بذلك كلا من ايزيود وفريسيد. ويتحدث الشاعر بانيازي، وعصره متوسط بين عصري بيزاندرو وفريسيد، في ملحمته " هرقلية "، عن هرقل المتصارع مع الثعبان. والواقع أن في هذا الزمن تقريبا تحولت خرافة جنة الأسبريس القديمة إلى اسطورة تاريخية يتخذ فيها الثعبان نفس معنى آنتيئوس ابن الأرض الذي اضطر إلى الاستسلام لهرقل أي للمستوطنين الإغريق، وهذا رغما عن أن في زمن بانيازلم يكن أمر هذه الخرافة معروفا كما يبدو لأنه من المحتمل أن تكون وصلت إلى فريسيد بهذه الصيغة. فمن البديهي إذن أن يقترن أصلها ومكانها بتأسيس مدينة اسبيريدس وفعلا قد شيدت مدينة اسبريدس في الناحية الغربية من قورينايا بعد مرور مائة وثمانين عاما على تشييد قوريني. وكانت منطقتها تمتدح لخصبها لأن الأرض كانت في أفضل الحالات تغل مائة مثل. لهذا الخصب غير العادي دون شك حدث أن سميت المنطقة بجنة الأسبريدس كما سمي بيندارا المنطقة الواقعة بقرب قوريني " بجنة جوبيتر " بصورة عامة. ولما تواجهت خرافة عرائس الاسبريدس القديمة مع اسم هذه المدينة ومع بهجة أرضها أصبحت المنطقة مقرا لعرائس الاسبريدس. ورغما من أن حتى بعض الكتاب الحديثين يقول بأن موقع الجنة في مكان آخر فإن كثيرين غيرهم، مثل سيلاكس وآبولونيوس روديوس وبطليموس ولو كان وبلينيوس، يعتقدون بأنها بقورينانيا في مكان لا يبعد عن اسبيريدس ومستنقع

تريتونيد. ومن المؤكد أنه كان هناك مكان بهيج جدا وقد أنكره كثيرون عن باطل. ومع أن الشعراء لا بد أنهم صوروه أجمل مما كان حقيقة فإن طبيعة المكان حتى اليوم لا يكذب ذلك الوصف. والثعبان الذي بقي حتى الآن دون اسم، يعرف الآن بأنه لادون وهو بالبداهة مشتق من لادون النهر الذي يروي جنة الاسبريدس. ومن هذا يتضح لما هذه الخرافة كثيرا ما تقرن بخرافة آنتيئوس.

وأخيرا تشير الخرافات التي تتحدث عن وجود ترواديين بليبيا إلى الصراع بين المستوطنين والسكان الأصليين. فقد كان شائعا بين القورينيين بأن الآنتنوريين المهاجرين من ترواده قد مروا بليبيا مع هيلانه ومنيلاو وقد كان القورينيون يجلونهم كأبطال محليين. وكذلك كان الليبيين اسطورتهم يرددها الإغريق نقلا عن الترواديين أي المازيغ الذين كانوا يقطنون غرب بحيرة تريتونيد الكبرى. فعليه، فكما اشترك اويبلوس مع الإغريق في الحرب ضد الترواديين كذلك نقلت الأساطير الترواديين إلى ليبيا. بحيث يستمر الصراع، بين الشعبين اللذين كانا يتكارهان، في الأراضي الليبية كذلك. أما كون هذه الخرافة قد راجت في زمن تأسيس قوريني أو بعد ذلك في دور عزها فأمر غير واضح .

هوامش الفقرة (21)

(1) ايزيود : شاعر إغريقي عاش في القرن الثامن ق.م، يعتبر أب الشعر التعليمي. أهم أعماله الشعرية " الأعمال والأيام " يتضمن تجاربه في العمل من يوم إلى يوم، تتخلله حكايات ونبذ من تاريخ حياته، غايته تربوية .

(2) اسبيريدس : أي بنات آتلاسن الثلاث، وكان لهن جنة فيها شجر ينتج تفاحا من ذهب يحرسه تنين ذو مائة رأس. قتل هرقل التنين واستحوذ على التفاح. هذا في الأساطير الإغريقية. أما اسم اسبيريدس في التاريخ فيطلق على مدينة بنغازي في عصور الإغريق. وإليها تنسب الجنة الخرافية .

(3) سيلاكس القورياندي : مؤرخ يوناني (521-485 ق.م) كلفه دارا الفارسي بارتياد مجرى نهر الهندوس. فبدأ رحلته من غاسباتيروس (وهي غير معروفة الآن) وقال عنه هردوت أنه بلغ البحر فركب المحيط الهندي شرقا على أن بلغ البحر الأحمر. وضمن مشاهداته في كتاب أشار إليه أرسطو. وإليه ينسب كتاب يصف فيه رحلة في البحر الأبيض المتوسط خاصة الساحل الليبي حتى قرطاجنة .

ترتيب تواريخ إنشاء قوريني

- 22 -

روايات الأقدمين وفحص صحتها

أما وقد شرحنا حتى الآن ما يتعلق بمنشأ المستوطنة وأصل مؤسسها، يمكن القول أنهما متوافقان في مجموعهما، ننتقل إلى مناقشة تاريخ تأسيسها. ولكن المؤرخين مختلفون في هذا الأمر اختلافا يمكن القول معه أنه لا توجد مسألة إقرار تاريخ أثارت جدلا أكثر منه. والواقع أن ثئوفراستوس وبلينيوس وسولينوس وأوزيبيوس [1] وهم أقدم من تحدث عن الموضوع قد زادوا المسألة تعقيدا لعدم اتفاقهم فيما بينهم. ودرج بعض من جاء بعدهم على عرض حجج التأييد، متبعين هذا أو ذاك من أولئك الأقدمين، أو على محاولة إيجاد طريق جديد فبنوا قصوراً من الافتراضات. وستعرض والحالة هذه آراء الأقدمين واحداً واحداً .

وليكن ثئوفراستوس أولهم لأنه أقدمهم ولعله بالتالي أوثقهم خبرا في الموضوع. فقد قال أن القورينيين قد سكنوا مدينتهم قبل أن يتولى الآركونت سيمونيد الحكم بأثينا بثلاثمائة سنة تقريبا ويضيف أن هذا لا يشكل تاريخا مضبوطا. وبما أن سيمونيد كان آكونتا في العام الاولمبي 117,2 أي قبل المسيح بثلاثمائة وإحدى عشر سنة، يتبع ذلك أن قوريني قد شيدت في عام 611 ق.م. فلنترك هذا التاريخ على ما هو غير محقق وننتقل لغيره .

ويقول بلينيوس أن قوريني بنيت في عام 143 لروما أي في عام 611 ق.م. وكان تورسيو يعتقد أن هذا التاريخ خاطئ وأنه يجب تصويبه بمائة وسبع وثلاثين سنة لروما بحيث تنسجم عبارة بلينيوس مع رأيه في أن قوريني كانت شيدت في عام 41,1 الاوليمبي. وبما أنه ذهب إلى هذا الرأي نتيجة لقراءة خاطئة لسولينوس، فإننا لانجد ما نغير فيما قاله بلينوس. بيد أن بلينيوس كثيرا ما كان ينقل عن ثئوافراستوس وكذلك فعل عندما أقر هذا التاريخ فقال باطمئنان أن قوريني كانت

شيدت في عام 143 لأن سيمونيد كان آركونتا في عام 443 لروما. ولذلك أقول أنه ليس بشاهد يعتمد عليه .

ويؤكد سولينوس أن باتوس أسس قوريني حين ما كان آنقوس مارتسيوس ملكا على روما في عام 586 بعد سقوط ترواده. ولاحظ كاميرس أن التاريخين يتفقان إذا صوبا كالتالي : عام 41 الاولمبي وعام 568 لترواده. وقد أخذ برأيه دلريوس مخالفا بذلك إجماع كافة المراجع. وقد قبل كثير من العلماء هذا التعديل على أنه صواب كسكايجرو الذي أخذ بتاريخ 41,1 (أي 616 ق.م) أما مورسيو فلم يخدع بما قاله سولينوس وبما جاء به سكاليجرو من حجة في كتابه " قولقتانئا " وذهب إلى ضرورة تعديل عبارة بلينيوس كما أسلفنا القول. وحاول يونسيوس وبلليوس ودودوليوس حاولوا جهدهم للتدليل على أن سولينوس قد سبق زمن تأسيس قوريني بأولمبية واحدة بالنسبة للسنة التي أوردها بلينيوس. وعليه ونتيجة لذلك التعديل الخاطئ، يدحض رأي من يقر أن قوريني قد أسست في العام 41,1 الأوليمبي. ولكننا إذا اعتبرنا التاريخ الذي أورده سوليتوس على علاته، فإننا نقرأ أن المدينة قد أسست في عام 586 لسوقط ترواده أي في عام 45,2 الأوليمبي أو في عام 599 ق.م. وهذا ينسجم تماما مع العام الأوليمبي الذي ذكره. وهنا يبدو أن ما أضافه من بيان يخالف هذا الرأي أي أنه تم التأسيس عندما كان آنقوس مارتسيوس ملكا على روما. ولكن يمكن التغلب على هذه الصعوبة أيضا إذا نحن قررنا، بالاتفاق مع سالمازيو بأن المصدر الذي استقى منه سولينوس يرجع تاريخ تأسيس روما إلى عام 12,4 أوليمبي. والواقع أن بين تأسيس روما ووفاة آنقوس مارتسيوس 137 عاما أي 34 أوليمبية وإذا أضفنا إليها الاثنتى عشر أوليمبية الأخرى يكون المجموع 46 أوليمبية وبذلك يكون أنقوس مارتسيوس مازال حيا في الاولمبية 45. وبذلك لا يخالف تئوفراستوس. فقد انقضى بين الأولمبية 45 والأولمبية 117، عندما كان سيمونيد آركونتا، 288 عاما أي ما يقارب الثلاثمائة عاما مما يتحدث عنه تئوفراستوس. وبين الحديثين من الكتاب الذين قبلوا التاريخ الذي اثبته سولينوس حسبنا أن نذكر سالمازيو وبتافيو، ولكن أولهما اتبع سولينوس فقال

بوقوع أول أوليمبية عام 880 ق.م. وبذلك ابتدع تاريخا جديدا يحسب منه. بيد أنه لا يمكن أخذ هذا بعين الاعتبار إذا راعينا إهمال سولينوس وكثرة الكتاب الذين استقى منه. ولنترك للباحثين في المستقبل تقرير ما إذا كانت رواية سولينوس تطابق الواقع ونكتفي بالقول بأن الحكم على أساس نفوذ سولينوس غير مأمون وهو كاتب ليس له أهمية بالغة. ومهما يكن من أمره فإنه من الغريب أن يعتبر كثير من المتبحرين سولينوس خبيرا وهو بهذا التشويش ونحن نجهل مصدر نبذته عن قوريناي ولكننا نعلم حق العلم إهماله في استعمالها بالمقارنة لاستعمال بلينيوس لها.

وأخيرا ليس في قول أوزيبيوس عن تأسيس قوريني أي انسجام فهو يشير إليه ثلاث مرات بتواريخ مختلفة أي عام 683 لابراهيم الخليل (1333 ق.م.) ثم عام 1250 (5,3 الأوليمبي و 758 ق.م) وأخيرا عام 1385 (37,2 الأوليمبي و 631 ق.م). ورغما عن أن عدم اتساق هذا الكاتب يوحي بقليل من الثقة، فإن سكايجرو دافع عن تباين أقواله ذاكرا أنه نقل عن كتاب كثيرين. وحتى إذا قبلنا هذا، ونظرا لأن أوزبيوس عاش في زمن متأخر جدا وأخطأ أكثر من مرة في تاريخ إنشاء قوريني، كان من المفروض أن يعرف أولئك الكتاب العديدين، وهو الذي كان يريد أن يستخلص منهم نتائج ثابتة ومحققة. ولكن سكايجرو لم يكن يرى هذا الرأي، فقد أراد الدفاع عن تعديل دلريوس الخاطئ لرواية سولينوس وظن أنه كان يمكنه الاعتماد على وزن أوزبيوس في ذلك فأكد أن كل ذلك لم يكن نتيجة لعمل : " باتوس واحد، فهو لم يشيد المدينة في دفعة واحدة ولكنه كان البادئ لملك الباتين ". ولكن هذا الافتراض تعارضه شهادة جميع الاقدمين وشهادة أوزبيوس نفسه معارضة واضحة. فهم جميعا لا يعرفون أي مؤسس لقوريني سوى باتوس هذا. وقد لاحظ هذا سبانهميو و راوول – روشيت. ولا يمكن والحالة هذه الإقرار بأن سكايجرو قد تغلب على الصعوبة. وبينما التاريخان اللذان أوردهما اوزبيوس لا يبدوان مقبولين لدى الكثيرين لرجوعهما على الوراء كثيرا، فإن غالبية الكتاب الحديثين قد استحسنت التاريخ الأخير الذي يقر تاريخ إنشاء قوريني في عام 37,2 الأوليمبي (عام 631 ق.م.) ورغما عن أن هذا الافتراض كذلك لا يبعد كثيرا عن التاريخ الذي

قدره تئوفراستوس، ذلك لأن بين 631 و 311 ق.م – عام تولى سيمونيد منصب الأركونت بأثينا – ثلاثمائة وعشرين عاما أي ثلاثمائة عام تقريبا، إلا أنه لا يمكن الركون إلى شهادة أوزبيوس إلا إذا تأكدت بحجج أخرى .

هوامش الفقرة (22)

(1) اوزيبيوس القيصري : أسقف قيصرية ابتداء من عام 313 و 315. مؤرخ للكنيسة المسيحية. واسع الإطلاع والثقافة وكان من مؤيدي الإمبراطور قسطنطين البيزنطي. كتب : " تاريخ الكنيسة المسيحية " فأورد فيه معلومات قيمة عن القرون الأولى من نشوء المسيحية. و" الوقائع " ويتضمن تاريخ العالم باختصار وقوائم بأسماء ملوك مختلف الأمم مع بيانات عنهم و" حياة قسطنطين " وأعمالا دينية أخرى .

- 23 -

تقرير زمن تشييد قوريني الحقيقي ما أمكن ذلك

أما وقد رأينا بأننا لم نستطع الحصول على رأي قاطع من المصادر القديمة، نرى لزاما علينا أن نبلغ نهاية الشوط، وأن نبحث عن الحقيقة من معلومات أخرى انحدرت إلينا ولها صلة بنشوء قوريني. وقد سلك هذا السبيل بعض المؤرخين الحديثين وناقشوا الموضوع نقاشا علميا. بيد أننا لا نرى أن نتبع في هذا الاتجاه سكايجرو ومارشاميو ودودوليوس لأنهم يضعون نصب أعينهم تأييد حسابات سولينوس وأوزبيوس التاريخية، وفضلا عن ذلك فقد فسر مارشاميو عبارات أوزميوس تفسيرا غير دقيق. وسلك راوول – دوشيت طريقا آخر فطرح جانبا هذه النصوص وبذل كل جهده لتعيين المدة التي يمكن الاعتماد عليها بمقارنة جميع المعلومات التي لديه. ولكننا سنرى أنه هو أيضا لم يتمكن من وضع افتراض مقبول بدرجة كافية. وعليه سنحاول أن نحدد، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، الزمن الذي يمكن أن نضع فيه بداية المدينة من نفس الحوادث التي وقعت في نفس الزمن بعد أن نستبعد بيانات القدماء المبهمة. ولا تنقصنا لهذا الغرض لحسن الحظ الحجج التي يمكن أن نستخلص منها تاريخا تقريبيا دقيقا إذا لم نتمكن من استخلاص السنة ذاتها بالتحديد.

ونبدأ بهردوت الذي يقول إن سفينة من ساموس كانت متجهة إلى مصر توقفت بجزيرة بلاتيا سبع سنين قبل عهد بسامتيك الذي استولى منفردا على الحكم في عام 656 ق.م.، لم يكن بين الإغريق والمصريين علاقات تجارية. ومن هذا يتضح أنه يتعذر أن تكون قوريني قد نشأت قبل عام 648 ق.م.

ويقول باوزانياس، فضلا عن ذلك أن انكيونيد أو كيونيد الذي فاز في دورات الألعاب الأوليمبية من 28 إلى 31، كان رفيق باتوس في إنشاء المستوطنة. وبما أنه ليس من شك في أنه حقق انتصاراته قبل نزوحه إلى إفريقيا بين سنوات 668 و656 ق.م. (وهي السنوات المقابلة للدورات الأوليمبية المذكورة) نجد أن هذه

العناصر تتفق تمام الاتفاق مع المعلومات التي ذكرناها آنفا والتي مؤداها أن قوريني لم تشيد قبل عام 648. زد على ذلك أنه قيل أن انكيونيد ساعد باتوس على رد عادية السكان الأصليين، فلا يمكن إذن أن يتعدى قيام قوريني منطقيا عام 625 ق.م.. ذلك لأننا إذا نزلنا بهذا التاريخ لتعذر على الرجل وقد طعن في السن أن ينزح إلى منطقة غير معروفة وبهذا البعد ولكان عاجزا عن حمل السلاح .

وأخيرا قد حكم باتوس الأول ملك قوريني، على قول هردوت، لمدة أربعين سنة وحكم خلفه آركيسيلاو لمدة ست عشرة سنة مما هو مجموعه 56 سنة. ولما تولى باتوس الثاني، ثالث ملوك قوريني، وقعت الحرب مع آبريس ملك مصر، وبما أن هذه الحرب أدت إلى حرمان باتوس نفسه من العرش وقتله، يبد أن رحى الحرب دارت قبل موته بمدة ليست طويلة. ولكن آبريس مات في عام 570 ق.م. حسب تقديرات استنتجت من هردوت نفسه. وهنا من الضروري إضافة سنوات عديدة بين هذه الحرب ووقت استيلاء باتوس الثاني على الملك، بعد أن انتشر المستوطنون الجدد في أراضي جديدة وكانوا بذلك السبب في قيام تلك الحرب – ويتضح من هذا أن قوريني قد شيدت قبل الحرب مع آبريس بستين عاما على الأقل – ولكن علينا أن نذكر كذلك أن هردوت قد قدم باتوس كملك مرشح على الجالية النازحة من ثيرا وعليه يبدو أنه اعتبر الوقت الذي احتلت فيه جزيرة بلاتيا بداية لملك قورينايا، في أن قوريني نشأت بعد ذلك بسبع سنوات كما ذكرنا. ويتبع ذلك أن المدينة قامت قبل موت آبريس بخمسين سنة أو أكثر. ومن هذا يتضح أن تاريخ تأسيس قوريني لا يتجاوز عام 620 ق.م. – بل قبل ذلك ببضعة أعوام – وهذا يتفق مع ما قلناه عن انكونيد رفيق باتوس .

ولا يخالف ما ذكره ثئوفراستوس كذلك هذا الاستنتاج ولو أنه لا يحدد الزمن بدقة.

وعليه نعتبر أننا أثبتنا ميلاد قوريني بين عام 648 و 625 ق.م. (أشك في أنه من غير الممكن الحصول على تقريب أكثر) وأصبح خارج نطاق البحث ما قاله سولينوس من أنها تأسست قبل عام 599، وكذلك أصبح التاريخان الأولان

اللذان ذكرهما أوزبيوس. بينما التاريخ الثالث الذي اقترحه أوزبيوس أي عام 631 ق.م. لا يمكن أن يكون بعيدا عن الحقيقة. وعليه فإننا سنتخذ هذا العام نقطة انطلاق في عرض تاريخ قوريني ولو أنه لا يمكن قبوله نهائيا لمجرد صدوره عن أوزبيوس وحده، بل أننا نتبناه لقربه أكثر من غيره من الزمن الحقيقي ولعدم وجود ما يفضله. اختم مذكرا القارئ بأن هذا التاريخ الذي جاء به أوزبيوس نفسه أو نقلا عن أحد المراجع إنما حدد باستنتاج شبيه باستنتاجنا، ولا أخاله قد أوفى بالغرض بطريقة نهائية دقيقة .

ـ 24 ـ

مناقشة الاعتراض على هذا التاريخ

تفادياً للاعتراضات التي يمكن إثارتها على مناقشتنا في التأريخ هذه لعله من الخير أن نواجه بعض الشكوك ومسائل أكثر خطورة. فإذا ما وجدنا لها الحل فإنه سيسهل تعزيز المناقشة والدفاع عنها.

إن وحي الإله الدلفي الذي وعد قوم باتوس بحكم قوريني لثمانية أجيال أنذر في الوقت نفسه القوم هؤلاء بألا يتمسكوا بالحكم مدة أطول. هذا ما قاله هردوت. ونتيجة لهذا فإن حكم الباتيين يكون قد انتهى عندما كان هردوت يكتب تاريخه ولو أنه لا يتعرض إلى الموضوع بشيء. فلو توفرت لدينا معلومات أكيدة عن الوقت الذي وقع فيه ذلك لربما أمكننا الانطلاق منه وتقدير تاريخ ابتداء الملك القوريناني. ولكننا لا نعلم إلا القليل عن الزمن الذي نشر فيه هردوت كتابه، كما أنه يتحتم علينا أن نخمن أن نوعا من الحكم الجمهوري كان قائما منذ وقت قبل أن يبدأ تداول هذا الكتاب ـ فلا فائدة إذن من التمادي في الموضوع والأولى البحث بطريقة أفضل في تبدل نظام الحكم ذلك .

كتب بيندار القصيدتين البيتيتين الرابعة والخامسة على شرف آكيسلاو آخر باتي وآخر ملك. ولكن الانتصار الذي تغنى به الشاعر إنما أحرزه آكيسلاو في الألعاب البيتية الإحدى والثلاثين الموافقة لعام 78,3 أوليمبي وعام 466 ق.م. ومن المحتمل أنه قتل بعد ذلك على أثر الخلافات الداخلية التي كانت تعاني منها قوريني كما يخبرنا بيندار. وتبع ذلك إلغاء السلطة الملكية بقوريني في تاريخ لا يتجاوز عام 466 بكثير. وبما أن آركيسلاو نفسه فاز بأوليمبياد في سباق العربات في الدورة جاز لنا الاستنتاج بأن الملك قد انتهى بعد الدورة الأوليمبية الثمانين أي بعد عام 360 ق.م. فإذا أضفنا إلى هذه السنين الأجيال التي تحدث عنها الوحي الدلفي باعتبار خمس وعشرين سنة لكل جيل، يجب أن نحصل على تاريخ تأسيس قوريني.

أما كون ما استنتجناه من تأريخ لا يضعف ولا يتأثر بفعل الحساب سالف الذكر، فإننا نبرهن عليه بما يلي : أولا أن الحساب هذا يتعارض أساساً مع ما أورده هردوت من عثور بعض أهل ساموس وهم في طريقهم إلى مصر على قوروبيوس بجزيرة بلاتيا. وفضلا عن هذا فإن الوحي الدلفي رغما عن صحته، يكتنفه الريب نتيجة لعدد الأجيال المحدد برقم صحيح لا كسر فيه. والوحي لا يجيء في أبيات شعرية بل في نثر حر وكان عرضة للتبديل والنقل عن الذاكرة محرفا. ومن المحتمل كذلك أن الوحي لم يكن يقصد بعبارة " ثمانية أجيال" سوى الزمن المحدد بملك الباتيين .

والآن فلنواجه الشك الثاني. بما أن معلق (سكولياست) بيندار يقول أن ملك الباتيين قد انقرض بعد مائتي سنة بنهاية آركيسلاوي، يبدو أن قوريني قد أسست حوالي عام 660 ق.م. لاما لا يتفق مع التاريخ الذي أستنتجناه. ولكن هذه الإشارة مشكوك فيها للعدد الصحيح الذي توره على أساس قول المعلق المشحون بالأخطاء في هذا المكان – فهي إذن لا تقنعنا لأنه من البديهي أن المعلق قد نقل خبره عن الوحي نفسه كما أورده هردوت. ونضيف أننا برهنا على أن السلطة الملكية قد ألغيت بعد عام 460 ق.م، فقط. على أن هذا لا يتنافر كما يبدو مع افتراضنا نشوء قوريني بعد عام 648 ق.م.

وأخيراً ينقل إلينا بيندار وقد كان أقرب الكتّاب الذين ذكرناهم حتى الآن من زمن نشوء قوريني وكان يعرف بكل تأكيد كل هذه الأشياء حق المعرفة لما بينه وبين القورينيين من روابط الصداقة، فيقول أن جالية قوريني قد نزحت في الجيل السابع عشر بقيادة اوفيموس. ولا يبدو أن هذا الخبر اختلقته نزوة الشاعر الذي كان ملزما باتباع وجهة نظر معاصريه. والآن إذا طرحنا من عهد أوفيموس أو من عهد رحلة الآرغونوط سبعة عشر جيلا تأتي النتيجة بتاريخ جديد يختلف كل الاختلاف عما قبلناه. ونذكر في هذا المقام بأنه لا يمكن أن ننسب إلى هذا العصر حسابا تأريخيا دقيقا. وهذا أكثر انطباقا على ما نحن بصدده من حساب إذ قد عرضنا سابقا الأسباب التي اختلط من أجلها نشوء قوريني برحلة الآرغونوط في الأساطير. فقيمة حسابنا، الذي يقوم على حقيقة الأحداث المسجلة، لا تنقص والحالة هذه نتيجة لهذه الاستنتاجات .

ولربما كنت توقفت هنا لولا أن راوول – روشيت قد اقترح، استنادا إلى عبارات بيندار، افتراضا جديدا يجدر بنا بحثه – فهو يقول أن بيندار قد أشار إلى أن أربعة من الأجيال السبعة عشر انتهت بعودة الهرقليين إلى البلوبونيز. وإذا أضفنا بعد ذلك الأجيال الثلاثة عشر الباقية إلى السنة التي احتل فيها الدوريون البلوبونيز نتج عن ذلك عام 675 ق.م. فيكون عام تأسيس قوريني. وهذا التاريخ ولو أنه تم الوصول إليه بحساب مشكوك فيه يراه روشيت مناسبا جدا لترتيب تواريخ حوادث قورينايا. فلو كانت الأمور كذلك فإن بحارة جزيرة ساموس كانوا بلغوا مصر في عهد حكم الاثنى عشر رجلا ولكان انكيونيد قد نزح إلى افريقيا قبل انتصاراته، هذا إذا تركنا الباقي جانبا. وليس من الصعب إقامة البرهان على أن هذا التدليل لا يقوم على أساس من الحجج الموثوق بها. والواقع أنه لا يمكن اعتبار حساب يستند إلى الخرافات موثوقا فيه. ولا نعرف، فضلا عن ذلك، شيئا عن زمن احتلال الدوريين للبلوبونيز حتى يمكن استنتاج ما نثق به منه. ومن جهة أخرى يبتعد هذا الافتراض غير قليل عن عام رحلة الآرغونوط الذي قبله روشيت نفسه. وأن ما ذكره من أن بين عهد آركيسلاو ملك قوريني الأخير، معاصر بيندار، وتأسيس قوريني خمسا وستين دورة أوليمبية، لا يزيد افتراضه أي دعم. فهو يقول في الواقع أن بيندار توفى في الدورة الأوليمبية 86 على ما ذكر توماس ماجيستر. ولكن الجميع يعلمون أن الروايات تختلف حول سنة وفاة بيندار. ونبذة توماس ماجيستر الرئيسية قد تناولها العلماء بالشرح والتصويب بطرق مختلفة لدرجة أنني لا أكاد أفهم كيف أقدم راوول – روشيت على الاستشهاد به في الوقت الذي انتقص الجدال حوله عن إمكانية الوثوق به واتضح أنه كثير الأخطاء.

أما قول روشيت بعد ذلك أن هردوت قد بك خ إنشاء قوريني عندما أشار إلى أن آركيسلاو الرابع عاش في احتلال الفرس فتهمة سنعني بدحضها في مكان آخر.

وعليه يبدو مما تقدم أن كل هذه الصعوبات لا أهمية لها لزعزعة تأريخنا وأنه لا يمكن أن يقوم استنتاج يضع نشوء قوريني في حدود أبعد من الحدود التي

قدرناها لها. وختاما سنقول أن بلاتيا احتلها الإغريق في عام 639 وأن قوريني قد أسست في عام 631 وذلك ليمكننا السير على هدى بيانات واضحة ونهائية. ومع ذلك فلا أخفي بأنه يجدر تحديد نشوء المدينة داخل إطار قوامه 16 عاما بعد هذا التاريخ نفسه. وبما أنني لم آل جهدا، حيث اتيحت لي إمكانية، لحل هذه المشكلة العويصة، فإني أترك لمن هو أكثر نفاذا من الباحثين في التاريخ القديم إيجاد حل أكثر دقة للمشكلة .

- 25 -

موقع مدينة قوريني واسمها

رغما عن أنه يبدو أن قوريني لم تبلغ أية أهمية خاصة في عهد الملكين الأولين ولم تكن إلا قرية صغيرة فإنه يخيل لي أنه هذا هو مكان شرح ما نعرفه عن موقعها وعن حالتها التالية عندما اتسعت. كانت قوريني، أنبل مدينة إغريقية في هذا الساحل وعاصمة ولاية قوريناتيا أو بنطابولي في عهد السيادة الرومانية، تقع في منطقة الأسبيست (على خط العرض 32"، 49"، 38" وخط طول غرينتش 21"، 48 " و 30"). وما كان يمكن العثور بيسر على مكان أنسب لتشييد مدينة. كانت تبعد ثمانين ستاد عن البحر. ولا يخفى 'ن الإغريق الأولين لم يدرجو على تأسيس مدنهم قرب البحر خوفا من القرصان وأعدائهم البحريين وكانت تقع على النجد المتكون من المدرج الثاني من جبل قوريناتيا وهو على هيئة منضدة ترى من البحر. ويوجد في السفاح السفلي لهذا الجبل الطباشيري، الذي يسميه جوستينوس كيرا، سهل يقول عنه بيندار " أكمة يحيط بها السهل من ناحيتين " وكانت الأشجار تكسو الجبل بينما كانت الحقول جرداء تحت أشعة الشمس وكانت المدينة رغما عن موقعها فوق جبل عال تشغل الوادي ولربما امتدت إليه الأبنية في أوقات متأخرة. أما كونها تقع في منطقة بهيجة وخصبة جدا فأمر يشهد به القدماء والمعاصرون .

والواقع أن موقع الأبنية بقوريني قد حددته غزارة المياه وكثرة العيون. وتحتل المكان الأول العين اللطيفة ذات المياه الغزيرة الدا ـة المتدفقة من قاعدة سفح جبل صخري طباشيري في الناحية الغربية من اا ـ ومن هذا يتضح صواب نص جوستينوس الذي ينبيء بأن باتوس إنما اختـ ـ ـ ـع في ذلك المكان لغزارة مياه العين. لا شك في أن هذه العين هي التي ذكرها الأقـ .مون باسم كيرا، وقد وصفها كل من بيندار وهردوت بأنها " عين آبوللو " لمكانتها المقدسة لدى آبوللو، حامي المستوطنة ولأنها مخصصة للاحتفال بالأعياد الكارنية المقدسة لدى هذا الإله .

واتخذت المدينة اسمها من اسم هذه العين وفقاً لما يعترف به الجميع - ورد

أسمها في أغلب النصوص الإغريقية (قوريني) وفي بعض النصوص (قورينه) – وبما أن الدوريين كانوا ينطقون الاسم (قورانا) فإن المسكوكات القورينية تحمل كلمة (قيرا)، كما أن أوفيديو [1] يطلق عليها اسم (قيرا). ويقبل هذا الاشتقاق بعض القدماء وغالبية الحديثين. ومن جهة أخرى فلا حرج على بحثنا من كون جوستينوس يتحدث عن جبل كيرا ويهمل اسم العين – والواقع إما أنه أخطأ أو أن هذه العين قد جاءت من جبل اسمه (كيره). ولكني لا أود أن أفضل جوستينوس على خاليمقوس القوريني لمجرد أنه لا يشير إلى صلة اسم العين باسم الجبل -.

هوامش الفقرة (25)

(1) اوفيديوس واسمه بوبليوس نازو: شاعر لاتيني شهير ولد بإيطاليا عام 43 ق.م. نفي عام 9 ب.م. إلى رومانيا الحالية حيث توفى.

وصف المدينة - موانئ قوريني

كانت قوريني – على حد قول سترابون – مدينة كبرى من حيث العظمة والسكان. ويبدو أنها لم تكن تنقص عن آثينا كثيرا .ولم تكن تضارعها على الساحل الإفريقي مدينة أخرى سوى قرطاجنة. حصينة بموقعها الطبيعي يحيط بها سور منيع وكان بها حصن كذلك – ووصفها بيندار بأنها " رائعة " و" مدينة جميلة جدا " لحسن أبنتيها. ولم تتوفق عليها معظم المدن الإغريقية تشهد بذلك حتى أناقة سكانها. وازدانت المدينة بكثرة نتيجة لنقل العبادة الإغريقية إليها بشعائرها ومعابدها، ويرجع ذلك إلى باتوس مؤسسها، ونتيجة لأن عدد المعبودين فيها كان أكثر مما كان يعبد الإغريق الآخرون. ورغما عن أن آميانوس قال عنها منذ القرن الرابع بعد المسيح بأنها مهجورة. وذكرها سينتريوس بأنها " فقيرة وحزينة وخاوية " (ولكن هذه الكلمات تنبيء بعظمتها السابقة). ورغما عن أنها عانت الكثير من النكبات في الأزمنة المتأخرة، فإنها احتفظت في زمننا هذا بأطلال تشف عن عزها القديم.

إذا دنوت من قوريني، التي تسمى رسومها اليوم (غرنة) أو (غيرنا) تجد بقايا قبور تتنافس في الفخامة، وبقايا طرق ومجاري للمياه كما توجد غيرها في جهات أخرى من قورينايا وتظهر للآتي من ناحية الغرب لمسافة أكثر من ميل ألماني بقايا ضخمة ورائعة لمبان وقصور وقبور منقورة في الصخر. ثم يظهر له بقرب قوريني مجرى للمياه كبير جزء منه منحوت في الصخر والجزء الآخر في شكل قوس يمتد نحو المدينة وقد بنيت جدرانه بصفوف من حجارة مربعة جميلة تكاد تكون ذات زوايا قائمة. إن هذا المجرى كان كما يبدو يزود بالماء اقنوات الكثيرة التي تتفرع إلى داخل المدينة. ويرى كذلك بقايا معبد صغير ازدان بابه بأعمدة قورنتية ورسوم. وتبرز هنا وهناك أطلال تبهر الأنظار لتلك المدينة العظمى التي كانت في يوم من الأيام من أبدع المدن وأصبحت قفرا. وتبدو الأرض في الواقع وكأنها زرعت بالأبراج وتمتد سطور من الطرق الطويلة بعضها منحوت في الصخر تزينها في كل مكان القبور والرسوم البارزة والأعمدة والصفائح التي كثيرا ما تكون عليها كتابة منقوشة. ويفهم من كثرة

مجاري المياه والصهاريج مدى العناية التي كان يبذلها القدماء لجمع الماء وحفظه. وتشبه الصخور غربا وشمالا، وقد نحتت في أمكنة كثيرة بطريقة فنية، مبنى كبيرا نوافذه وأبوابه هي أبواب القبور نفسها وتمتد أمامها ساحات وممرات وأقواس ودرج كلها منحوتة في الصخر. وأجمل ما هناك كان يقع قرب عين كيرا. وفي الناحية الشرقية وعلى طول مسير يوم واحد من قريني توجد بقايا أبنية وطريق منحوت في الصخر. أني أسلم بأن بعض هذا العمران جاء على يد الرومان ولكن أصل الغالبية العظمى إغريقي بكل تأكيد لأن المدينة بدأ تدهورها تدريجا في العهد الروماني. إن هذا العرض لا يتيح لنا إلا صورة شاحبة للمدينة ولكنه يبرهن لنا على كل حال بشكل ساطع على أن قوريني قد استمتعت في زمانها بازدهار عظيم.

توجد داخل المدينة نفسها ساحة صغيرة تبدو وكأنها ذات أهمية كبرى. قد نحتت كلها في الصخر وتقوم على ناحيتيها قبور جزء منها مربع من الصخر الأصم وجزء مبني من كتل حجرية رائعة ذات زوايا قائمة، وتظهر على مستوى الطريق آثار العجلات كما تظهر في جهات أخرى كذلك. وما من شك أن هذه هي " الطريق الصخرية " التي يقول عنها بيندار أن باتوس مؤسس المدينة كان عبدها كي تمر عليها مواكب آبوللو الدينية. والواقع أنه لو لم تكن هذه الطريق شهيرة لما تغنى بيندار بها، ولا يفضل باتوس معبدها بعبارات كثيرة ونبيلة. ولكن بما أنه يبدو أن باتوس لم تتوفر له الوسائل للقيام بهذا العمل، قد نكون أدنى إلى الحقيقة إذا قبلنا فكرة إنجازها في وقت تال عندما كان أهل المدينة يحاولون بكل طريقة تعظيم أفضال المؤسس والإشادة بها – ويقوم قبر باتوس عند التقاء هذه الطريق بالفوروم ويقوم بجانبه معبد الأموات الصغير حيث كان يكرم باتوس بما يليق بـ " بطل " ومؤسس. أما الملوك الآخرون فقد دفنوا بعيدا عنه ولكن داخل المدينة ولعل أنصاب قبورهم التي هي مقدسة أيضا وموضع عبادة توجد بين الأنصاب القائمة على طول الطريق الجميلة رغما عن أنه أضيف إليها في العصور المتأخرة قبور ملكية أخرى. وكان يوجد في نفس الساحة الصغيرة معبد الديوسكور. فعلى طول هذه الطريق البارزة بتماثيلها الكثيرة المقدسة كان القورينيون إذن يسيرون بمواكبهم إلى معبد آبوللو ذائع الصيت والذي بناه باتوس وكان يقوم ولا شك في الفوروم. (وكان آبوللو فعلا " حامل قوس " أي حامي قوريني).

وكان لقوريني هذه المدينة الزاهرة في البحر الأبيض المتوسط نتيجة لتجارتها البحرية ميناء آبوللونيا أو آبوللونياد وهي مدينة على البحر لا تبعد عن قوريني سوى ثمانين ستادا وقد أصبحت في وقت قصير سوقا عظمى. يسميها كل من سترابون وبطليموس وسكيلاس آريانو وديودوروس ميناء قوريني. على أنه يستشف من عبارات هذا الأخير أنها لم تكن مدينة صغيرة. وقد اشتق اسمها كأسماء معظم المدن الإغريقية من آبوللو مؤسس قوريني وأطلق عليها اسم سوتزوزا كذلك فيما بعد. موقعها بقرب خليج تحيط به صخور عالية تتدرج من نجد قورينايا نحو البحر. ويدل سطر السخور الذي يمتد مسافة من الشاطئ داخل البحر والذي تبرز الأطلال فيه من الماء حتى اليوم على أنه كان أساسا لمكسر الأمواج. وتنتشر على الشاطئ بقايا من المباني الرائعة وأعمدة كثيرة من الرخام البانتيلي صحيحة، مطروحة على الأرض وحجارة ضخمة منحوتة وبوابات قائمة هنا وهناك لم تنل منها عوامل الزمن بعد. وينحدر مجرى للماء من الجبل إلى المدينة. والميناء مهجور الآن ويسميه العرب مرسى سوسه ويمكن أن يعود مأمونا ومريحا دون ما نفقة كبيرة .

وفضلاً عن هذا هناك ناوستاثموس التي تبعد عن آبوللونيا مائة ستاد وكانت كما يبدو مرفأ للسفن التي لم يكن في وسعها بلوغ ميناء قوريني .

هوامش الفقرة (26)

(1) آميانوس، واسمه ماركلينوس : مؤرخ ولد حوالي عام 325 ب.م. قضى معظم سنين شبابه في خدمة الجيش الروماني في الشرق واستقر في آخر الأمر في روما وكتب " تاريخ الامبراطورية الرومانية في المدة بين تولي الامبراطور نرفا حتى وفاة الامبراطور فالنس وقد استنتج من الأوضاع القائمة إذ ذاك في الامبراطورية الرومانية (فداحة الضرائب وسوء حالة الطبقة المتوسطة المالية وتدهور القوة المعنوية في الجيش). استنتج قرب انهيار الامبراطورية ذاتها، وذلك قبل أن يحدث غزو القوط واجتياحها بعشرين سنة .

(2) ديوسقوري : هما كاستور وبوتكس ولدا جوبيتر كبير الآلهة عند الإغريق .

(3) باوستاثموس : معناها بالإغريقية " محطة السفن " و " موقف السفن " هذا هو اسم رأس الهلال في عهد قوريني الأول. وقد استبدل الاسم فيما بعد باريترا .

الـجـــزء الـثـانـي

تاريخ قوريني في عهد الملكية

- 28 -

تاريخ قوريني في عهد الملكين الأولين
من أسرة باتوس
باتوس الأول وآركيسلاو الأول
يكتنف معظمه الظلام

كان الحكم في قوريني لمدة قرنين تقريبا من تأسيسها فرديا. وكان الملوك من بني باتوس الذي رشح ملكا عندما نزح المستوطنون عن ثيرا. وقد خضعت قوريني لثمانية ملوك الأسرة وكان أحيانا يدعون بالباتيين من اسم مؤسس الأسرة.

في عهد الملكين الأولين باتوس الأول وآركيسلاو الأول، أي عندما كانت تتألف الدولة القورينية من المستوطنين الذين تبعوا باتوس لم تكن أرض الدولة تتجاوز قرية قوريني كما يبدو. ونظرا لصغرها فإن التوسع لم يكن مستطاعا، إذا لم يكن بسبب قلة السكان فبسبب الليبيين الرحل الذين كانوا يقطنون في الأرض المجاورة.

كان باتوس الأول رئيسا للدولة لمدة أربعين سنة، أي من عام 631 إذن – نظرا لأننا جعلنا هذا العام بداية للمدينة – حتى عام 591. ولكن إذا أريد بدء حساب سنين عهد الملكية من مستوطنة بلاتيا فيكون من ذلك العام حتى عام 599 ق.م. ونجهل تاريخ قوريني في عهده جزئيا أو كاملا. والواقع أن هردوت يسدل عليه ستارا من السكوت. ويجب اعتبار روايات الكتاب الأقدمين الآخرين من قبيل الأساطير التي اعتاد الأحفاد اختلاقها عن مؤسسي المدن الشهيرة. وقد سبق لنا وتحدثنا عن الطريق الشهيرة التي عبدها. ويخيل إلى أن الحكم الذي اشتهر به باتوس وأشاد به المؤرخون وتغنى به الشعراء لم يكن إلا من نسج خيال الأحفاد. ويقدم ديودورس وحي الإله البيتي ذاكرا ذلك أي أن باتوس قد حكم بروح إنسانية كبيرة و قنع

بلقب الملك. ويثني تزتزيس [1] على الفوائد الكثيرة التي جلبها على القورينيين ويشيد فلوتارخوس [2] بروح المحبة التي أكرمه بها المواطنون. ولكن ليس من المستبعد أن يكون القورينيون قد بالغوا في مديح المؤسس باتوس، نظرا لأن أغلب الملوك الذين خلفوه قد حادوا عن طريق الملكية المستقيم وأن الكتاب قد قبلوا الواحد تلو الآخر ما كان القورينيون يقولونه كقضية مسلمة.

أما فيما يخص أهم ثمر قورنيائي أي السلفيوم الذي قيل إنه كان مكرسا لباتوس الأول وما يخص قطعة النقود المعروفة جدا والتي نقش عليها رأس رجل وساق من السلفيوم ويظن أنها قد سكت إحياء لذكرى التكريس، فإننا نقول أن العلماء قد دللوا بما فيه الكفاية على أن الصورة لا تمثل باتوس بل عمون الذي يجله القورينيون كثيرا. ونشأ الخطأ من كلمات أرسطاطاليس التي جاء فيها أن السلفيوم قد قدم إلى باتوس من قبل الليبيين تكريما له وأن نقودا قد سكت على شرفه ترى في أحد وجهيها صورة باتوس وهو يتسلم بإحدى يديه الملك من جانب المواطنين ويتسلم بالأخرى السلفيوم. ولكن منذ عهد أرسطاطاليس كانت هذه الإشاعة غير محققة كما يبدو إذ أنه كان بعضهم يتحدث عن تمثال عوضا عن النقود ويتحدث غيرهم عن خاتم نقشت عليه صورة القورينيين وهم يقدمون السلفيوم إلى باتوس. ونحن قرأنا هذه النبذة في موسوعة سويدا بشكل يختلف تمام الاختلاف. فقد قال في مكان أن القورينيين قد قدموا السلفيوم إلى أحد ملوك الباتيين هدية ونقشوا على خاتم صورة عمون من جهة والسلفيوم من جهة أخرى، في حين يذكر في مكان آخر في سياق الثناء على عبارات أرسطاطاليس، خاتما نقش عليه السلفيوم الذي قدمه المواطنون للملك. اعتقد أنه يجب البحث عن منشأ هذه الأسطورة في أن الإغريق، لما لم يفهموا لماذا تنقش صورة السلفيوم على النقود مع رأس عمون وكانوا يظنونه رأس باتوس، قد اختلقوا الأسطورة من أساسها. أما النقود الأخرى التي يعتقد الكثيرون بأن باتوس هو الذي سكها يعود جزء منها إلى جزيرة ساموس والجزء الآخر إلى حكام أحدث عهدا لقوريني الحرة. وبناء على ما تقدم فإن الافتراض الذي ينسب منشأها إلى باتوس حديث جدا على كل حال وغير وارد.

هذا وكدليل على علو منزلة باتوس المؤسس قد كرس القورينيون له بدلفي، أي في المعبد المناسب، لأن مستوطنتهم مدينة بمولدها لآبوللو الدلفي، عملا فنيا

صنعه آنفيون القونوسي وهو عبارة عن مركبة تتوج الآلهة ليبيا عليها باتوس في حين تسوق العروسة قوريني خيل المركبة .

ولا نعلم أكثر مما تقدم عن تاريخ قوريني في عهد الملك آركسيلاو ابن باتوس المؤسس سوى أن هذا الملك قد حكم ست عشرة سنة أي من 599 إلى 583 ق.م. يمكن التخمين بأن حالة قوريني لم تتغير إلا قليلا في هذه الفترة .

هوامش الفقرة (28)

(1) يوحنا تزتزيس: شاعر ونحوي بيزنطي عاش في القسطيطينية في القرن الثاني عشر. كان مثقفا واسع الإطلاع. وله فضل الاعتناء بالأدب الإغريقي القديم. ولكن لقلة كتب المراجع كان كثير الاعتماد على ذاكرته مما يجب التحفظ معه عند الرجوع إليه. له أعمال كثيرة منها كتاب " التواريخ " وهو مجموعة من المعلومات الأدبية والتاريخية في شكل وسائل .

(2) قلوتارخ الآثيني: فيلسوف إغريقي عاش بين القرن الرابع والخامس ق.م. على محاورات أفلاطون وأرسطو ولكن تعليقاته فقدت ولم تصل إلينا. تولى إدارة المدرسة الأفلاطونية بأثينا. توفى طاعنا في السن عام 431 ق.م.

(3) سويداس: إغريقي عاش تخمينا في أواخر القرن العاشر ولا يعرف عنه شيء سوى أنه ينسب إليه قاموس موسوعي بالترتيب الأبجدي ويحتوي على أقوال عدد من الكتاب القدماء ومقتبسات عن أعمال الشراح لأعمال آريستوفاتيس وهو ميروس وسوفوكليس وتوسيديدس وغيرهم .

- 29 -

كان باتوس السعيد ثالث ملك لقوريني لا الملك الخامس

ازدادت قوة القورينيين تحت حكم ملكهم الثالث المسمى باتوس اويدايمون أي السعيد وأصبحت حالة السكان حسنة جدا. ولكن قبل أن أتحدث عن الوقائع التي أدت تحت حكمه إلى ارتقاء سلطان قوريني إلى مكانة عليا، أود التوقف قليلا لتحديد عام لتوليه الملك لا دحض رأيا خاطئا ساهم في تكوينه كثير من المتبحرين ولا يستوى مع الحقيقة، أي مع ما قيل من أن باتوس هذا كان الملك الخامس لا الملك الثالث من مجموعة ملوك الباتيين. قلنا آنفا وحجتنا هردوت أن باتوس أويدايمون قد تولى الملك قبل عام 570 بمدة، إذ أنه خرج في هذه السنة لمحاربة آبريس ملك مصر. ونعلم كذلك من هردوت نفسه أن الملكين السابقين قد حكما ستا وخمسين سنة. حتى إذا سلمنا بأن تأسيس قوريني يرجع إلى عام 648 ق.م. فالواقع أنه يمكن أن تكون المدينة قد شيدت قبل هذا التاريخ كما ذكرنا آنفا. ومع ذلك يبدو منافيا للحقيقة أن يكون الوقت الباقي، بعد طرح 56 سنة، أي عشرون سنة، كافيا لحكم ملكين، لا سيما أنه لم ترد أية إشارة إلى وقوع حروب أو خلافات داخلية في تلك الفترة، مما يوحي أن موتهما قد جاء قبل الأوان. ورغما عن ذلك فإن ذلك الافتراض ينسب للملكين فترة من الحكم طويلة جدا – ولكننا إذا اتخذنا عام 631 بداية لقوريني (وليس هناك ما يمنع) لا يبقى أي زمن - وعليه فإن الافتراض ذلك الخاطيء من أساسه يزيله واقع وهو أنه لم يذكر أحد من القدماء ملكين حكما في فترة بين حكم آركيسلاو الأول ابن باتوس المؤسس وباتوس أويدايمون. ولكن بما أن هردوت يحصي ستة ملوك لقوريني بينما يستنتج من عباراته أنهم كانوا ثمانية، فقد فكر أصحاب هذا الافتراض في أن هردوت قد أهمل ذكر الملكين الآخرين لقلة أهميتهما وفي أن آركيسلاو الذي أورد هردوت موته (الكتاب الرابع 164) كان آخر الملوك الباتيين. ولكن سيتضح فيما بعد مدى زيف هذا الرأي. ومن جهة أخرى فليس هناك ما يحول دون تفكيرنا في أن هردوت إنما أهمل ذكر الملكين الأخيرين لعدم وجود مكان لمنجزاتهما في روايته. ولكن من المهم البحث في السبب الذي حمل

على التفكير في أن هردوت لم يذكر ذينك الملكين بالذات، أي باتوس الثاني وآركيسلاو الثاني. من البديهي أن المؤرخين قد وقعوا في خديعة نتيجة لتفسير خاطئ لنص عبارة هردوت (الكتاب الرابع 159) " في عهد الملك الثالث " كما حدث لفالللا الذي ترجم " في حكم باتوس الثالث الملقب باويدايمون " هذا ولم يكن من عادة القدماء، كما لا يخفي، تمييزا الملوك الذين يحملون نفس الإسم بأرقام الترتيب. ومن جهة أخرى فإن هناك نبذة لفلوتارخ تؤيد نظام فواصل الكتابة لدينا " اويدايمون، الثاني من الباتيين ". وفلوتارخ قد استقى من مصدر غير مصدر هردوت ولا شك، إذا كان هو مؤلف كتيب " في فضيلة النساء ". ويتفق معه بيندار فيؤكد أن آركيسلاو قد خلف باتوس المؤسس وخلفه باتوس السعيد.

ولكن الزمن الذي خضعت فيه قوريني لهذا الملك أكثر غموضاً وإبهاماً من زمن الملكين السابقين لا سيما وأن هردوت لا يشير حتى لمدة حكمه. وجل ما يعرف عنه أنه ارتقى العرش قبل عام 570 ق.م. ويجوز لنا أن نفكر بصورة تقريبية أن عهد ملك باتوس السعيد بدأ في عام 583 وانتهى في عام 560 ولو أنه ليس في الامكان تحديد شيء مؤكد.

- 30 -

يزداد عدد المستوطنين في عهد باتوس الثاني وتؤسس مدن أغريقية كثيرة في ليبيا

في عهد باتوس الثاني تعزز سلطان القورينيين كثيرا لمجيء الأفواج العديدة من المستوطنين من جميع مناطق بلاد الأغريق. والواقع عندما أدرك القورينيون أن عددهم قليل جدا للوقوف في وجه الليبيين، الذين كانوا يشنون عليهم الغارات باستمرار ولا شك، دعوا الأغريق إلى النزوح إلى إفريقيا واعدين بتوزيع الأراضي المعرضة لنهب الليبيين لها عليهم. وعليهم دعت كاهنة آبوللو، بإيعاز من باتوس كما يبدو، الأغريق للإبحار صوب إفريقيا والاستقرار فيها واستثنت المتباطئين من أمل الحصول على قطعة من الأرض. وساعدت رغبة القورينيين بالوحي التالي: " كل من يأتي متأخرا إلى ليبيا البهيجة بعد تقسيم الأراضي سيندم على فعله ". كان من الضروري أن يأتي أمر الإله ملبيا لرغبات القورينيين. والواقع أن كل شيء كان يبدو ملائما لهم: " الأرض خصبة ومجلبة للرخاء وساحل المنطقة غني بالمرافيء الصالحة للتجارة وأخيرا وهم عبر البحر في مأمن من التقلبات السياسية في الوطن الأم ". وكان هذا لسان حال أيزوقراتيس (1) بعد ذلك بقرنين وهو يثني على بعد نظر اللاكيديمونيين الذين أسسوا مستوطنة قوريني: " في مكان بعيد عن الذين يفرضون الأوامر وفي مكان قريب من الذين اعتادوا العمل ". وعليه قد هب عدد كبير من الناس ولبوا الدعوة بقلوب مبتهجة. ولما بلغوا قوريني نزلوا في الأماكن القريبة من قوريني. وبما أن السواد الأعظم من السكان الأغريق بقوريناي كانوا بلبونيزيين، أميل إلى الظن أن الكريتيين وسكان الجزر الأيجية قد نزحوا إلى قوريني في هذه المناسبة. ورغما عن أن بوليمون قال حقا في حديثه عن الليبيين عندما كتب عبارة: " هؤلاء كريتيون " مشيرا إلى الوافدين إلى إفريقيا في هذا العهد، إلا أنه ليس هناك شك في أن الكريتيين لم يفوقوا الآخرين عددا بل إنهم ظلوا أقل من غيرهم. وبسبب هذه الظروف يبدو أنه جاء تقسيم القورينيين إلى ثلاث قبائل، خصصت إحداها

إلى الـثيريين وإحداهـا للسكان الذيـن وفـدوا مـن الجـزر والثالـثة للكريتـيين والبلوبونـيزيين. وذكـر سينزيوس أنـه يمكن تتـبع أصله حتى هـرقل خلال روايـات نسب القورينـيين. ويقـول في مكـان آخـر بصورة أوضح أن شجرة نسبه مسجلة على صفائح عامـة، من أورسـتين أول ملك لسبارطة حتى أباه. إن ذرية أوريستين التي ينحدر منها سينزيوس قد نزحت إذن إلى قوريني كما يبدو في عهد باتوس السعيد عندما استقركثير من الأغـريق بقورينـايا لا في عهد تأسيس المدينة. ويتبع ذلك أن بين هؤلاء المستوطنين كـان يوجد فضلا عن عامـة النـاس بـتلاء أيضـا وعلى الأقل واحد من أسرة الهرقليين. وإلى هذا يشير كذلك كما يبدو، تـيودوروس متوخيا [2] " رغما عن أن عرضه ليس بواضح " في روايته القائلة أن الهرقليين بعد أن طافوا ببلاد الأغـريق وانضـموا إلى آخـرين استقروا بليبـيا وبقـوا بـأرض قورينـايا مـع الآخـرين الذين سبقوهم. أمـا كـون هذا الكاتـب لا يشير إلى بداية عهد المدينة يستنتج من أنه يضيف بعد ذلك أن قوريني لم يشيدها هؤلاء بل كـان يسكنها الدوريون قبل وصولهم. أقبل إلى الخـروج بنتيجة سهلة من كل هذا ألا وهي أن البلوبونـيزيين كانوا يؤلفون غالبـية المستوطنين غير أن كـون أهل الجزر يؤلفـون القبيلة الثالثة يشهد في الظاهر بأن هؤلاء كانوا أكثر عددا من غيرهم .

ولما زاد عدد السكان بهذه الصـورة توسعت قوريـني واحتلت المنطقة المجـاورة بعد أن طردت الليبـيين الرحل منها، ذلك لأن الجزء المسكون حتى ذاك الوقت كـان ضيقا ومحـدودا جدا " ولـو أنـه يبدو أن المدينة في هذا العهد قد امتدت حتى شملت الـوادي الأسفل ". وفي هذا الوقت كذلك، إذا لم أخطيء، قد أنشئت في قورينـايا أغلب المدن الإغريقية لأن الأغـريق لم يتمكنوا قبل ذلك من التفكير في توسيع رقعتهم. ولكن هذه المدن لم يتم تشييدها في نفس الوقت بل تدريجيا كلما وصل مستوطنون جدد وانتشروا – ومع هذا يمكن التخمين سواء اعتمادا على كلمات بيندار عن قوريـني في وصفه لها بأنها " جذر مرن "، أو استنتاجا من كثرة عدد المدن الأغريقية على الساحل وفي الداخل، بأنه قد تم إنشاء مستوطنات أكثر مما نجده مذكورا – ومن أحوال هذه المدن السياسية، وقد كانت جميعها خاضعة لقوريـني ما عدا ما كـان منها قد أسس على يد خـارجين أو ثـائـرين، نستخرج أنهـا لم تكن جميعها مؤسسة من قبل بـلاد

الإغريق مباشرة. ولكن هذا الافتراض يبدو مصطنعا. كانت المدن الرئيسية خمساً ومن هذا العدد اشتق اسم " بنتا بولي " [3] وقورينايا البنتابولية وهو الاسم الذي كان مستعملا كثيرا لدى الكتاب في وقت متأخر وهي قوريني، آبوللونيا، وتوكره، وبرقه واسبريده، ولو أنه لم يكن هناك اتفاق بين الكتاب على هذه المدن، فكانوا يدخلون في هذا العدد إحداها حينا ويخرجون أخرى حينا آخر تبعا لنموها أو تدهورها. ونترك هنا كلا من قوريني وآبوللونيا وقد تحدثنا عنهما ثم برقه واسبريده اللتين قد أسستا فيما بعد، لعرض ما نعلمه عن موقع توكيره وحالة سكانها .

إن مدينة توكيره، وباللغة الدورية تاوكيره، التي سميت في عهد البطالمه آرسينو إكراما للملكة، تسمى اليوم توكره وهو أقرب إلى الاسم القديم ، تقع غرب آبوللونيا (خط العرض 30" 32" 20" وخط طول غرينتش 20" 33" 44") حيث يمتد سهل بقرب السفح الغربي للجبال. خصبة جدا في سالف الأوان ولا شك ويبدو أنه يمكن اليوم كذلك جعلها خصبة بدون عناء كبير. وكما أن غالبية المدن الأغريقية تقام على مرتفع مشرف على سهول خصبة تقديرا لمستلزمات السلم أكثر من مستلزمات الحرب، كذلك أقيمت توكيرة على تل نحتت فيه كلمة تقريبا قبور كثيرة جدا في الصخر - والأطلال الباقية اليوم يحيط بها سور كبير على كل زاوية منه برج مستدير، بقايا التحصينات الضخمة ولا شك التي أحاط بها جوستينياتوس المدينة – وتغطي الناحية الداخلية من هذا السور كتابات منقوشة ولكن أغلبها مطموس نظرا لتفتت الحجر والرمل. وتقوم في وسط المدينة بقايا تمثال مربع بني بكتل بنفس الشكل نقشت على كل منها كتابة تحيط بها أغصان الغار. وتكاد مباني هذه المدينة وقبورها تكون مشيدة بنفس الطريقة التي شيدت بها قوريني .

وما أن شيدت هذه المدن حتى اتسعت وازدهرت حتى أن بيندار يصف ثيرا بأنها " المدينة الأم لمدن عظمى " ويصف آركسيلاو الملك الأخير بأنه " ملك مدن عظمى ". وهذه المدن الخمس هي أشهرها دون ريب. ولا شك في أن القورينيين قد أسسوا مدناً لا تحصى باسم إغريقي وقد عددها بطليموس عندما تحدث عن ليبيا ولو أنه لا توجد أخبار أخرى عنها. فسنزيوس مثلا يذكر مدينة باسم " باتيا " التي

كانت مستوطنة لقوريني نظرا للإسم الذي أطلقه عليها أحد الباتيين ولا ريب. وإننا لنستنتج مدى كثافة السكان الذين كانوا يقطنون قديما قوريتايا من عدد المدن الدارسة. والواقع أن كل منطقة مليئة بالمدن والقصور الخربة وبالطرق ذات المستوى الصخري وبالآبار وبقبور نحتت في الصخر. فلا تكاد تمر بتل إلا وتكون قمته مزدانة ببقايا قصور. وليس هناك أي قصر لا يكون الصخر حواليه قد أحيل إلى قبور أو إلى أبنية. فما أوسع ميدان النشاط هذا لبحاثة في الآثار!

هوامش الفقرة (30)

(1) ايزوقراتيس: خطيب آثيني (436-338 ق.م.). دعا إلى اتحاد جميع الأغريق ضد الفرس حتى لو شمل الاتحاد مقدونيا التي لم يكن يرى فيها أي خطر على بلاده. ولما خابت آماله في الاتحاد قيل إنه انتحر بالامتناع عن الأكل وذلك بعد معركة كيروني. كانت خطبه آية في الفصاحة الأثينية. أعماله كثيرة في البلاغة والسياسة ولكن لم يصل منها إلى هذا الزمن إلا 21 خطبة.

(2) ثيودور متوخيتا: كاتب ورجل دولة بيزنطي عاش في القرن الرابع عشر (1282 – 1328) في عهد الامبراطور آندرونيقوس الثاني. وقد عزل من منصبه بعد وفاة هذا الامبراطور. ثم طلب إليه خلفه العودة فلبى الطلب ولكن لم يلبث أن اعتزل السياسة وعاش في دير إلى أن مات في عام 1332. من أعماله الباقية مجموعة من 120 مقالة فلسفية وتاريخية.

(3) بنتابولي: أي المدن الخمس بالأغريقية. وترسم كذلك بنطابوليس كما جاء في كتب التاريخ العربية.

- 31 -

يهزم القورينيون آبريس ويتحالفون مع آماسي خلفه بعد هذا الانتصار

أخضعت قوريني الليبيين المجاورين لسلطانها

كان من شأن نمو سلطان القورينيين أن نشبت حرب بينهم وبين المصريين ومن نتيجة هذه الحرب يمكننا أن نفهم بيسر مدى ازدياد قوة القورينيين في ذلك الزمن، شعب كان عاجزا عن حماية نفسه من الليبيين الرحل فإذا هو يتغلب على جيش قوي الشكيمة لمملكة أكبر ويقتل ملكها. نشبت الحرب كالآتي. كانت المدينة في بدايتها محاطة بالسكان الأصليين للبلاد في كثافة كبيرة وكانت في عزلة عن الوطن الأم. وعليه كانت سياستها بالضرورة مطبوعة بطابع الصداقة نحو هؤلاء السكان. ولكنها لما أتيحت لها قوات جديدة نتيجة لتقاطر المستوطنين، سلك القورينيون سياسة جديدة فأخذوا يسلبون الليبيين من معظم أراضيهم ويسيئون معاملتهم بكل شكل. ولما حرم الليبيون من المراعي لمواشيهم التي لا حصر لها (يشهد هردوت بأنه في زمنه وقبل ذلك بكثير لم تكن أية قبيلة ليبية خارج الأراضي القرطاجنية تفلح الأرض، بل كانت جميعها من مصر إلى سرت الصغرى تمارس إرعاء الماشية) وعجزوا عن رد الاهانات بعثوا برسلهم إلى مصر وسلموا أمرهم لسلطة آبريس ملكها. من البديهي أن الذين بعثوا بالرسل لم يكونوا جميع السكان النازلين بجوار قوريني ولكن من المستحيل تحديد من كانوا وكم كان عددهم بوجه الدقة، إذ لا يتحدث هردوت إلا عن " الليبيين القريبين " الذين كان ملكهم آديكران. وإذا كان من المحتمل أن تكون القبائل التي توسع في مناطقها الأغريق قد نظمت الثورة، يبدو أن خطة التحالف إنما وضعتها قبائل الآدريماشيين والجيلفام والآسبت النازلة في مناطق أقرب إلى مصر. وبما أنه من الواضح أن ملوك مصر منذ عهد بساماتيك حاولوا بكل جهد توسيع ملكهم في المناطق المجاورة ومد سلطتهم إلى الغرب كذلك، ولو أننا لا نعلم شيئا ملموسا عن ذلك، فلا غرابة أن ينتهز آبريس

الفرصة المتاحة له التي كانت يمكن أن تكنه من محو أثر الهزائم المصرية في آسيا وكسر شوكة المدينة الزاهرة المجاورة وإبعاد ما يهدده من خطر داهم من جانبها. وعليه بعث بجيش مصري جرار زحف على قوريني. ولا قوة القورينيون بمنطقة إيرازا بقرب عين تستيس واشتبكوا معه فهزموه. والواقع أن المصريين الذين كانوا يعرفون حتى ذاك الوقت صداقة الأغريق لا أسلحتهم وكانوا يهزأون بالقورينيين رغما عن أن هؤلاء كانوا أقل منهم مقاومة واتقانا لفن الحروب، قد أصيبوا بهزيمة فادحة حتى أنه لم يعد منهم إلى بلادهم إلا القليل – ولكن هذه الحرب كانت ضارة بصورة خاصة بمن أثارها لأن المصريين المهزومين الذين عادوا إلى وطنهم اتهموا آبريس بأنه تعمد تنظيم الحملة حتى يمكنه الحكم في أمان بعد إفناء جنوده فثاروا عليه وانضم إليهم أقارب القتلى في الحرب. ومن المعلوم أن الثوار قد هزموا آبريس قرب مونمفي وقتلوه. وبما أن آبريس قتله آماسي دون شك في نفس السنة التي دحرها فيها القورينيون فيمكن تعيين زمن المعركة بدقة. والواقع أن آماسي حكم أربعين سنة وحكم ابنه ساتانيتو ستة أشهر. فإذا أضفنا هذه المدة إلى عام 525 ق.م. الذي احتل فيه قمبيز مصر نحصل على عام 570 ق.م. وفي هذا العام يكون آماسي قد استولى على الملك ومات آبريس وانتصر باتوس أويدايمون في المعركة .

من المحقق بأن بمعركة تستيس انتهت الحرب بين القورينيين والمصريين. والواقع أنه قامت علاقات طيبة بين الشعبين أثناء حكم آماسي. بل أن آماسي حاول أن يوطد الحكم الذي استولى عليه بالجريمة بصداقة جيرانه فعقد حلفا مع القورينيين ودعمه بزواجه بإمرأة قورينية اسمها لاوديكه. وإذا كانت هذه إبنة باتوس أويدايمون فإننا نستخلص من ذلك احتمالا بأنه منذ حكم هذا الأخير نشأت تلك الصداقة التي دامت كما نعلم حتى بعد موته وتوطدت بين الأسرتين. ولا يبدو هذا غير وارد حتى إذا كانت لاوديكي لم تكن إبنة الملك .

والخلاصة أن آماسي أرسل إلى قوريني هدايا ثمينة منها تمثال لمينرفا وآخر له فزاد من حظوته لدى أهلها. ومن هذا يتضح مدى الأهمية التي كان يعلقها على احتفاظه بصداقة هؤلاء القوم وبصداقة الأغريق الآخرين. ومن هذا الزمن فصاعا لم

ينقطع الاتحاد بين مصر وقورينايا اطلاقا. بيد أن المصريين استفادوا أكثر مما استفاد القورينييون من هذا الاتحاد (ومن المحتمل أنهم مدينون للقورينيين بالجزء الأكبر من نمو حضارتهم في عهد آماسي). والواقع أنه بينما ازدهرت قوة مصر تحت إدارة آماسي الرشيدة فقدت قوريني نفوذها بعد موت باتوس الثاني بسبب انحطاط حكامها. وهكذا تدخل المصريون في شئون قوريني فكانوا مبعث رعب في قلوب القورينيين الذين كانوا المنتصرين عليهم قبل ذلك بقليل. وكان مقدراً في مستقبل بعيد أن يقترن مصير القورينيين بمصير المصريين في شكل من الأشكال.

ومهما كان من أمر فقد كان من شأن انتصار باتوس الذي يبدو أنه لقب خاصة من أجله بلقب أويدايمون (أي السعيد) أنه ساهم في إنماء سلطان القورينيين فتمسكوا بقوة بما أكسبتهم الحرب من سلطة على الليبيين. ومما يبرهن على أن هؤلاء كانوا رعايا خاضعين انتقاضهم على القورينيين عندما انتقل الحكم إلى ابن باتوس، كما يقال. ولكن في هذه المرة، وقد فاتتهم مساندة ملك مصر حاميهم، استسلموا للغالب ولو أننا لا نعلم كيف جرت الحوادث ولا ما هي العلاقات التي أقرت بينهم وبين الأغريق.

- 32 -

نظام الحكم في الدولة القورينية في عهد الملوك الأولين

حالة الرعايا الوطنيين

أما وقد أشرنا إلى هؤلاء القوم لا يبدو خارج موضوعنا أن نعرض بإيجاز ما نعرفه من المصادر التاريخية وبطريق الاستنتاج عن الليبيين وعن سلطة الأغريق عليهم وبصورة عامة (إذ أن الدولة القورينية كانت مزدهرة وفي رخاء في هذا الزمن) عن النظام السياسي في المدينة في عهدها الأول. حسبنا أن نقول باختصار أنها أقامت نظامها وفقاً لقواعد المدن الدورية. وقد وجدت لدى القورينيين كذلك الأنظمة التي وجدت في سبارطه وأخذها عنها الثيريون، ذلك لأنهم كانوا يعتبرون دائما هذه المدينة الوطن الأم عندما أقاموا جمهوريتهم. بيد أن القورينيين وقد ابتعدوا عن باقي الدوريين واضطروا إلى مجاراة ظروفهم يبدو أنهم حوروا نوعا ما في شكل الدولة في الأزمنة المتأخرة، ولكن دون قطع صلتهم أبداء في الشئون الأساسية على الأقل مع النظم السبارطية.

ويبدو أنه يجب، قبل كل شيء آخر التذكير بأن قوريني كانت شيدت تحت رعاية الوحي الدلفي ثم بقيت حتى في أوج ازدهارها تحت نفوذه في حالات كثيرة، إذ أنه قد عهد إلى الوحي نفسه حل جميع المشاكل الهامة في كافة المدن من أصل دوري وفي قوريني بصورة مستديمة ما دامت الملكية على الأقل. وعليه فإن الملوك لم يستصغروا شأن هذه الوسيلة التي تدعم سلطتهم فكانوا يستوحون دلفي في أحيان كثيرة. ولم يهمل القورينيون، اعتقادا منهم أن الآلهة هي التي أسست السلطة الملكية، إنذار الإله حتى في الزمن الذي دعوا فيه ديموناته المشرع بغضا في الملكية.

لا نعلم إلا القليل حقا عن حالة الليبيين الخاضعين لقوريني. لا شك في أنهم في زمن تأسيس المدينة كانوا يعيشون على رعي المواشي وأنهم فيما بعد، وقد

أصبحوا رعايا للأغريق، استمروا على عيشهم بنفس النظام: يجولون بأغنامهم في الخلاء من الأرض. ويتبع ذلك أن القورينيين لم يشددوا سلطتهم عليهم ولم يتصرفوا معهم تصرف القرطاجنيين الذين كانوا يكرهون الرعايا الليبيين على فلاحة الأرض. وهذا ما يدل على حكمتهم السياسية إذ أنهم لم يقدموا على تغيير طريقة حياة البلاد الأصليين. أن طبيعة المكان نفسها، إذ تتخلله السهول والتلال، تحتم الرعي على عدد كبير من السكان. ومن المحتمل مع هذا أن بعض الليبيين من الذين لم يطردهم الأغريق طردا كاملا من أراضيهم الصالحة للزراعة والمعروفين " بالمجاورين " والمكلفين بزراعة حقول الأغريق، قد اتخذوا الفلاحة عملا لهم. ولا شك أن معظمهم كانوا مستقرين. فمثلا نجد ذكر مدن تبدو أنها ليبية مثل آسبستا وآمبيلو ورغما عن أن الليبيين القورينائيين لم يمتزجوا بالأغريق بما يؤدي إلى الاندماج بين الشعبين كالليبيين الفينيقيين، كان هناك قوم بربر يحتلون منطقة بقرب قوريني اتخذوا العادات الأغريقية في أشياء كثيرة وأن القورينيين وأهل مدينة برقة أنفسهم اقتربوا من الليبيين في أوجه عديدة .

ويمكن الاستنتاج من واقع تزاوج الأغريق والليبيين مثلا أن البعض تبنوا بعض نواحي حضارة البعض الآخر. وكما وقع لليونيين الذين انتقلوا إلى آسيا دون نساء فتزوجوا من نساء كاريات، كذلك تزوج جميع المستوطنين الذين ركبوا البحر في الأزمنة القديمة من نساء المنطقة التي نزلوا بها، وذلك لأنه لم يكن من الميسور نقل النساء في السفن التي كان قدماء الأغريق يستعملونها للنقل، نظرا لتكوينها. أما فيما يخص مؤسسي قوريني فحسبنا برهان على زواجهم من نساء ليبيات ما ذكره تليسيقرات، بطل الألعاب البيتية وسليل إحدى بنات آنتئوس .

وهناك إشارة أخرى مماثلة لخاليمقوس إلى زواج مؤسسي قوريني إذ قال: " لما رقص مسلحو آريس [1] مع الليبيات الشقروات عندما حان الوقت المحدد للأعياد الكارينية ". وأخيرا أن السبب الذي من أجله اتبعت نساء القورينيين وخاصة نساء سكان برقة الدين الليبي يبدو أنه يرجع إلى أن معظمهن كن من أصل ليبي .

ولا يخفى من جهة أخرى أن الأغريق أيضا ممن استقروا بليبيا اعتنقوا

الديانات الليبية في حين اعتنق الليبيون الدين الأغريقي وخاصة عبادة مينرفا. واعتادت بنات قبيلة أوسن الليبية النازلة بقرب مستنقع تريتونيد الاشتراك في الألعاب السنوية التي كانت تقام تكريما لهذه الآلهة. وكانت أجملهن تلبس الخوذة الكورينتية والدرع الأغريقية وتطوف محمولة في المدينة عند بداية المباراة. وكانت قبيلة الآسبست النازلة بقرب قوريني وقبيلة قابال النازلة بقرب توكيرة أكثر الليبيين اتباعا للعبادة الأغريقية .

هوامش الفقرة (32)

(1) آريس: إله الحرب عند الأغريق يقابله مارس عند الرومان .

- 33 -

قائمة موجزة بالليبيين القاطنين بقرب قوريني

يبدو لنا مناسبا والحالة هذه عرض قائمة للشعوب التي سكنت بقورينايا وفيما يجاورها في عهد ثراء قوريني، مقتفين أثر هردوت فيما كتبه في هذا الموضوع. وكان أولها ابتداء في مصر وشرق قوريني الأديرماشيون وكانت منطقتهم تمتد من هناك حتى آبي أو حتى بلينوس. وقال بطليموس عنهم إنهم ينتشرون في الدواخل حتى عمون [1]. وكلماته هذه توحي بأنهم في العهود التالية قد دفعوا إلى المناطق الداخلية بضغط الأغريق عليهم.

ويجاور هؤلاء القوم الجيليغام وكانوا نازلين في المنطقة التي تحدها جزيرة آفروديزياد. وتوجد جزيرة بلاتيا طول الساحل الذي يسكنونه كما توجد في الداخل مدينة آزيريس وأثار رينل اعتراضا على هردوت فيما يخص تحديد هذه الحدود مفاده أنه إذا كانت هذه الحدود كذلك فإن معظم قوريناي المزروعة تكون آهلة بسكان رحل. وعليه يفترض بأن هردوت إنما قصد جزيرة غير آمزوديزياد التي كانت تقع غرب قوريني. ولكن فات رينل أن هردوت قد أفاد باستقرار الاسبيست قرب الجيليغام مما يتفق تماما مع ما سبق أن قلناه عن هذه القبيلة التي كانت تتجول في الأراضي التي كان يحتلها الأغريق أيضا.

وكان يحد الجيليغام من الناحية الغربية الآسبيست الذين من المحقق أنه لم يكن لهم اتصال بالبحر إذ أن الساحل كان بيد الأغريق. ويبدو أن خاليمقوس عندما قال بأن قوريني كانت تقع بأرض الآسبيست إنما كان يعني حالة كانت سائدة في وقت سابق أي قبل أن أجلي هذا الشعب إلى الدواخل – ويتفق ديونزيوس بريجيت [2] مع هردوت وينسب هؤلاء القوم إلى البحر الأبيض المتوسط. ويتفق معه أوستاثيوس [3] كذلك ويقول أن وحي عمون كان بأرضهم – ويخطيء كل من بلينيوس وسولينوس إذ يقول أن مسكن الآسبيست كان المنطقة غربي منطقة النازامون.

وتنزل قبيلة الأوسيغ غربي الآسبيست مقابل مدينة برقة بالداخل وكان أفرادها ينتشرون طول الساحل حتى اوسبريد في بداية سرت الكبرى. وسكن القابال وسط منطقة الأوسيغ على ساحل توكيرة .

يوزع هردوت بهذا الشكل الواضح مقر هذه القبائل، ولكنه يتضح من الجغرافيين القدماء بأنه حدثت تغييرات في أوقات لاحقة في الأسماء والأماكن. فسكيلاس مثلا يقول أن المرماريين كانوا يسكنون في المنطقة بين آبي الحد الغربي للأديرماشيين وسرت الكبرى ويهمل القبائل الأخرى التي ذكرها هردوت. ويرى رنل أن سبب هذا الفرق يرجع إلى أن سكيلاس استعمل اسما عاما وأكثر شمولا كما هي عادة الملاحين. ولا حاجة لنا في الواقع حتى للتدليل على أن اسم المارماريين كان يطلق في زمن متأخر على قبيلة أو أكثر في هذه المنطقة. وينسب بلينيوس إلى هذه القبيلة نفس الحدود التي نسبها إليها سكيلاس. ولكن سترابون يقول إنهم كانوا يصلون حتى عمون، في حين يقول ديودورس أنهم ينتشرون من مصر إلى قوريني .

ومهما يكن من أمر، فبما أن هردوت شرح حالة هذه الشعوب في عهد ازدهار قوريني بما هو أدق ولا شك من شرح الحديثيين، أظن أنه من الأولى مواصلة الحديث.

ويبقى لنا أخيرا أن نقول أشياء قليلة عن آخر قبيلة كانت تحد غربا بقوريني وتنزل شرقي القرطاجنيين وتخضع لهم في زمن بلوغ قرطاجنة أقصى توسعها ونعني بها النازامون وهي قبيلة كبرى كانت منتشرة بالمناطق الجنوبية مما يلي سرت الكبرى. وكان أفرادها رعاة يتصدون أوجيلة أفواجا كل سنة لجني التمر غذاء الأفريقيين الأول – وكان من عادتهم أن يسلبوا السفن الجانحة على شواطئ خليج سرت فاشتهروا باللصوصية. وفي زمن لاحق عندما عظمت قرطاجنة انكمشوا في رقعة أضيق كما يبدو – ويقول كل من سترابون وديودورس وبطليموس أنهم كانوا يقيمون في الدواخل – ولا يجب إهمال هذه القبيلة على كل حال ولو أنها كانت أقل خضوعا للقورينيين من القبائل الأخرى التي ذكرناها، إذ أن التجارة القورينية في معظمها كانت مرتبطة بالتحالف معها – ثم إنه يتضح من الميثاق

المعقود مع القرطاجنيين أن حدود القورينيين غربا كانت تمتد إلى مسافة أطول مما كانت تمتد إليه في الأزمنة السابقة – إننا نهمل عمدا جميع القبائل التي كانت تنزل أقصى النازامون والتي ذكرها هردوت لأنها كانت من رعايا القرطاجنيين ولا صلة لها بقوريني إلا من الناحية التجارية.

ويتضح مما تقدم إذن مدى صعوبة تحديد تخوم قورينايا لأن هذه التخوم تباينت بالضرورة تبعا لامتداد سلطان قوريني أو تقلصه وتبدل العلاقات بينها وبين الشعوب المتاخمة لها. أما من جهة قرطاجنة أي غربا فقد ثبتت الحدود النهائية بميثاق عقب خلافات كثيرة وحرب طويلة. ولكن الحدود من ناحية الرحل فلم تكن لا ضرورية ولا ممكنة .

هوامش الفقرة (33)

(1) عمون: إله مصري حامي طيبة. كان له معبد في الكرنك كما كان له معبد في سيوه ولذلك سميت هذه الواحة باسمه. فهي واحة غمون عند القدماء .

(2) ديونيزيوس بريجيتا: شاعر أغريقي، يعتقد أنه من مواليد الاسكندرية. عاصر عهد الامبراطور الروماني هاديان. كتب وصفا للعالم المسكون شعرا بالأغريقية. وكان عمله هذا شهيرا في القدم ويدرس في المدارس .

(3) أوستاثيوس: رئيس أساقفة تيسالونيكا (سلانيك) عالم وكاتب بيزنطي (1193). كتب شروحا وتعليقات على الالياذة والوديسة لهوميروس. وشرح كذلك أشعار بيندار.

- 34 -

تقسيم السكان وإدارة الجمهوريات عند القورينيين

أما إذا تحدثنا عن الحالة السياسية لدى الأغريق الذين كانوا يحتلون قورينايا، فمن المحقق أنهم لم يكونوا جميعهم يتمتعون بالمساواة في الحقوق والحرية، كما كان يحدث في المدن الدورية الأخرى تماما. ففي ثيرا الوطن الأم لقوريني لم تكن سلطة الدولة العليا إلا في يد المستوطنين الأوائل والأسر المولودة بثيرا بينما لم يبلغ الذين جاءوا فيما بعد أبدا الحقوق الكاملة ومقاليد السلطة ولا يدعوا إلى الدهشة أن يحصل أولئك، الذين أكسبهم اسمهم الأغريقي سلطة على الليبيين منذ البداية، على أموال ومناصب أكثر مما حصل عليه أولئك الذين وفدوا فيما بعد عندما كانت المدينة مؤسسة ومحصنة. فعليه فقد عمدوا على تقسيم الأراضي فيما بينهم وأسسوا وحدهم الدولة، إذا كان تصورنا للأمور صائبا – ولم يخضع لهم إلا " المجاورون " الذين كانوا مكلفين، كما سبق القول، بزراعة أراضي النبلاء – ولكن يتعذر حصر من وكم من هؤلاء الليبيين النازلين بضواحي المدينة يشملهم هذا الاسم ولا معرفة أي قانون حدد سلطة المستوطنين عليهم – وأخيرا، رغما عن أنه قد وزعت أراضي على من جاء إلى المنطقة في عهد حكم باتوس الثاني لا يبدو أي شك في أن هؤلاء المستوطنين الجدد قد اعتبروا منذ البداية من الطبقة الشعبية (ديموس) .

أما فيما يخص تقسيم المواطنين الأحرار فكانت هناك ثلاث قبائل كل منها تتشعب إلى عدة بطون ولكننا لم نجد هذا مسجلا إلا في الأزمنة المتأخرة – غير أن هذا التقسيم كان جاريا العمل به في أول عهد المدينة. ونستنتج ذلك من أن التقسيم القبلي كان أساسا للنظم في كافة المدن الأغريقية. وليس من الواضح ما إذا كانت هذه القبائل تشمل المستوطنين الأوائل وحدهم أو الجدد منهم كذلك. ولا نعلم أيضا زمن وطريقة تأسيسها أولا .

اتبع القورينيون النظم الدورية في تنظيم دولتهم. وعليه ليس هناك شك من أن السلطة العليا كانت بيد جمعية الشعب، لديهم ولدى جميع الدوريين الآخرين.

وكانت الجمعية هذه محددة ومقصورة بأشكال مختلفة. ولكن لم تصلنا معلومات عن عهد قوريني الأقدم. بيد أن مصادر كثيرة تخبرنا بأن مجلس الشيوخ، المسمى بلغتهم " بوله " والذي كان النبلاء عن طريقه يستطيعون الحد من سلطة الشعب، وجد في عهد الملكية وحتى في عهد المدينة المتأخر. لا نعلم شيئا عن السلطات التي كان يتمتع بها ولكن في الكلام عن الدساتير الدورية لا يمكن التفكير في اسم " بوله " كضد لاسم "غيروسيبا" وكثيرا ما كان يستعمل أحدهما عوضا عن الآخر. ولا يعرف كيف كان يتكون مجلس الشيوخ وكيف كان يعمل. ولكن يبدو محتملا أن الأعضاء فيه لم يكونوا يتولون سنويا بل مدى الحياة (كما كان الأمر بسبارطه وكريت ولدى الأقوام الدوريين الآخرين) .

وأخيرا فإن السلطة الملكية التي عرفها الأغريق لدى البربر (1) غير محددة بقانون، وضعت لها الضوابط لدى القورينيين كما كان الأمر لدى المدن الأغريقية الأخرى، ولو أن الملوك في العهود المتأخرة رغبوا في سلطات أوسع. وكان الملك يشترك في القيادة وفي توزيع العدل مع مجلس الشيوخ، وكان إليه يعهد بقيادة الحرب. ولكنه لم يكن يتمتع بسلطة قليلة في المجموع، ولا سيما أن مكانته كانت تنحدر من آبوللو والكهنوت. وقد عادت العلاقة الوثيقة بين الوحي الدلفي وقوريني بدعم كبير للسلطة الملكية بتواصلها دون انقطاع تحت رعاية الملوك مباشرة. ولم يكن الشعب يملك سلطة تعيين الملك، لأن المنصب الملكي كان يعتبر من النظم الإلهية. كان الابن يخلف الأب في وراثة شرعية. وهكذا كان جميع الملوك من سلالة المينيين يستمدون أصلهم من باتوس المؤسس. نحن نجهل تماما دخل الملك وأمواله وما كان يحاط به من تشريفات، باستثناء ما تبقى من المخصصات المالية عندما كانت السلطة الملكية داخل حدود ضيقة. إنما نعلم أن ثلاثمائة غلام كانوا يؤلفون حرس الملك في قوريني، كما كان الأمر في سبارطه. ومن المحقق أن هؤلاء لم يكونوا يختلفون عمن يسميهم بيندار " شبانا " وهم مراهقون مختارون، كانوا يعظمون آبوللو في الأعياد الكارنية بحضور الملك .

ومن المناصب القورينية الأخرى، وجاءت أصلا من الدوريين لا يذكر إلا

منصب " أوفوروس ". وكان من واجب من يتولون هذا المنصب إقامة الدعوى والحكم بالتشهير على " العربيدين والخبثاء ". إن هذا المنصب كان موجودا بثيرا الوطن الأم لقوريني ولكن أحداثه في المستوطنة يرجع إلى عهدها الأول. ومما يبدو مشكوكا فيه أن يكون هؤلاء قد حاولوا كالأوفوروس الأسبارطيين توسيع اختصاصاتهم، غير قانعين مما كان لديهم من سلطة، خاصة وأن في دولة يمارس فيها المواطنون التجارة على نطاق واسع، يكتسب أهمية كبرى الاختصاص في شئون البيع والشراء وفي القضايا الخاصة مما كان يعهد منذ البداية أو على الأقل منذ الأزمنة القديمة، إلا هؤلاء القضاة. هذا ولا يعرف شيء عن عددهم وعن طريقة انتخابهم وعن المكانة التي كانوا يتمتعون بها. ولا نعلم شيئا عن كثير من المناصب القورينية الأخرى.

وأخيرا فيما يخص الرسالة التي يتحدث فيها آربتسوس [2] إلى ابنته آريتا عن عدد " المفتشين " و " الآركونت " القورينيين أظن أني قريب من الحقيقة إذ أقول إنها مزيفة وأن مزيفها قد استقى معلوماته عن هذه المناصب من الدستور الآثيني، ذلك لأن الرسالة قد خُطّت باللغة الآتيكية ولا تراعي التواريخ لدرجة أنها تتحدث عن مدينة برنيق عوضا عن اسبريدس .

هوامش الفقرة (34)

(1) كلمة " البربر " هنا لا يقصد بها المؤلف سكان شمال إفريقيا بل الذين لا يتكلمون بالأغريقية أي الأجانب عن الأغريق بصورة عامة .

(2) آريستبوس: فيلسوف أغريقي من مواليد قوريني، عاش في القرن الخامس ق.م. تتلمذ على سقراط - شيخ المدرسة الفلسفية القائلة بأن السعادة لا تقوم على اللذة أو، بعبارة أخرى، أن اللذة أساس السعادة. سيأتي الكلام عنه في مكانه من هذا الكتاب.

- 35 -

منشأ مدينة برقة

من الضروري أن نعود إلى روايتنا وأن نطرح جانبا ما رأينا مناسبا إدراجه لنحسن فهم تاريخ قوريني. إذن بعد أن بدـ الدولة القورينية في عهد باتوس الثاني وكأنها أصبحت مزدهرة وقوية، وقد اتسعت سكانا ومساحة، نشبت فيها، كما يحدث في المدن الأغريقية عادة، ثورات وحروب أهلية وقد عانت منها الأمرين باستمرار تقريبا. فبما أن السكان لم يكونوا يتمتعون جميعهم بنفس الحقوق انتهوا إلى صراع مختلف الأشكال دار بين المستوطنين القدماء والمستجدين. وانتهزا الملوك الظروف فاتخذوا لأنفسهم سلطات لا تتفق مع دستور الدولة فمارسوا عمليا حكما مطلقا تقريبا. ويبدو فعلا أن السلطات الملكية القديمة انقلبت إلى استبداد بعد أن كانت محدودة بما فيه الكفاية، وذلك عندما تسربت إلى الباتيين رغبة ممارسة الحكم في غطرسة نتيجة لمصاهرتهم للملوك المصريين وللمودة التي ربطت بينهم. ولما كان الشعب شديد الحرص على حريته كما كان جميع الأغريق بصورة عامة، تصدى للوكه فاجتاحت الدولة القورينية عواصف ثورية خطيرة. ورغما عن أنه من المحتمل أن قوة المدينة لم تنم طول مدة القرن التالي، بل نقصت بسبب الخلافات الكثيرة المتلاحقة، فإننا لا نجرؤ على تحديد شيء محقق في هذا الموضوع لنقص الروايات المأثورة، لا سيما وأن آثينا، التي بينها وبين قوريني أوجه صلات كثيرة أكثر مما بينها وبين المدن الأغريقية الأخرى، إنما بلغت عصرها الذهبي وسط الصراع الدائر بين مواطنيها. والمعروف مع هذا أن الليبيين المجاورين قلصوا من سلطة القورينيين وأن قوريني قد فقدت بالنسبة لهم ذلك النفوذ الذي كانت اكتسبته بالانتصار على المصريين. وكل هذا يحملنا على التفكير في أن المدينة لم تزد قوة إلا في المدة التي انتشرت فيها الحرية فأخذ حب المجد يراود قلوب المواطنين مباشرة .

سبق منذ عهد آركيسلاو الثاني ابن باتوس وخليفته في الملك بالوراثة أن نشبت خلافات خطيرة. وكان هذا الملك يختلف كثيرا عن والده فاكسبته أفعاله لقب " الخبيث ". وفي عهده أنشئت برقه وهي مدينة ذات أهمية كبرى في شئون

ليبيا. وكان من شأن خلافات نشبت بين آركيسلاو وأخوته أن اضطر منشئو مدينة برقة إلى النزوح عن قوريني واللجوء إلى جهات أخرى بليبيا. ومن المحتمل أن يكون برسيئوس وزاكينتوس وآريستو مدونته وليقوس، الذي ينسب إليهم ستيفان البيزنطي إنشاء برقة، أخوة لآركيسولا. ويرجع إذن سبب هذه الهجرة (وغيرها من الهجرات الكثيرة مما يحدث في المدن الأغريقية) إما إلى بغض شكل الحكم في المدينة أو إلى طمع أولاد باتوس في تولي الحكم. وقد هجر هؤلاء قوريني مع أتباعهم وعزموا على إنشاء مدينة جديدة. وقد أكرم الليبيون في المنطقة وفادتهم حقدا على السلطة الأغريقية وأبعدوهم في يسر عن القورينيين .

يرجع هردوت إنشاء برقة إلى هذا الزمن، وهو الذي كان قريبا منه ويستطيع الحصول على معلومات وثيقة (لا سيما وأنه كان زار قوريني شخصيا). ويتبع ذلك انهيار افتراض من كان يقول بأن برقة كانت أكثر قدما. وبين هؤلاء سرفيوس وهو كاتب من عهدمتأخر جدا. ولا حاجة بنا إلى تكذيبه إذ يقول أنه قد أطلق على هذه المدينة اسم الملكة برقة (لعلها إبنة آنتئوس) كما أطلق إسم الملكة قوريني على قوريني. وهناك كثرة تقول أن الفينقيين هم الذين أنشأوها وعلى وجه الدقة أنشأها برقة أخ ديدو أو أنها على كل حال قد أنشأت قبل التاريخ الذي أقره هردوت على أقل تقدير. وحاول هؤلاء رغم افتراضهم بحجج عديدة، وعملوا على التدليل على أن الاسم فنيقي. ولكن يجوز لنا أن نتساءل هل لا يمكن أن يكون اغريقيا. وقالوا أن القدماء قد ذكروا هذه المدينة قبل تأسيسها، الذي أورده هردوت، بزمن طويل. فيقولون مثلا أن اسم برقة يوجد في معابد الكاهنة سيبيلا [1] وأن سوفوكليس [2] سبق له أن ذكر أن: " المركبات البرقاوية " كانت معروفة منذ عهد أورست [3]. كما ذكر فرجيليوس [4] في ملحمته أن :" البرقاويين الهائجين " كانوا من معاصري ديدو [5] حجج واهية في الحقيقة لأن هناك اتفاقا عاما على تأخر زمن الكاهنة سيبيلا، على الأقل وفقا لما جاءت به الأخبار. وقد وقع كل من سوفوكليس وفرجيليوس في خطأ تاريخي خطير يدهشنا أن يكون المؤرخون قد قبلوه. أما التدليل على قدم المدينة بالإشاعة القائلة بأن أهل برقة كانوا تعلموا رياضة الخيل من نبتون [6] وفن قيادتها من مينرفا [7] فإن من يمعن النظر فيه دون فكرة مسبقة، يفهم في يسر أن هذه العبارات إنما ترمز إلى حذق

البرقاويين في قيادة مركباتهم كحذق جميع أهل قورينايا بصورة عامة وهكذا نستبعد هذا الافتراض استبعادا كاملا لتعارضه مع الواقع.

ولكن هناك ما هو أسوأ فيما يدعيه بعضهم من أن البرقاويين كانوا منتشرين في بلاد كثيرة حتى الهند. فلقد خدع هؤلاء بكلمات القديس جيرولاموس (8) إذ قال: " وتأتي بعد ذلك صحراء بيت لحم الكبرى التي تصبح بالبربر الضواري الذين ذكرهم الشاعر النبيل فيرجيليوس فقال عنهم (البرقاوين الهائمون على وجوهم) هم من مدينة برقة التي توجد في وسط الصحراء. وهؤلاء هم البربر الذين يسميهم الأفريقيون برقاويين بكلمة محرفة. أنهم أولئك القوم الذين يتبدل اسمهم حسب المكان وينتشرون من موريتانيا عبر مصر وإفريقيا وفلسطين وفينيقيا وسوريا وأوسروين والعراق وفارس حتى الهند ". ويقول في مكان آخر: " اعتقد أن الشاعر (أي فرجيليوس) يتحدث عن الاسماعيليين عندما يقول ..... (البرقاويون الهائمون على وجوههم) ". من الواضح أن هذا الرجل قد استقى من عبارة فرجيليوس " البرقاويون الهائمون " حجته وأنه اتخذ اسم البرقاويين في معناه الواسع الرامز إلى الرحل كأصل لكلمة برقة. بيد أن آلدريتوس لا يتردد، مستندا إلى قول القديس جيرولاموس، في تسميته أولئك الناس المنتشرين في آفاق الأرض باسم البرقاويين ويؤيد رأيه بتعليق واسع على الموضوع. وقد أجهد مؤلفوا التاريخ العام الانكليزي أنفسهم في التدليل على مدى ما كان عليه سلطان البرقاويين على أساس ما أورده فيرجيليوس وسرفيوس، رغما عن أن هذا الأخير لا يتحدث إلا عن انتصار البرقاويين. وبما أن أحدا من الأولين لم يشر إلى أن دولة للبرقاويين متسعة هذا الاتساع يبدو لنا أن لنا الحق كل الحق في رفض هذه الافتراضات.

أما ما يجب ذكره كشيء هام جدا هو أصل هذه المدينة التي كان السواد الأعظم من سكانها ليبيين ولو أن القوريين كانوا المنظمين لها. وهذا يمكن فهمه من الظروف التي أحاطت بإنشائها ومن الطريقة التي عمرت بها بالسكان ذلك لأن القورينيين الذين نزحوا إليها من وطنهم الأم إنما شيدوها في وسط المساكن الليبية. وعليه فحتى إذا كان الذين أمسكوا بمقاليد الحكم في المدينة من الأغريق،

لا يخالجنا شك في أن الكثيرين من البرقاويين كانوا ليبيين. ولربما لهذا السبب يسمي بوليبوس [9] سكان برقة بربرا. وهناك أمر قد يكون البرهان على أن الأغريق ببرقة كانوا مندمجين بالليبيين في شعب واحد، ألا وهو أن نساء البرقاويين لم يكن يأكلن لحم الخنزير. أن برقة نشأت نتيجة لخلاف في الدولة أي أن أسسها المواطنون الذين لم تكن تروق لهم الحالة السياسية بقوريني، وإلى هذا يرجع السبب في أنها رغما عن أنها مدينة بمولدها للقورينيين لم تعترف قط بسلطة الوطن الأم، بل زد على ذلك أنها بسطت سلطانها في وقت قصير جدا على رقعة غير صغيرة من الأرض. وعليه فمن المعروف أن توكيره كانت خاضعة للبرقاويين. ولا أخال نفسي مغاليا إذا قلت أنهم بسطوا نفوذهم على كافة الناحية الغربية من قورينايا على الأقل لمدة معلومة. وفضلا عن هردوت يميز سكيلاس بين مدن خاضعة للقورينيين ومدن خاضعة للبرقاويين. أما اينياس تاقيتقوس [10] فلا يميز بين القومين ويعتبرهما وكأنهما قوم واحد. ويقال أن تينيانوس كان يذكر البرقاويين كشعب حر ويشير بطليموس إلى البرقاويين على أنهم قوم من المدن الخمس. وتوجد فضلا عن ذلك نقود مسكوكة لبرقة كمدينة حرة. وقد خضعت المدينة للوك تنفرد بهم من أسرة باتوس ذكر منهم بصورة خاصة الغزير، بل تجاوزت ذلك إلى إيواء القورينيين المطرودين من مدينتهم، مما يوحي بأنه كانت هناك خصومة بين المدينتين. ومن هذا كله يمكن التفكير في أن نمو سلطان قوريني قد أعيق. ويفيدنا هردوت بأن برقة بقيت حرة في زمن إخضاع قمبيز لمصر وأن بعد ذلك أصبح البرقاويون كالقورينيين يدفعون الخراج للفرس. ومعروف كذلك أن الفرس قد فتحوا برقة في عهد الملك دارا ايستاسبه، ومن هذا الزمن فصاعدا لم تخضع إلا قليلا للقورينيين وأن في عهد كسره كانت تحكم بقوانينها الخاصة كما يستخرج من عبارات بوليبوس. وعليه يجب قبول أن البرقاويين قد استعادوا حريتهم وصانوها حتى نهاية العهد الملكي بقوريني على الأقل، ولربما قد عقد نوع من التحالف بين المدينتين بعد تحررهما في النهاية. ولكن لا يعرف عن ذلك إلا القليل. وفعلا قد هاجم البرقاويون قوريني في مؤامرة تيمبرون. ولعلهم فعلوا ذلك لتحرير مدينتهم من حكم قوريني .

هـوامش الفقرة (35)

(1) سيبيلا: اسم علم لامرأة كانت تتنبأ بالغيب في القدم ثم أصبح كناية عن الكاهنة. فكانت هناك سيبيلا في قوما بقرب نابولي وأخرى في روما في عهد الرومان. وعثر بعضهم على نبؤات يهودية أو بابلية مازالت محفوظة نسبت إلى سبيللا عاشت في ذلك العهد الغابر.

(2) سوفوكليس: شاعر تراجيدي أغريقي (496-406 ق.م.) وضع عددا من المسرحيات لم يتبق منها إلا سبع (آنتيغون، الكترا، أوديب الملك وآجاكس وخلافها).

(3) أورست: في الاساطير الأغريقية: ابن آغامنون وقليتمنترا، قتل والدته بالتواطؤ مع أخته الكترا للثأر لأبيهما منها، تولى ملك آرغوس ولاكيديمونيا.

(4) فرجيليوس: شاعر لاتيني (70-19 ق.م.) باكورة أعماله الملحمة " أينيد" تغنى فيها بأينيا البطل ابن ملك تروادة. على أثر حرق الأغريق لموطنه رحل مع والده وابنه وصحبه وبعد رحلة طويلة بلغ الشاطيء الإيطالي وأنشأ الشعب اللاتيني.

(5) ديدو: ملكة قرطاجنة. أحبت البطل الترواد ي أينيا في إقامته القصيرة في قرطاجنة وعرضت عليه البقاء معها فأبى ورحل مع أهله وصحبه إلى أن نزل بالشواطيء الإيطالية. فحرقت ديدو نفسها حزنا على رحيله.

(6) نبتون: إله البحر في الأساطير اللاتينية. كان يحتجز خيله في قصر بقاع البحر ولا تخرج منه إلا لجر عربته على سطح الموج.

(7) مينرفا: إلهة لاتينية تقابلها آثينا في الأساطير الأغريقية.

(8) القديس جيرولاموس: أب من آباء الكنيسة الكاثوليكية وعالم وواعظ (347-420) ترجم التوراة إلى اللغة اللاتينية.

(9) يولينوس: خطيب مكدوني عاش بروما في القرن الثاني بعد الميلاد. اشتهر بكتاب ضمنه 900 حيلة تستعمل أو استعملت في الحروب عنوانه: " ستراتيجيكا " وهي نبذ تشتمل على نماذج من الدهاء والحكمة.

(10) إينياس تاقتيقوس: كاتب أغريقي عاش في القرن [illegible] ق.م. كتب عدة كتب في فن الحرب.

- 36 -

مـوقـع برقة ووقائـــع المدينة المختلفة

كانت مدينة باركه أو برقه الواقعة غربي قوريني بعيدة عن البحر مائة ستاد ولكن كان لها مرفأ على الساحل. ويخبرنا ستيفانوس البيزنطي بأن البناء فيها كان من حجر. وكانت في عهد هردوت ما زالت قائمة ولو في حالة خراب نتيجة لاستيلاء الفرس عليها. ويبدو أن سكان برقة قد نزحوا عنها شيئا فشيئا إلى طلومايس وهي مدينة أسست في عهد البطالمة بقرب مرفأ برقة في مكان أصلح للتجارة. وحدث أنه بينما بقيت برقة مهجورة أهل ميناؤها (ومن مبانيه الشهيرة البوابة الملكية وكانت في زمن ما مقر المحاكم) وأصبحت شهرته تزداد يوما عن يوم. فقال بطليموس عنه أنه ممتاز وقال بروفوبيوس أنه غني ومقصود. وبهذا يمكن تفسير لماذا كان الكثيرون يعتبرون برقه وطلومايس مدينة واحدة. فيقول سترابون مثلا أن برقة سميت طلومايس فيما بعد. ويقول بلينيوس أنها تسمى طلومايس واسمها القديم برقة. وقال المعلق على سوفوكليس وسويدا وسرفيوس أن برقة كانت تسمى في عهد طلومايس. وأخيرا يطلق ستيفانوس نفس الاسم على المدينتين. أما كون اسم طلومايس لم يحل محل اسم برقة وأن كل اسم يطابق مدينة قائمة بذاتها يتضح من بطليموس الذي يسمي ساحلية الأولى وقارية الأخرى ومن سكيلاس الذي يميز بين برقة التي تبعد مائة ستاد من البحر وميناء برقة. وحدث أنه كلما ازدادت شهرة طلومايس نقصت شهرة برقة إلى أن تلاشى اسمها من الذاكرة ولم يبق لدى الكتّاب فيما بعد إلا اسم الأخرى. بيد أن برقة ظلت قائمة بقرب المدينة الأخرى لقرون عديدة، إذ ذكر اسمها لدى فرجيليوس وكلاوديانوس وسيليوس ايتاليقوس وسيدونيوس آبو للينايس. غير أن هؤلاء الشعراء ليس لهم مكانة كمؤرخين ولعلهم كانوا يتناقلون الرواية القديمة ويعرضون في شعرهم، كما هي عادة الشعراء، الجزء عن الكل. على أنه من عبارات بطليموس آنفة الذكر ومن كون المدينتين كان لهما فيما بعد أسقف واحد، يتضح أن لا برقة ولا طلومايس كانت خربة في مستهل التاريخ المسيحي.

هذا وقد أصلح الامبراطور جوستينيانوس طلومايس وكانت المدينة في عهد أبي الفداء سوقا تجارية شهيرة. وهي تقع شمال توكيره (خط العرض 32" 42" 29" وخط طول غرينتش 20 " 54" 50") ويشاهد فيها اليوم خرائب جميلة جدا يقع بعضها على سفح الجبل والبعض الآخر في السهل ومازالت تسمى طلميثة. ونحتت القبور فيها بنفس الطريقة المستعملة بقوريني وكثير منها منتشر بين بقايا المدينة. وتقوم في وسط المدينة على أرض كسيت بالفسيفساء أعمدة ضخمة ويوجد بقربها نصب رائع يثير إعجاب الكبير يبدو أن بانيه أحد البطالمة. وبما أن طلومايس قد بنيت في عهد البطالمة يقترب طراز البناء فيها من الطراز المصري أكثر مما يقترب منه في المدن القورينائية الأخرى. ويظن دللاتشيللا أنه عثر على خرائب برقة على الجبل جنوبا في مكان غير بعيد من طلومايس حيث توجد على مرتفع مجدب أسوار من الحجر وقبور وآبار عميقة فيها مياه طيبة. فهل ما زالت هذه المدينة قائمة ؟ قد أشار إلى برقة أكثر الكتاب الحديثين في مؤلفاتهم، حاذين حذو الأدريسي وأبي الفداء اللذين يذكرانها كما لو كانت قائمة حقيقة في عهد الحكم العربي. ومع هذا وبما أنها لم تذكر في المسالك [3] فإني أعتقد في أن وجودها موهوم دون شك، ويجب إبعاده إلى عالم الخيال .

هوامش الفقرة (36)

(1) ستيفانوس البيزنطي: يعتقد أنه عاش في النصف الأول من القرن السادس الميلادي، في عهد جوستينياتوس الأول. ألّف قاموساً جغرافياً. لد يبق منه إلا جزء ضئيل، يحتوي مقتبسات مما كتبه كتّاب أقدمون وتفصيلات [illegible]افية وتاريخية .

(2) آبوللیناریس واسمه الكامل سيدونيوس غايوس [illegible] (430-488). أسقف وكاتب مسيحي، مؤلفاته: أشعار، ورسائل ومجمو[illegible] المديح لعدد من الأباطرة البيزنطيين. تتميز أشعاره ورسائله بإلغاء الأنوار عل[illegible] التاريخ السياسي والأدبي في القرن الخامس .

(3) المسالك: يقصد بها المؤلف ما كتبه بعض الجغرافيين عن خطوط السير بين المدن وعن وضعها وبيان المسافات بينها، مثل المسالك الأنطونية وقد وضعت في العهد الروماني كدليل للمسافرين في أنحاء الامبراطورية .

- 37 -

خلافات بقوريني في عهد آركيسيلاو الثاني وبعد موته

قلنا عن برقة ما يلزم، فلنرجع إذن إلى آركيسيلاو في عهده وبعد أن انشق أخوته عنه، لم تفقد قوريني عددا غير قليل من سكانها واكتسبت جارة مادية فحسب، بل شق الليبيون كذلك عصا الطاعة بتحريض من مؤسسي برقة. ولو أنه لا يظهر من نص هردوت أي القبائل الليبية كانت المنظمة للثورة، إلا أنه يبدو أن القباليين والآوسيغ المجاورين لبرقة والذين آووا زعماء قوريني المنشقين كانوا في مقدمة من حرض عليها. ويبدو من انسحاب الليبيين فزعين نحو القبائل الشرقية أن آركيسيلاو قد نجح في قمعهم. ولا شك في أن هذه القبائل، وقد دفعت إلى الثورة، كانت تآمرت مع غيرها من القبائل الأخرى الخاضعة لقوريني لاستعادة حريتها. وتعقب آركيسيلاو الهاربين ولكن " بلوقون " خذلت الأسلحة القورينية أمام حب الليبيين للحرية. وفعلا اندفع الليبيون إلى المعركة ففازوا بانتصار مبين حتى أن سبعة آلاف من القورينيين سقطوا صرعى في الميدان. وتسكت الرواية عن الويلات التي حلت بالقورينيين نتيجة لهذه الهزيمة، ولكن لا شك في أن ليبيين غير قليلين انتهزوا الفرصة ليستقلوا بأنفسهم ولم يستعد القورينيين القوة التي كانت لهم في عهد باتوس الثاني إلا بعد زمن طويل. ومن المحتمل أن آركيسيلاو هذا (الذين استغاث طبعا بالإله حامي المستوطنة بعد تلك الهزيمة) هو المعني بنبوءة آبوللو الدلفي، التي نقلها ديودوروس على أنها تنطبق على قوريني، فأصابته كوارث كبرى. يقال أن البيتيا الكاهنة ذكرت أن آبوللو كان غاضبا على ملوك قوريني لأنهم ابتعدوا عن روح الرحمة التي كان يتحلى بها باتوس الأول ولأنهم درجوا على القسوة في حكمهم وبددوا لمصلحتهم الخاصة الأموال العامة وأهملوا عبادة الآلهة. ولكن لا يمكن تقرير أي آركيسيلاو قد خص بهذه النبوءة، ذلك لأن هذه التهم تليق بآركيسيلاو هذا كما تليق بغيره. هذا ولم يتسع الوقت لآركيسيلاو لإصلاح ما أفسدته الهزيمة، إذ أنه جلب على

نفسه حقد المواطنين بإمعانه في القسوة على أثر مصاهرته لليارقوس ويتعذر كذلك تقرير ما إذا كان هردوت قد أخطأ في هذه النقطة، إذ يقول أن ليارقوس المتقلب كان آخا لآركيسيلاو، أم فلوتارخ الذي كان يقول أنه كان صديقا له (ويجوز أن المؤرخين يتناقضان). بيد أننا نفضل قول الأول لأنه أقدم عهدا، على قول الأخير الذي نجهل مرجعه. والخلاصة أن ليارقوس هذا كان يتظاهر بالصداقة للملك وينصب له المكايد في الوقت نفسه، طمعا في الاستئثار بالملك. فعمد إلى قتل وطرد كثيرين من النبلاء وألقى بمسئوليته ذلك على الملك حتى يثير موجة من الحقد عليه. وفي النهاية دس له السم ولما لم يكف ذلك خنقه. وهكذا مات آركيسيلاو موتة جديرة بأعماله بعد أن تسبب في تدهور سلطان قوريني.

وما أن تخلص ليارقوس من آركيسيلاو حتى تظاهر بالاحتفاظ بالملك لباتوس ابن الملك المقتول ولم تكن له مكانة تذكر، إذ كان أعرج وفي سن الطفولة، فارتقى العرش وأخذ يروع المواطنين بكل نوع من أنواع الجرائم. وقد زادت استبداده هولا مجموعة كبيرة من الجنود المصريين بعث بهم آماسي إلى قوريني وكان من المحتمل أنه قد عقد حلفا مع القورينيين منذ أول عهد ملكه. بيد أن حكم الطاغية لم يدم طويلا. والواقع أن أريكسو، زوجة آركيسيلاو الثاني ووالدة باتوس الصغير، قد حرمته من الملك والحياة. كانت امرأة وادعة طيبة ولها حظوة كبرى عند القورينيين سواء لنفوذ أسرتها (كانت ابنة أخت باتوس أويدايمون) أو لفضائلها. ويبدو أن ليارقوس كان طلب أن يتزوج منها حتى يدعم الملك الذي اكتسبه بالجريمة، واعدًا بأن يتبنى باتوس الشاب. فأجابته طالبة أن يتحدث مع أخوتها في الموضوع. وبما أن هؤلاء كانوا يتعمدون التسويف بعثت أريكسو بخادم لها إلى ليارقوس تقول أن أخوتها يعارضون في زواجها منه ولكن إذا تم اجتماع بينه وبينهم فلربما يستجيبون، ودعته إليها. وبما أن ليارقوس كان يثق فيها جاء ليلا إلى منزلها ولكنه تصادف مع بوليارقوس أكبر أخوتها سنا بينما اختبأ الباقون في المنزل. وقتله شابان كان قتل والدهما قبل ذلك بقليل. وعندها بايع المتآخرون باتوس الصغير ملكا وأعادوا للقورينيين نظام الحكم السابق.

ـ 38 ـ

الدستور الجديد الذي وضعه دموناكس

وهكذا اعتلى باتوس الثالث العرش. وكان بساقه عيب فلقب بالأعرج. أما فيما يخص عهده، الذي يتعذر تحديده كذلك، فيبدو أنه مات قبل أن يستولي قمبيز على مصر ببضع سنين. والواقع أن ابنه وخليفته على العرش اضطر إلى الهجرة لثورة رعاياه عليه ولجأ إلى ساموس. ومن هذا يتضح أن في ذلك الزمن لم تكن قوريني خاضعة بعد للفرس وإلا لكان استنجد بهم (ولا سيما وأنه من المعروف أنه جبا خراجا لصالحهم). اعتقد أنني استطيع أن أحدد في شيء من الاحتمال بأنه حكم المدينة من عام 550 إلى عام 530 (كما يقول ريتز) أو من عام 544 إلى عام 529 (كما يقول بوهر ولارتشر). ولا يبدو ممكنا أن يكون مات بعد عام 529 .

لم يهنأ باتوس هذا بعد أن أصبح ملكاً بحكم هادئ وطيد بل بدا وكأن نهاية الدولة القورينية قد أصبح وشيكا بعد أن تقلص سلطانها وأخذ شبح الحرب من جانب آماسي ملك مصر القوي يهدد المدينة. فقد شكا الجنود المصريون الذين كانوا يقيمون بقوريني وأصدقاء ليارقوس القتيل إلى ملكهم فأخذ هذا يعد العدة للحرب وكان يطمح ولا شك إلى توسيع ملكه بإخضاع القورينيين. فتعرضت الدولة القورينية بذلك إلى خطر داهم، فكانت الأسلحة المصرية القوية والغنية جدا في عهد آماسي تنذر بشر مستطير من ناحية وكان العدو يربض في داخل أسوار المدينة بين المواطنين من ناحية أخرى. ثم كانت هناك عداوة قائمة مع البرقاويين. وكان الليبيون الذين ثاروا قبل ذلك بقليل يبعثون على الخوف. ومن هذه الظروف كلها كان المتوقع أن تكون النتيجة غير ملائمة. بيد أن في غمرة هذه المصاعب وقع ما ليس في الحسبان لحسن حظ القورينيين. فقد حدث أن ماتت والدة آماسي فأجّل هذا حملته وقتا طويلا تمكن خلاله القورينيون من معرفة نواياه. ومع هذا، وبما أنه لم يكن هناك أي أمل في رد الغزو بقوة السلاح رأى المواطنون البارزون في الدولة: بوليارقوس وأريكسو وقريتولا والدتها وأخت باتوس أويدايمون الطاعنة في السن، أن

يذهبوا إلى مصر لإبعاد خطر الحرب. ولم تكن الرحلة فاشلة. فقد أكرم آماسي وفادتهم وأرجعهم محملين بالهدايا. والظاهر أنه تأثر خاصة بسبب مصاهرته السابقة للبيت المالك القوريني .

بيد أن الدولة لم تكن هادئة حتى بعد إبعاد خطر الحرب. بل أننا نرتاب، ولدينا ما يؤيد ريبنا، في أنه تجددت القلاقل من جانب من كان على قيد الحياة من أتباع ليارقوس. والواقع أن القورينيين بعد أن حلت بهم الكوارث الكثيرة كالهزيمة التي منوا بها على يد الليبيين وموت آركيسيلاو والقسوة التي سبقته ولحقته، ولعل كذلك لقلقهم لضعف الملك، بعثوا برسل إلى دلفي للرجوع إلى الوحي ليرشدهم إلى الطريقة المثلى لإدارة المدينة. فلا يبدو في الواقع غريبا أن يستنجدوا القورينيون بآبوللو مؤسس المدينة وحاميها في تلك الأحوال إنما حدثت في هذه الظروف خاصة لأن هردوت يقول بحدوث إحداها في عهد حكم باتوس الثالث. فأمرت إذن الكاهنة البيتيا القوريني بإحضار مشرع من مدينة مانتينيا ليفصل في خلافاتهم. فعلى ما نتينيا إذن تكرم الإله الدلفي بهذه المهمة الفخرية، على أن أهلها أصحاب نظام حكم سديد. والواقع أن كل الحكم في مانتينيا منذ ذلك الوقت وبعده دون شك كان بيد الشعب ولكن بطريقة تحول دون نمو سلطة الشعب بإسراف بواسطة قوانين حكيمة جدا وبإدارة يقظة.

فقد طلب القورينيون إذن، امتثالا للوحي إلى أهل مانتينيا أن يمدوهم بمشرع فسمحوا لهم بدموناكس وكان من أبرز المواطنين. ومن المحتمل أنه كان صاحب فضل على وطنه لما قد يكون قد وضع من اصلاحات سياسية. وفعلا إنما يتحدث عنه بالذات ولا شك هرميبوس في كتابه " المشروعون " إذ قال أن دموناكس المانيتي كان أقنع مواطنيه بممارسة المصارعة الشيء الذي أخذه عنهم القورينيون فيما بعد. ولكني لا أعلم، والرجل كان يعيش في ذلك الوقت بين أهل مانتينيا، ما إذا كان الوحي كان يعنيه بذاته عندما أشار إلى هذه المدينة. وعلى كل حال فقد استحق دموناكس شكر الدولة القورينية، إذ أن بفضل حكمته وعدله عاد الوئام والهدوء إلى المدينة على الأقل إلى حين. وبما أنه لا بد أن غايته الأولى وحقوق

ذرية من أتى من بعدهم ثم كبح جماح السلطة الملكية لمقاومتها للقوانين، فإنه بذل جهده لإعادة السلطة العليا إلى الشعب وفتح الطريق أمام الحرية، وذلك عن طريق تعديلات دستورية .

وعليه فقد ألغى القبائل القديمة وأنشأ أخرى جديدة شملت جميع سكان قوريني الأغريق، موزعين بشكل يضمن ضم الثيريين و " المجاورين " في قبيلة واحدة والبلوبونزيين والكريتيين في أخرى والباقين من أهل الجزر في قبيلة ثالثة. إن هذا التقسيم يقوم على أساس منشأ المستوطنين. ورغما عن أنه يمكن الظن أن المستوطنين المستجدين قد منحوا نفس الحقوق التي كان يتمتع بها المواطنون الأولون بصورة عامة، يبدو أن أحفاد الوافدين الأولين قد خصوا بامتيازات في أشياء كثيرة، ذلك لأن دموناكس لم يهمل في حكمته النظم القديمة. وفعلا يبدو من التقسيم الفرعي الذي نظمه أن " المجاورين " لم يعودوا تابعين إلا لسلطة الثيريين واستمر ذلك حتى فيما بعد وأن هؤلاء لم يعودوا يهتمون كثيرا بالزراعة. ثم يتضح من العناية التي كان يبذلها الرجال المنحدرون من أسر قديمة في محاولة إثبات مولدهم النبيل عن طريق شجرات النسب العامة، أن دموناكس لم يلغ الفروق التي كانت قائمة بين شتى أفواج المستوطنين. ولا أهمية كبرى في هذا المجال لأن يدعى خاليمقوس باتيا. والواقع قد لقب بذلك لأنه كان ابنا لباتوس فعلا ولكن باتوس هذا لم يكون مؤسس قوريني، وحتى إذا أرجعنا هذا اللقب إلى باتوس المؤسس فلا يعني ذلك أنه أحد أحفاده، بل يعني أنه قوريني فحسب. فلا تقنع ألواح النسب العامة وما يصحبها من شعار بشيء إذن سوى بالاهتمام بها – وكانت محفوظة حتى زمن سينزيوس – تنبيء بمدى الأهمية التي كان يعلقها القورينيون على الانحدار من أصل نبيل وشهير.

وتقلصت السلطة الملكية كثيرا بعد أن ألغيت ما كان يصاحبها من امتيازات كان الملوك انتزعوها بدون وجه حق أي إيرادات الدولة وأملاك طائلة ولم يترك لها إلا العناية بالإدارة المقدسة والأملاك المقدسة. وكل ما بقي مما كان عند الملك انتقل إلى الشعب. ولكن يجب عدم المغالاة في هذا الاتجاه إذ أن ملوك قوريني،

كملوك سبارطه، احتفظوا بمقعدهم في مجلس الشيوخ مع حق التصويت بل لا شك في أنهم كانوا يرأسون هذا المجلس. ويمكن الاستنتاج من هذا أن دموناكس قد أعاد السلطة الملكية إلى حدودها الأولى مع شيء من التقييد، كما أعاد توزيع السلطة غير الشرعية التي كان الملوك خصوا بها أنفسهم تدريجا وفقا للعرف الدوري .

بيد أنه ابتعد عن النظم الدورية بإنشاء " المعركة الفردية " لدى القورينيين (اللهم إلا إذا كانت هذه قد أحدثت بعد دموناكس) والواقع أنه كان محظورا في النظم الدورية الدخول إلى لاتونيا على الذين كانوا يتقدمون إلى الجمهور لإظهار براعتهم في استعمال السلاح. ولكن إذا خالف القورينيون الدوريون في ذلك فلا عجب إذ أنهم خليط من أجناس مختلفة ويميلون بالطبع إلى اقتباس العادات الأجنبية. أما كون قوانين دموناكس قد راقت الأكثرية فيتضح من عدم اعتراض أحد عليها عند تطبيقها. وإذا كان الملك نفسه لم يعترض من جهة أخرى، فلا تفسير لذلك سوى بحبه لوطنه أو بضعفه واحترام القورينيين لأوامر آبوللو. لا نعلم ما إذا كان دموناكس قد عاد إلى وطنه بعد إعلان الدستور أو بقي بقوريني. ولكننا نعلم أن إصلاحه للحكم دام حتى عهد باتوس الثالث. هذا وقدو وصلت إلينا مسكوكة ذهبية قورينية كتب على أحد وجهيها " دموناكس " وعلى الوجه الآخر " كيرنيون " أي القوريني. يخمن بعضهم أن هذه المسكوكة قد ضربت إحياء لذكرى دموناكس هذا وأن هذا الشخص قد مثل لابسا الحلة الملكية عندما أدار ملك قوريني نيابة عن الملك باتوس الثالث الذي كان عاجزا أو قاصرا. ويخمن آخرون بأنه من غير المحقق أن تكون المسكوكة قد ضربت في عهده، مع قبولهم أنها تمثل دموناكس المانتيني وهي رمز لما جلبه من فوائد على القورينيين الذين ارادوا أن يذكروه بشعور العرفان. نترك الحجج الأخرى جانبا ونقول بأننا لا نعلم شيئا عن وصاية محتملة على باتوس عهدت إلى دموناكس وبما أننا لا نستطيع أن نتصور أن يظهر الرجل في حلة ملكية، وهو الذي ناصب الملكية العداء، نرى اتباع رأي بحاثين حديثين فيما يظنونه من أن هذه المسكوكة لا صلة لها بدموناكس هذا بل تخص حاكما من حكام الجمهورية وأنه تبعا لذلك قد ضربت في زمن يتأخر كثيرا عن الزمن الذي نتحدث عنه .

- 39 -

الحرب الأهلية في عهد آركيسيلاو الثالث

عقب موت باتوس الثالث انتقل الملك إلى آركيسيلاو الثالث. ويمكن استنتاج الزمن الذي حكم فيه هذا بطريقة تقريبية لأنه عرف أن في عهده فرض قمبيز خراجا على أهل قوريني، ومن ذلك نستخرج أنه تسلم مقاليد الحكم في عام 525 ق.م. تقريبا لما مصر احتلها الفرس الذين فرضوا الخراج عليها كما لا يخفى. أما ولا نعلم بالتحقيق أي شيء آخر فإننا سنحاول أن نبحث بطريقة أدق عن طريق الافتراض. سبق لنا أن ذكرنا أن هذا الملك لجأ إلى جزيرة ساموس قبل أن يغزو الفرس مصر. فمن المحتمل إذن أن يكون اعتلى العرش حوالي 530 أو 529 ق.م. ولا يعرف كذلك العام الذي توفى فيه آركيسيلاو. أما كونه عاش بعد قمبيز فأمر يتضح من أن والدته فريتيما، وقد لجأت إلى مصر بعد موته بقليل، استنجدت بألستراب آرياندس لا بقمبيز. ولا بد أن هذا حدث بعد بدء حكم دارا ابن ايستاسبه لأن حملة الفرس على برقة، التي أرسلت في نفس الوقت الذي كان يحارب فيه ميغالياتسو بشجاعة بتراكيا، ترجع إلى السنوات الأولى من حكم دارا. وبما أنه يجب تصور أن آرياندیس لم يكن في حاجة إلى أكثر من ست إلى ثماني سنوات لإعداد هذه الحملة، يبدو محتملا أن يكون كل من بوهر ولارتشر مخطئا في حدسه في أن الملك قد قتل في عام 518 ق.م. اعتقد أن مصرع الملك يرجع إلى 514 تقريبا عندما فتح الفرس برقة .

ومن الطبيعي أن نظم دموناكس، وأن قبلتها الغالبية، ما كان لها إلا أن تصطدم بعض الناس من الذين كانوا يجنون المزيد من الفوائد من اتساع السلطة الملكية – الباتيون مثلا – وعليه فلا غرابة إذا حاول البعض ممن أتصف بالجرأة منهم أن يقضي على هذه النظم الإصلاحية. ولا بد أن الشعب المحب بالطبع للحرية قد قاوم مثل هذا الاتجاه فنشأت عن ذلك فتن كثيرة. والواقع أن آركيسيلاو، ما أن ارتقى على العرش، حتى حاول أن يستعيد المزيد من السلطة يحفزه على ذلك حرصه الزائد على الحكم وبتحريض والدته فرتيما له، خاصة وقد كانت امرأة خبيثة وذات طموح واسع

ولها نفوذ كبير عليه. ولكن في الوقت الذي كان يجهد نفسه لاستعادة سلطة آبائه وقوتهم أطاحت به ثورة ففرّ إلى جزيرة ساموس وقد كانت تربطه بسكانها روابط صداقة ترجع إلى أول عهد المدينة. ولو كانت قوريني في ذلك العهد خاضعة للفرس لكان من الأولى أن يلجأ الملك إلى مصر وأن يستنجد بقمبيز بسبب حقد المواطنين عليه ومحاولتهم الانتقام منه لانفسهم لما ألحقه بهم من مظالم. وعليه اعتقد أن فراره إلى ساموس كان في مستهل حكمه. كان بوليقراتيس رئيسا لدولة ساموس في ذلك الوقت وكان أقوى ملك أغريقي. ومن المحقق أن آركيسيلاو كان يأمل في أن يعيده إلى العرش بما له من أسطول قوي ومراكز بحرية منيعة. وفي نفس الوقت تقريبا لجأت فرتيما إلى سلامينا بقبرص حيث كان يحكم الملك أولثون. ومن الواضح أنها كانت تحاول تدعيم السلطة الملكية بقوريني. اما سبب ذهابها إلى هناك فلم يذكر ولكن يمكن إرجاعه إلى التجارة التي كانت رائجة بين القورينيين والقبرصيين. وكانت تأمل في نجدة حاسمة من قبرص. والواقع أن أولثون قابل طلبها لجيش لتعود وإبنها به إلى عرش قوريني بكل بشاشة في بادئ الأمر وأغدق عليها العطايا ولكن لما تمادت في الإلحاح تضجر وأمر بأن تعطى مغزل قائلا إن مثل هذه الهدية إنما تليق بالمرأة لا الجيش. وفي الوقت نفسه لم ينل آركيسيلاو بساموس من بوليقراطيس أية نجدة. فأخذ يجمع الجنود الأغريق من كل جهة بوعد اقطاعهم الأراضي. فاجتمع حوله عدد غير قليل على هذا الشرط المعروض عليهم ولعلهم أنجروا وراء ما كانوا يسمعونه عن ثراء قوريني. ولما تم له جمع عدد كبير من هؤلاء الجنود قصد دلفي لاستشارة الوحي حول العودة إلى قوريني. ويقال أن الكاهنة البيتية قد أجابته بالآتي: " أن آبوللو سيعطي ملك قوريني لأربعة باسم باتوس وأربعة باسم آركيسيلاو مدى ثمانية أجيال من الناس ولكن عليهم ألا يعودوا إلى سؤال الإله. وعلى آركيسيلاو أن يهدأ بعد العودة وألا ينضج الأواني التي كانت تملؤ الأفران بل عليه أن يخرجها إلى الهواء الطلق. وإذا سبق له أن أنضجها فعليه ألا يدخل في مكان مستدير وإلا فسيموت مع ثور جميل جدا ". هذه رواية هردوت للوحي الذي يرجع ولا شك إلى زمن لاحق، إذ يذكر ثمانية ملوك قورينيين ولا يتحدث بعد انتهائهم عن محاولة من الأسرة الباتية للحفاظ على الملك. وأخيرا يشير إلى موت آركيسلاو بكلمات غامضة .

وبعد هذه الإجابة من الكاهنة البيتية رجع آركيسيلاو مع جيش الساميين العديد ومع من انضم إليهم من الأغريق الآخرين إلى قوريني. وهناك وبعد أن استولى على الحكم بالقوة انطلق ينتقم انتقاما مروعا ممن كانوا السبب في فراره. ففزع المواطنون وهجر كثير منهم وطنه ولجأوا إلى برقة أو إلى مكان آخر. أما من ألقي عليه القبض فقد أرسله الملك إلى قبرص ليقتل. ومن هذا الأمر أيضا يمكن استنتاج صلات القورينيين بالقبرصين عن طريق التجارة. ولكن أثناء السفر نزل المنفيون بمدينة قنيد في آسيا الصغرى فأنقذهم السكان وأرسلوهم إلى ثيرا وطن قوريني الأم فقوبلوا هناك بحنان الأمومة. وأخيرا أمر الملك بأن يحرق أحياء بعض القورينيين الذين كانوا لاذوا ببرج بعد إحاطة البرج بالحطب. ولكن هذا التصرف الوحشي الذي حرضت عليه خاصة والدة الملك فرتيما السفاحة انتهى بعد ذلك بقليل نهاية فظيعة كما سيأتي الكلام.

ولا يجدر بنا أن نهمل في هذا المقام أن في عهد آركيسيلاو هذا حدث أن دوريئوس ابن آناكساندريداس ملك سبارطه هجر وطنه لكيلا يخضع لأخيه الأكبر كليومينيس على رأس جالية من سبارطه وطيبة يرافقهم بعض الآثينيين وبإرشاد الثيريين ونزلوا بكنيبس [1] إحدى مناطق ليبيا. وبما أن الثيريين، نظرا لمعرفتهم الواسعة بالبلاد، هم الذين قادوا هذه الهجرة يجوز أن يكون بعض القورينيين قد اشتركوا فيها. ومهما يكن في شيء فلا يتسم هذا الحادث بأهمية كبيرة لأن هذه المستوطنة، كما يعرف الجميع، لم تدم طويلا .

هوامش الفقرة (39)

(1) كينيبس اوكينيفوس: وادي كعام اليوم. حاولت الجالية التي يذكرها المؤلف تشييد مستوطنة أغريقية في منطقة وادي كعام كمستوطنة قوريني ولكن قرطاجنة قامت بتحريض السكان المحليين هناك فهاجموا الأغريق الوافدين وأجلوهم بعد إقامة لهم مدة قصيرة، تقدر بحوالي ثلاث سنوات. وقد بذلت قرطاجنة كل جهد لإجلاء المستوطنة الأسبارطية بدافع عزمها على عدم السماح بتسرب أغريقي إلى شمال إفريقيا، حماية للمدن التجارية التي كانت تسيطر عليها .

- 40 -

الفرس يفرضون الخراج على قوريني وبرقة

بينما كان آركيسيلاو موضع حقد مواطنيه، غزا قمبيز مصر على رأس جيش جرار وبعد أن انتصر على المصريين بقرب بلوزيوم واستوالى على ممفي، قضى على الامبراطورية الفرعونية. ومن المحتمل أن القوريـنيين، وقد خشوا من أن يؤول مصيرهم إلى ما آل إليه مصير أغريق آسيا، لم يكونوا مرتاحين للغزو الفارسي لمصر. ورغما عن ذلك لم ينجدوا كما يبدو بساميـنيتو ضد الفرس، إما لحدهم لسلطان مصر وإما لظنهم أنهم في مأمن لما يفصل بينهم وبين مصر من مسافة وإما، بالأحرى، لأنهم كانوا في شغل عنه بخلافاتهم الداخلية. لا يشير هردوت على الأقل بشيء إلى ذلك ولكن ديودوروس يروي أن القورينيين والليبيين هبوا لنجدة مصر. ومهما يكن من شيء فمن المحقق بأن القورينيين والبرقاويين والليبيين المجاورين (ومن المحتمل أن يكون هؤلاء الأخيرون بقوا مستقلين بعد هزيمة آركيسيلاو الثاني) ما إن لاح خطر الغزو الفارسي وتملكهم الخوف حتى استسلموا دون إراقة دماء لقمبيز بينما كان هذا يحاصر ممفي بعد معركة بلوزيوم وبعثوا إليه برسل يحملون الهدايا المعتادة عربونا لما عزموا عليه. ومن الواضح أن آركيسيلاو كان يأمل في أن يستطيع بمساعدة الفرس أن يوطد أركان ملكه الذي كان مواطنوه يعادونه لرغبتهم في مزيد من الحرية، ذلك لأنه يبدو أن الفرس اعتادوا في المدن الأغريقية التي وقعت تحت حكمهم أن يؤيدوا في الكثير من المكر الحزب الموالي لهم دون إحداث أي تغيير في النظام السياسي بحيث أنهم يستخدمون لغاياتهم الخاصة الطاغية أو الملك (كما هو الأمر في قوريني) الذي يكرهه الشعب ويواليهم. وعليه فقد دفع آركيسيلاو الخراج للفرس ولكنه أنقذ عرشه، ولو أن قمبيز لم يقبل الهدايا المرسلة إليه بنفس راضية فتركها إلى الجنود امتهانا لها لأنها كانت أقل مما كان يجب، على ما يظن هردوت. والظاهر أن الخمسمائة مينه [1] من الفضة التي أرسلها القورينيون لم تحظ بالتقدير لأنها كانت زهيدة بالنسبة لصدورها من مدينة ثرية. قد يظن البعض، نظرا لغضب قمبيز هذا، أن هذه الهدايا أرسلها الشعب لما كان آركيسيلاو ما زال في المنفى، وأنه هو لم يجمع سوى الخراج بعد عودته

ولكن، بناء على عبارة هردوت: " أن هذا كان آركيسيلاو الذي سلم قوريني لقمبيز " التي أشار بها إلى نفس الشيء الذي قاله من قبل، أرى أن هذا الافتراض غير محتمل. ولم يكن قمبيز من جهة أخرى قد تأثر تأثرا عميقا من بخل القورينيين، إذ أنه أعاد لاوديكه أرملة آماسي سالمة إلى قوريني .

على أنه يبدو أن الحكم الفارسي لم يكن مزعجاً للقورينيين فقد اقتصر التزامهم على دفع الخراج دون تغيير في نظام الحكم، وعلى عندما كانت الامبراطورية الفارسية تأمر بالتجنيد، شأنهم في ذلك شأن معظم الشعوب التي خضعت للفرس. ولقد ألحق الفرس القورينيين والبرقاويين والليبيين المجاورين إلى ولاية مصر فدفعوا الخراج معها. ويبدو أن الخراج كان زهيداً بالنسبة لمواردهم. ومن المحتمل أيضا أنه لم يكن لهم مناصّ من إرسال الجنود إلى كسره الذي كان يعد حملته على الأغريق. ولكن القورينيين لم يبقوا طويلا خاضعين للفرس، فنظرا لبعدهم عن المناطق المؤلقة للامبراطورية الفارسية وبسبب ما اعترى الروابط من ارتخاء بالغ، استطاعت الملكية كبحهم على الدوام، ثم لم يكن يبدو أنهم كانوا يحنون رقابهم للنير الفارسي برغبة أكثر مما كانوا يحنون بها رقابهم الأغريق الآخرون. وفضلاً عن هذا، عندما استعاد المصريون حريتهم لم يستطع الفرس الاحتفاظ بسلطتهم على القورينيين بيسر. وعليه فإنني أميل على الاعتقاد في أن الحكم الفارسي لم يدم أكثر من سنوات حكم دارا الأخيرة ولربما لم يدم حتى إلى ذلك الوقت .

هوامش الفقرة (40)

(1) المينه – تساوي 100 غرام .

- 41 -

يفتح الفرس برقة ولكنهم يهاجمون قوريني دون جدوى

لم ينل آركيسيلاو ما كان يبدو راغباً فيه عندما سلّم قوريني للحكم الفارسي. وبما أن بغض المواطنين زاد بسبب ذلك أخذ يفكر في أنه لم يكن في مأمن بقوريني بالقدر الكافي. فعليه غادر المدينة كما يقول هردوت، لأنه ظن أن حرقه لبعض القوريني في البرج كان تحقيقا لما قاله له الوحي فخشي من تحقق باقي النبوءة معتقدا أنما قوريني كانت "المكان المستدير" الذي أمره الوحي بأن يحيد عنه – ولكن بما أن نبوءة الوحي هذه كانت وضعت بالتحقيق بعد موت آركيسيلاو على أساس الوقائع، فإننا نعتبر مزيفا السبب الذي ذكر لمغادرته قوريني رغما عما أورده هردوت الذي كثيرا ما ينقل الأشياء عن سماع – سلم الملك حكم المدينة إلى والدته فرتيما التي كانت تحضر اجتماعات مجلس الشيوخ كذلك وانسحب إلى برقة، وكان سبق له أن تزوج من ابنة القزير ملك البرقاويين رغبة منه كما يبدو في توطيد حكمه الجائر بتحالف مع هؤلاء القوم أعداء قوريني. ولكنه لم يتجنب رغم كل ذلك خطر الموت. والواقع أن البرقاويين وقد حدتهم الرغبة في الحرية أسوة بالقورينيين قتلوا باشتراك بعض المهاجرين من قوريني آركيسيلاو الذي أظهر منتهى القسوة حتى خارج موطنه وقتلوا معه حماه القزير في مركز المدينة أملا منهم في استعادة حريتهم.

بيد أن قتل هذا الملك الغاشم جرّ على البرقاويين مصائب أدهى وأمر. وفعلا ما سمعت فرتيما بقتل إبنها حتى فقدت كل أمل وغادرت قوريني طلبا للنجاة بالهروب إلى مصر، وقلبها يحترق من شدة الرغبة في الانتقام. وتقدمت هنالك من آرياندس الذي كان عين والياً على مصر في سنوات حكم دارا الأولى بعد موت قمبيز. ولا نعجب من أنها لاذت بالفرس الذي كان يهمهم حفظ عرش الباتيين أصدقائهم. استنجدت فرتيما إذن بآرياندس معددة أفضال ابنها على قمبيز ومبينة أنه لم يقتل إلا بسبب صداقته له. ولم يتردد آرياندس تدفعه رغبة توطيد الحكم الفارسي

على القورينيين والبرقاويين وجمع الأسلاب أكثر مما كانت تدفعه الشفقة على فرتيما. ولكن قبل أن يحرك جيشه بعث برسول إلى برقة للتحقيق في مقتل آركيسيلاو وطلب تسليم المجرمين. ولكن اعترف البرقاويون جماعة ندنبهم قائلين أنهم عانوا الكثير من آركيسيلاو، فجمع آرياندیس قواته البرية والبحرية تحت قيادة آماسي وبدرا وبعث بالجيش الذي كانت ترافقه فرتيما على مدينة برقة. وكان اشتراك الأسطول ضروريا حتى لا يقطع طريق الرجعة إلى مصر عبر الصحراء.

ففي الوقت الذي كان فيه دارا يقاتل الشيث على نهر أيتر، اقتربت هذه الجماعة من الفرس من برقة دون قتال تقريبا وكان يأملون في احتلال المدينة دون عناء كبير. وعليه فقد أحاطوا بالمدينة وطلبوا تسليم المسئولين عن المذبحة ولما لم يستجب السكان للشروط ضيقوا الحصار. ولكن بما أن وسائل فتح المدن لم تكن متقدمة في ذلك الوقت استطاع البرقاويون إعداد وسائل دفاع لا يمكن اقتحامها بسهولة. ويمكن استنتاج قوة المواطنين وعددهم من الشجاعة التي قاوموا بها. فقد ذهبت جميع جهود المهاجمين سدى إذ رد المدافعون جميع الهجمات بل اكتشفوا كذلك الأنفاق التي كان يحاول الفرس من خلالها الدخول إلى المدينة بفعل حداد كان يضع ترسا على سطح أرض المدينة فيعلم من الصوت أين توجد الأنفاق. وقد قام البرقاويون بحفر أنفاق مقابلة فأنزلوا خسائر فادحة بالفرس. كان هناك عدد غير قليل من جنود الفرس مستخدمين في النهب والسلب ولكن رغم هذا لم يكن الحصار شديدا. استمرت العمليات الحربية تسعة أشهر على هذا المنوال مما لم يكن متوقعا، وتكبد الطرفان خسائر فادحة حتى كاد الفرس المعتادون على عدم التواني أمام مدينة واحدة، أن يعودوا دون نتيجة. فلما أدرك آماسي قائد جيش البر أن برقة لا يمكن فتحها بالقوة لجأ إلى المكايد. فأمر بحفر حفرة وبتغطيتها بألواح رقيقة من الخشب وقليل من التراب حتى لا تظهر. ودعا البرقاويين في ساعة مبكرة من الصباح للتحادث معه. فبادروا إليه وقد كلوا من طول الحصار. وعقد الطرفان ميثاقا وهم على الحفرة المغطاة، شروطه أن يدفع البرقاويون غرامة للملك وأن يتوقف الفرس بعد ذلك عن عدائهم وأن تكون يمين الميثاق محترمة ما دامت الأرض التي تحت أرجلهم باقية على ما كانت عليه. فقبل المواطنون البرقاويون عن سلامة

ـنية وخرجوا من المدينة وفتحواب الأبواب فدخل الأعداء منها. وعندها كشف هؤلاء غطاء الحفرة وقالوا إن الميثاق الذي حلفوا عليه لم يعد قائما واستولوا على المدينة بهذه الخديعة الماكرة. وانتقمت فرتيما بمنتهى القسوة لموت ابنها. وفعلا قد صلبت القتلة الذين سلمهم الفرس إليها على سور المدينة وعلقت إلى جانبهم ثدي زوجاتهم المقطوعة. أما الفرس وكان من الصعب عليهم الاحتفاظ ببرقة فقد تصرفوا تصرفا ماكرا كعادتهم. فبعثوا بأغلب البرقاويين الأحياء أسرى إلى دارا فأسكنهم في قرية بمقاطعة باطريا كانت ما زالت تحمل اسم برقة في عهد هردوت. لا شك أن سلطان برقة قد تحطم بذلك. بيد أنه يتضح أن المدينة لم تدمر كليا من إقدام فرتيما على تسليمها إلى الباتيين وإلى من لم يشترك في قتل إبنها. بل بالعكس يجب التخمين بأن البرقاويين قد عادوا فيما يتمتعون باستقلالهم، ولكن يتعذر تقرير ما إذا كانت المدينة مملكة أو جمهورية رغما عن أن بوليـنو يقول أن بعد استيلاء الفرس على المدينة حكم البرقاويين حكام بلقب آركونت من أسرة الباتيين كما يبدو، وبذلك كان يشير احتمالا إلى أن السلطة الملكية لم تعد إلى الحكم. ومن المحتمل أن يكون البرقاويون، بعد أن ذهب سلطانهم، قد صادقوا القورينيين .

وتوغل الفرس إلى ما بعد برقة في المناطق الداخلية ولكن لا نعرف ما إذا كان ذلك قد تم قبل فتح المدينة أو بعدها. وفعلا يروي هردوت أن جيشهم قد تقدم حتى بلغ اسبيريدس البعيدة. وخطر لهم في عودتهم أن يحتلوا قوريني ولكنهم لم يحصلوا على أية نتيجة بعد أن أنهكهم التعب بطول الحصار. والواقع أنه قد حدث أن اقترح بادرا قائد البحرية، والفرس في مدينة قوريني بموافقة أهلها، وهم في رحلة العودة إلى مصر، أن يحتلوا المدينة ولكن آماسي عارضه قائلا أن الجيش لم يرسل إلا إلى برقة. ولكنه ندم بعد ذلك لعدم احتلاله هذه المدينة الغنية وحاول الاستيلاء عليها ولكن دون جدوى. أقفل القورينيون أبواب مدينتهم بعد خروج الفرس ولكن هؤلاء تجمعوا على بعد ستين ستادا رغما عن أنه لم يكن في أثرهم أحد، مما يبدو معه أن جيشهم كان منقسما على نفسه. وقد عسكروا هنالك فوضحت نيتهم في إعادة الاستيلاء على المدينة بعد أن تعززوا بقوات جديدة ولكن جائتهم رسالة من آرياندیس يأمرهم فيها بالعودة. وعليه انسحبوا، بأرزاق قدمها إليهم القورينيون

أنفسهم أو بعبارة أفضل لجأوا إلى مصر، ذلك لأن الليبيين أخذوا يهاجمون القوات الخلفية يقتلون المتأخرين وينهبون الأرزواق والمعدات .

يبدو لنا أننا نستطيع والحالة هذه أن نقول عن أساس بأن هذه الحملة التي كانت غزوا أكثر منها احتلالا لم تدعم ممتلكات الفرس في المنطقة بل أن الأغريق في أفريقيا قد طرحوا كل خوف من الفرس وإذا كانوا استمروا في دفع الخراج فقد فعلوا ذلك بمحض إرادتهم واختيارهم. ويبدو كذلك أنه يمكن من الوقائع التي تلت استخلاص أنهم لم يقدروا أن من واجبهم الانضمام إلى الحملات الفارسية. أما فيما يخص التأريخ نعلم من هردوت أن هذه الوقائع كانت معاصرة لحرب الفرس مع الشيث أي ترجع على عام 512 ق.م.

- 42 -

هل كان نـظام الحكم بقوريني في هذا العهد جمهوريـاً أم ملكياً ؟

في نهاية حملة الفرس يحتجب عنا أحسن مرشد لنا في رواية تاريخ قورينايا ألا وهو هردوت الذي يتوقف عند المصير الذي حاق بفرتيما بعد فتح برقة وعند وفاتها، أي أنها بعد أن تم لها الانتقام لجأت من ليبيا إلى مصر وهناك ماتت في بؤس وقد غطت جسمها الديدان. ولكن هردوت أهمل الأسباب التي حملتها على الانسحاب إلى مصر كما أهمل تبيان ما إذا كانت أسرة باتوس انتهت باركيسيلاو وفرتيما أو أن ملوكا آخرين استمروا في حكم المدينة. وسكت عن كل الوقائع التي كان يمكنه أن يكشف بها الغطاء عن تاريخ هذه المدينة المجهول بل الغامض. ولا يتحدث أحد من الكتاب الأقدمين عن الكيفية التي تم الاحتفاظ بها بملك الباتيين. لولا أن بوليئتو قال إن فريتيما :" قد أعادت السلطة إلى الأسرة ". ولكن لا يمكن استخلاص شيء حتى من هذا القول ذلك لأن بوليئتو لم يستق من مصدر آخر بل نقل عن هردوت وخلط بين القورينيين والبرقاويين خلطا مشوشا وأساء فهم عبارات هردوت نفسه، التي كان يروي بها كيف سلمت فريتيما برقة للباتيين .

مع بقاء هذه الأشياء في الشك يبدو أن القورينيين خضعوا ولو على مضض ومع حنينهم إلى الحرية إلى ملكين آخرين من أسرة باتوس بعد آركيسيلاو الثالث. ولكننا لا نعلم شيئا عن أعمالهما بالقدر الكافي. وبما أنه ليس هناك اتفاق على هذه النقطة بين العلماء نرى لزاماً علينا أن ندلل بأن بعد ذلك الملك المعاصر لقمبيز حكم ملكان هما: باتوس الرابع وآركيسيلاو الرابع.

والبينة الهامة في هذا المجال تكمن في رأينا في الوحي الذي ذكره هردوت في الكتاب الرابع والفقرة 163. وقد سبق لنا أن أشرنا إليه مرارا. وبما أن مضمون هذا الوحي قد وضع بالتحقيق في وقت تال على أثر حوادث وقعت، فإني لا أشك مطلقا في أن الأربعة باسم باتوس والأربعة باسم آركيسيلاو الذين وعدهم آبوللو بملك

قوريني قد حكموا فعلا. ونسلم أيضاً – وهذا في الواقع غير محتمل – بأن هذا الوحي قد خص به آركيسيلاو، ورغماً عن ذلك يمكن الشك في عدد الملوك نظراً لأن هردوت الذي كان يعلم شئون القوريـنيين حق العلم لم يشر ولو بكلمة واحدة على عدم تحقيق النبوءة. فمن الواضح والحالة هذه، إذا لم أخطيء، أن باتوس آخر وآركيسيلاو آخر قد عاشا في زمن لاحق، ذلك أن هردوت يذكر ثلاثة ملوك يدعون باتوس وثلاثة آخرين يدعون آركيسيلاو قبل سقوط برقة.

ثم بعد ذلك يشير هراقليديس بونتيقوس [1] إلى ملك يدعى باتوس ملقب بالجميل، ولو أنه لا يعين زمن ولا كيفية حكمه للدولة، وإلى ملك آخر لقوريني يدعى آركيسيلاو. وبما أن هذين الملكين قد ذكرا بعد وفاة فريتيما فيبدو أنهما الملكان الأخيران .

وفضلاً عن هذا، يتغنى بيندار في قصيدته البيتية الرابعة والخامسة بانتصار ملك قوريني آركيسيلاو ويذكره الشاعر بأنه " الوحدة الثامنة " من باتوس. ويبدو إذن أن هذا هو آركيسيلاو الرابع إذ أنه ينسجم تماما مع تأريخ بيندار الذي يستبعد أن يكون قد عاش في زمن أي كان من الملوك الآخرين المدعوين بآركيسيلاو، هذا ولو أنه لا تتوفر لدينا عن ذلك تواريخ مضبوطة .

وأخيرا بما أن آركيسيلاو حاز الانتصار الذي تغنى به بيندار في دورة الألعاب البيتية الأحدى والثلاثين أي في العام الأوليمبي 78,3 الموافق عام 466 ق.م. بشهادة المعلق على بيندار يتضح لنا أنه لا يمكن التحدث هنا إلا عن آركيسيلاو الرابع إذ أن الآخرين كانوا في عداد الموتى في ذلك الوقت. وذكر المعلقون كذلك وقائع حكم آركيسيلاو هذا ولا يبدو أنهم تمنوا بذلك الملوك السابقين الذين كانوا يدعون بنفس الاسم .

وأني سأستند إلى هذه الشهادات المحققة بما فيه الكفاية لأبدد الاعتراضات التي ستثار على الحل الذي وفقت إليه .

" أولا لم يذكر هردوت أيّاً من الملكين مع أنه قد عالج بعناية كبيرة وبإسهاب تاريخ أسرة الباتيين ". ولكنه لم يكن يجهل هاتين الشخصيتين كما

يبدو من كلام الكاهنة البيتية الذي نقله هو نفسه. وعليه فلا يمكن استنتاج أي شيء من سكوته إذ أنه في تحدثه عن القورينيين حتى نقطة اتصالهم بآماسي قائد الفرس أهمل كافة الوقائع اللاحقة الخاصة بهم والتي كان من الصعب أن يجد لها محلا في الرواية .

ويضاف إلى هذا أنه :" لو لم يكن قوم الباتيين قد طردوا من ملكهم في ذلك الزمن لما عادت فريتيما إلى مصر بعد فتح برقة ". ليس هناك أي سبب للاستغراب من أن الملكة غادرت قورينايا لتلجأ إلى مملكة الفرس في وقت كان الحقد عليها يغلي في صدور المواطنين. وهناك أمران إضافيان يقفان ضد هذا الاعتراض. أولهما أن فريتيما أعادت برقة للباتيين. فنتساءل لماذا لم تبق إذن بين البرقاويين. وثانيهما أنه لم يحظر على جيش الفرس المرور بقوريني. فيبدو لذلك محتملا أن أحد الباتيين صديق الفرس كان ما زال يشغل منصباً بقوريني في زمن الحملة على برقة. وبهذا أعتقد أن هذه الحجة أيضاً ـ الخطيرة جداً في رأيي وإن لم يثرها أحد ـ قد دحضت بما فيه الكفاية.

وفضلا عن هذا فإن حجتنا التي استخلصناها من هراقليدس قد طعن فيها راؤل – روشيت بصفة خاصة. وقد أراد كما قلنا آنفا أن يزيل التنافي الذي يظن هو بأنه قائم بين قول هردوت وقول هراقليدس فاقترح أن يقرأ عوضا عن باتوس " الجميل " باتوس " الأعرج " ولكنه لا ينال شيئا إذا ثبت أن باتوس الأعرج كان الملك الخامس، إذ يقول هراقليدس بصراحة أن باتوس الجميل كان الملك السابع ابتداء من الأول. ويضاف إلى هذا أنه لا يمكن قبول أن هراقليدس قد استقى من هردوت وفهم خطأ كلمات هردوت الواردة في الكتاب الرابع الفقرة 159، لأن هراقليدس يذكر أشياء لم يذكرها هردوت أي الأفور [2] القورينيين والغراب الذي ظهر أثناء حكم آركيسيلاو وأصل النظام الديمقراطي .

وأخيراً عمل جديكه على التطعن في صحة قول المعلقين على بيندار الذين سجلوا السنة التي انتصر فيها آركيسيلاو. وأنه لم يترفع عن أن يؤكد ولو بحجج واهية أن آركيسيلاو الذي تغنى بيندار على شرفه كان نفس الشخص الذي نسبت أعماله لآركيسيلاو الثالث. ولكن رغما عن أنه ليس مباحاً وضع افتراض على أساس

شهادة المعلقين وحدها، يبدو أن التأريخ الذين أثبتناه يجد تأييداً من خلال موافقة المعلقين على ما جاء في القصائد البيتية الرابعة والخامسة والسادسة.

هوامش الفقرة (42)

(1) هراقليدس بونتيقوس: فيلسوف يوناني عاش في القرن الرابع ق.م. تتلمذ على أفلاطون وحل محله في إدارة مدرسته لما سافر في رحلة إلى صقلية. كتب في مواضيع شتى: في الأخلاق والنحو والموسيقى والبلاغة والتاريخ والهندسة وفي الفلك. وهو القائل بأن الأرض تدور على محورها .

(2) أفور: منصب عال في الدولة السبارطية. ينتخبه الشعب ومن اختصاصاته الكثيرة تولي رئاسة مجلسً الشيوخ والتحدث عند الملك باسم الشعب ومراقبة أعماله بحيث تكون مطابقة للقانون وله سلطة إحالة الملك إلى المحاكم في حالة خروجه عن ميزاته الدستورية. يبدو أن القورينيين اقتبسوا هذا المنصب من الدوريين شعب سبارطة .

- 43 -

ملاحظات أخرى لكتّاب حديثين في الموضوع نفسه

(محذوف)

- 44 -

تاريخ قوريني في عهد باتوس الرابع

بما أن تاريخ قوريني من فتح برقة على يد الفرس (512 ق.م.) حتى عام 401 يكتنفه الظلام الدامس وأهمله المؤرخون في معظمه، من الضروري ترتيب المعلومات التي تبدو أنها تتعلق بهذه الفترة وعرض المعلومات التي رويت حول الأزمنة الأخيرة للمملكة وذلك في شيء من الإسهاب.

وعليه فكما أننا نجهل كيف جاء الملك إلى باتوس الرابع الملقب بالجميل والذي لا يعرف إلا عن طريق هرقليدس، كذلك لا يعرف بوضوح حتى ما إذا كان ابن اركيسيلاو الثالث أم لا. أعتقد أنه تولى الحكم عندما لجأت فريتيما بعد موت أركيسيلاو الثالث أم لا. أعتقد أنه تولى الحكم عندما لجأت فريتيما بعد موت آركيسيلاو الثالث إلى مصر، لا في وقت لاحق عندما لجأت إلى مصر للمرة الثانية. وفعلا إذا نحن اعتبرنا أنها لم تقم بقوريني مرة أخرى بعد أن انسحبت إلى مصر وأن الفرس قد رحب بهم القورينيون عندما عادوا من برقة، إذا اعتبرنا كل ذلك بدا لنا محتملا أن يكون أحد افراد أسرة باتوس متوليا الملك. ولذلك نحن نفكر في أن الحكم انتقل إلى باتوس هذا في عام 514 ق.م. تقريبا. لقد واجهنا الاعتراضات المحتملة لهذا الحل فيما سبق. فلا محل من جهة أخرى للحدس وفي عجلة في موضوع غير محقق مثل هذا. أما مدة حكم هذا الملك فلا نستطيع تحديده. يقول بعضهم أنه مات في مدة أقصاها عام 464 ق.م. ولكننا إذا سلمنا بهذه الفترة فإننا نعطيه مدة من الحكم طويلة جدا. ولكن ليس هناك ما هو محقق على الاطلاق، كما يبدو، ما عدا أن باتوس الرابع لا يمكن أن يكون قد حكم بعد هذه الفترة بل يجب أن

يكون مات قبلها، ذلك لأن خليفته قد فاز بانتصاره في عام 466. ومع هذا وبما أن آركيسيلاو لم يكن تجاوز سن البلوغ في زمن انتصاره في دورة الألعاب البيتية فإننا نستنتج بأنه نال الملك قبيل عام 466. ورغماً عن كل هذا يبقى في الشك ليس هناك ما يمنعنا من التخمين في أن باتوس عاش بعد دارا ملك الفرس .

وفي عهد حكم باتوس الرابع الذي لا نعلم عنه أي شيء آخر، أعتقد أنه وقع ما رواه بولينئتو حول حملة ثانية للفرس على برقة، رغما عن أنه كعادته لم يذكر لا التاريخ ولا المصدر. والواقع أنه لما بدأ المصريون ثورة في نهاية حكم دارا بن ايستاسبة من المحتمل أن يكون القورينيون والبرقاويون – رغما عن أن القدماء لم يذكروا شيئا في هذا الخصوص – قد انتهزوا الفرصة بابتهاج للتحرر من حكم الفرس تحررا كاملا. ولكن بما أن الثورة قد أخمدت في مستهل ملك كسره، يجب التخمين بأن الفرس المنتصرين قد عملوا على توسيع سلطانهم على المناطق المجاورة. فهذه الوقائع بالذات يمكن تفسير النبأ الذي أورده بولينئتو، إذا لم أخطيء. فهو يقول أن البرقاويين، وقد نال منهم الحصار الذي ضربه آرسام القائد الفارسي على مدينتهم، ولما أعيتهم المقاومة، بعثوا على هذا القائد برسل يطلبون السلام. وعندئذ فك الفرس الحصار واشترطوا على البرقاويين اشتراكهم مع الملك في حملته على الأغريق وإرسالهم قوات مساعدة على مركبات القتال. يعلم الجميع أن سكان قوريتايا كانوا ماهرين في هذا النوع من القتال. وبما أن الرسل الذين انتدبوا للتفاوض مع القائد الفارسي في التسليم والتحالف كانوا من أبرز رجال برقة، أدب لهم القائد مأدبة فاخرة وأهدى للشعب البرقاوي سوقاً فيها كل أنواع الطعام. وبينما هم كذلك قام الفرس على أثر إشارة متفق عليها واحتلوا أبواب المدينة ودخلوها في كتلة واحدة وقتلوا المدافعين .

هذا ما أورده بولينئتو ولعله تصور، كما يرى بعضهم، تكرار حادث سابق ذلك لأن أحداً غيره لم يورده لا سيما أن ما رواه هردوت عن القائد آماسي لا يختلف كثيرا عن هذا الحادث. ولكن بولينئتو يذكر كلتا الحملتين وتختلف تفاصيل الواحدة عن تفاصيل الأخرى في نقط كثيرة. وعليه فإننا نسلم بحالتين مختلفتين. والواقع أن

الحملة ضد الأغريق التي كان على البرقاويين أن يرسلوا معها قوات مساعدة وفقاً لطلب آرسام كانت حرب كسرة مع بلاد الأغريق بالذات، وهي حرب نشبت بعد ثورة مصر وكانت الحرب الوحيدة التي دعي إلى الاشتراك فيها أبعد الأمم الخاضعة للفرس. وفعلا قد ذكر في هذه الحرب قائد باسم آرسام بن دار من آريتستون بنت قوروش. وآرسام هذا الذي كان واليا على الأثيوبيين وعلى العرب بأقصى مصر ولسكناه في مصر كان يعرف طريقة قتالهم، قد يكون نفس القائد الذي ذكره بولينئتو. والحادث الوحيد الذي يتعارض مع التعرف على شخصيته هو ما ذكره بولينئتو نفسه من أنه تمرد على الملك واستولى على فريزيا الكبرى. ولكن بولينئتو انفرد في إيراد كل هذا ونظرا لنقص معلوماتنا عن شئون آسيا لا نستطيع أن نستنتج شيئا. ويظهر إذن مدى أهمية نبذة بولينئتو هذه، التي أهملت تماما حتى الآن، لمعرفة شئون قوريني في هذا العهد. ورغما عن أن البرقاويين وحدهم قد ذكروا فإنه لا شك في أن حرب آرسام قد نالت من القورينيين كذلك، وإذا لم يتحدث عنهم بولينئتو فلأنه لم يشغل نفسه إلا بقصص المكايد – وعليه أعتقد أن هذه الحملة قد أرسلت لإكراه القورينيين والبرقاويين – بعد أن انفصلوا مع المصريين عن الفرس – لإرسال مساعدات للحرب التي كان يعدها الفرس ضد الأغريق.

وكما أن قوة البرقاويين وقد ضعفت من جديد وتبدو من هذا الزمن فصاعدا في انحطاط مستمر، كذلك قد عاد البرقاويون بكل احتمال تحت سلطة الفرس – ولو أنني لا أستطيع قول شيئ محقق – ولم يتحرروا منهم إلا بعد أن انفصل المصريون عن الفرس من جديد كما سيتضح فيما يلي – وبما أن مستهل الحرب التي شنها كسره على الأغريق تقع في عام 480 ق.م. وأن السنوات التي قبلها استعملت لإعدادها، نرى أن كل هذا قد حدث قبل عام 484 لما أخضع المصريون – ليس من المؤكد أن يكون أغريق أفريقيا. قد اشتركوا في الحرب مع جيش كسره – بيد أنه من المحتمل أن يكون بين الليبيين الذين تبعوا كسره بمركباتهم قورينيون وبرقاويون كذلك، وكانوا مشهورين بمهارتهم في قيادتها. ويأتي من هذا نوع من التأكيد لافتراضنا بأن حملة آرسام وقعت في هذا الزمن ولو أنه غير واضح ما إذا كان ذلك في عهد باتوس الرابع أو في عهد آركيسيلاو الرابع.

- 45 -

ملك آركيسيلاو الرابع - تأسيس أوسبريدس

خلف آركيسيلاو الرابع آخر ملوك بني باتوس في الملك باتوس الرابع، ولكن يتعذر تحديد زمن حكمه على وجه الدقة. وفي حين لا نعلم إلا القليل جدا عنه، نجد بيندار يخلد ذكراه، في القصيدتين البيتيتين الرابعة والخامسة اللتين هما من أروع تراث العبقرية الأغريقية، تكريماً له بمناسبة انتصاره في سباق المركبات في الدورة البيتية الأحدى والثلاثين. وكما أننا استقينا من ذلك التنويه معلومات غير قليلة لإلقاء الأضواء على تاريخ قوريني، كذلك من الممكن تكوين فكرة عن زمن المنتصر وشئونه من نص القصيدتين ومما كتبه المعلقون الأقدمون. غير أننا لا نخرج بشيء يذكر مما كتبه هرقليدس وهو الوحيد (بعد بيندار والمعلقون) الذي يتحدث عن هذا الملك. وعليه سنحاول أن نستخلص من بيندار والمعلقين عليه صورة عن عهده.

أن باتوس الرابع اشتهر برجاحة العقل والفصاحة والروح المتفتحة ورباطة الجأش، ولكنه مارس الحكم في غير اعتدال وخرج عن الحد الذي كان رسم لسلطة الملك وشط في صرامته فأثار هو نفسه الخلافات التي قامت في عهده. ثم ما إن أخمد الفتن حتى أطلق لنفسه العنان في الانتقام من مثيريها فقتل من قتل منهم وشرد من شرد. وكان داموفيلوس، أحد النبلاء وصهر الأسرة المالكة (وكان الملك يتعقبه بصفة خاصة) بين الذين هاجروا إلى طيبة. وشفع بيندار له عند الملك بكل حرارة منوها بفضائله، بل يبدو أنه وضع ختام القصيدة الرابعة برمته من أجله. ومن المحتمل فضلا عن ذلك – وقد وصلت القصيدة التي تشيد بانتصار دلفي إلى الملك أثناء الصراع الداخلي – أن بيندار قد أدرج فيها عمدا ذلك الاستطراد البارع عن الخلاف بين بلياس وجازون، رامزا على الملك آركيسيلاو في طبع جازون المسالم بمثل في منتهى النبل لخلاف داخلي فصل فيه دون عنف، ومبرزا في مصير بلياس النهاية الحزينة لحكم مستبد. ثم أنه يحذر من الخطر الذي يمكن أن يقع فيه الملك إذا ما أقدم على تشريد أنبل الرجال، وقد يعودون ويقضون عليه كما فعل ميديا

وجـازون ببلـياس. فقـد كانـت نصيحـة بيـندار حكـيمة جـدا إذ قـال: " فـلا تقطعـن أغصـان الدوحـة (أي كبار المواطنين) بالفـأس الحـادة ولا تشوه منظرها الجميل إذ أنهـا، وإن عقمـت، ستدلل على قوتهـا إذا مـا اجتاحتها نار الشتاء (أي زمن الفتنة) وإذا استعملت على أسوار أجنبية (أي لما يخضع الشعب للأجانب) فإن أعمدتها النبيلة لن تتحمل إلا القليل من العبء. فالأفضل إذن اللجوء إلى علاج أخف ".

وقد شرحت كل هذه النصائح الحكيمة لآركيسيلاو كما يبدو ولكن حكمه لم يصبح لذلك أكثر هدوءا. غير أنه كان قلقا على سلامته ففكر أن يتخذ له مكانا يحتمي به إذا ما داهمه الخطر، فاستقر رأيه على توطين جالية بأوسبريد. وأنـي لأميل إلى الاعتقاد بأن هذه المدينة قد بنيت في هذا الزمن في الناحية الغربية من قوريـنايا. عهد الملك أذن إلى شخص يدعى أوفيموس (أحد أقارب الأسرة المالكة كما يستنتج من الاسم) كان سبق له أن نقل خيل آركيسيلاو المغدة للسباق إلى دلفي، عهد إليه بأن يجمع الجنوب من المرتزقة وأن يختار أفراد الجالية المزمع إيفادها إلى اوسبريد. وكان آركيسيلاو الرابع يستخدم المرتزقة من الجند ليطمئن على أمن القيادة، كما كان يفعل سلفه وسميه آركيسيلاو الثالث. والواقع أنه لما لم يكن يثق بالجند الوطني الشغوف بالحرية، لم ير السلامة إلا في استخدام الأجانب. ولكـن أوفـيموس مـات بعـد الانتصـار فعهـد بقـيادة الحملـة إلى كـارهوتوس بـن آلكسـيبوس، أخ زوجـة الملـك وكـان مـن الـرجال الـبارزين أيضـا مدحـه بيـندار في قصيدته البيتـية الخامسة. وبما أنه كان شديد الاخلاص للملك أمر آركيسيلاو بأن تؤسس المستوطنة بأوسبريد تحت قيادته ورعايته، وذلك لإعداد ملجأ لنفسه يلوذ به.

تسمى هذه المدينة التي تقع على البحر غربي توكيره بأسماء عديدة: أوسبريده وأسـبريده وأسـبيريس وأسـبريا. وكانـت تسـمى قديمـا، كمـا يسـميها هـردوت وثئوفراستوس أوسبريده دون شك وقد أخذ هذا الاسم من موقعها في المنطقة ومن الخصب العظيم الذي كانت تتصف به الأرض. ولكن يذكرها فيما بعد الكتاب باسم أسبريد وهو مشتق من الاسم الأول وجاء بعده. ولكن في وقت لاحق أي عندما استولى المصريون على قوريـنايا أطلق عليها اسم برنـيكه على اسم الملكة زوجة بطليموس

الثالث إبنة ملك قوريني وقد وسعت المدينة بعنايتها. وكانت المدينة شبه مستقلة عن قوريني ويبدو أن سكانها زادوا في وقت قصير، فاشتهرت بأسواقها وكان لها ميناء وتقع في منطقة بهيجة وخصبة جدا. وقد أحاطها الامبراطور جوستنيانوس بسور لتحصينها ضد البربر الذين كانوا يضربون في الأرض بالبلاد. وعليه لا أجرؤ على تقدير ما إذا كانت الآثار المتواضعة والتي تكتظ بها الأماكن المحيطة (ما عدا القبور المنحوتة في الصخر) ترجع في الواقع إلى الأزمنة القديمة أو إلى زمن البطالمة أو الرومان. وفي المكان الذي كانت تقوم فيه أوسبريده توجد الآن مدينة بنغازي (خط العرض 32" 6" 50" وخط طول غرينتش 20" 2" 56") بقرب فرضة حيث لا تستطيع الدخول في أمان إلا السفن الصغيرة. أما السفن الكبيرة فقد تواجه في دخولها خطر الاصطدام بالصخور البحرية. ولكن لا شك في أن المدينة تستطيع أن تعود دون كبير عناء إلى ما كانت عليه من الازدهار أيام كان الجنويون يقصدونها ويمارسون فيها تجارة رائجة واسعة النطاق.

وفي هذا الزمن تقريبا أي في عام 462 ق.م شق المصريون بقيادة أينارو مارئوطا و آميرتئو عصا الطاعة مرة أخرى على الفرس. ومن المحتمل أن يكون القورينيون قد استقلوا استقلالا تاما عنهم. على الأقل من المؤكد أنه لا تتوفر لدينا أية أخبار لتدخل فارسي جديد في شئونهم. والواقع أن وجهة نظرنا تتركز في أن ثورة المصريين قد نشأت في المنطقة القريبة من قوريني رغما عن اعتقادنا في أن الليبيين الذي هبوا لنجدة المصريين كانوا تحت أمرة آينارو. وبعد أن أخمد الفرس الثورة في عام 457 ق.م. عاد الآثنيون الذين أسرهم الفرس في مصر بطريق صحراء ليبيا وقورينايا. أما ما إذا كان هذا قد حدث أثناء حكم آركيسيلاو أو بعد مماته فيتعذر تعيينه. ومهما يكن من أمر فإني مقتنع بأنه لم يبذل الفرس أية محاولة بعد هذا الزمن لإخضاع القورينيين، لأنهم كانوا في شغل للدفاع عن المناطق القريبة الخاضعة لحكمهم. فلا عجب بعد هذا أن يعظم سلطان قوريني بعد أن أمنت من الغارات المعادية وأن تزداد ازدهارا بمرور الزمن.

هــوامش الفقرة (45)

(1) جاء في اسطورة الآرغونوط (انظر الحاشية رقم 1 من الفقرة 8) أن بلياس اغتصب عرش ابن عمه ملك تيساليا واشترط على جازون ابن هذا الملك أن يأتي له بالخبرة الذهبية كشرط لإعادة العرش إلى أبيه. وميديا ساحرة أحبت جازون وساعدته على الحصول على الجزة الذهبية. ولكن بلياس أبى أن يعيد العرش المغتصب إلى صاحبه، لما أتاه جازون بالجزة الذهبية. وانتهء الأمر بأن قتلت ميديا بلياس بطرقها السحرية عقاباً له على تقننه.

ونقل المؤلف أن بيندار نظم قصيدتين على شرف باتوس الرابع وشفع في القصيدة الأولى (الرابعة البيتية) لدى الملك لداموقيلوس أحد النبلاء الذين شردهم الملك. ونصحه في ختام القصيدة بتجنب العنف ومسالة رعاياه وضرب له مثلين أحدهما مثل جازون الوديع الذي يأخذ الأمور بالحسنى ويتجنب الشدة والآخر مثل بلياس العنيف المستبد الذي لقي مصرعه على يد ميديا جزاء وفاقا لجوره.

- 46 -

نهايـة العهد الملكي

قد ألغي النظام الملكي نهائيا بعد موت آركيسيلاو الرابع. ولكن لا نعلم ما إذا كان هذا التغيير قد تم دون إراقة دماء بعد موت آركيسيلاو أو على أثر عنف. غير أن الاحتمال الأخير يبدو أدنى إلى الحقيقة. ولا نعجب من أن تصاحب الخوارق هذا التغيير الهام، إذا ما اعتبرنا ميل الأقدمين إلى تزيين الحوادث. وعليه فقد اعتبر ظهور الغراب الأبيض (شيء نادر حتى أنه يضرب به المثل، فيقال أندر من غراب أبيض) معجزة تنبيء بنهاية الأسرة المالكة. والواقع فقد صاحب إنشاء المدينة ظهور غراب وهو طير مقدس عند آبوللو حامي المدينة. ومثل ذلك حدث عند زوال الملكية. ولا تذكر موت آركيسيلاو وبدء حكم الشعب إلا حاشية واحدة لبيندار فتروي أن آركيسيلاو الأخير قد قتله القورينيون غيلة وأن سلطان الباثيين قد زال بعد دوام مائتي سنة. غير أنني أظن أن صاحب الحاشية يعني آركيسيلاو الثالث. ولكن هذا لا يمنع من أن نسلم بأن آركيسيلاو الرابع قد لاقى نفس المصير، وبه كما نعلم من هرقليدس قد زالت الملكية. ولم يتمكن ابن له اسمه باتوس، إذا لم أخطيء اعتلاء العرش وبالأحرى قد انسحب عن حكم الدولة ولاذا بأوسبريده آملا وشك أن يرحب به المستوطنون هناك. وبما أنه لا يعلم على وجه التحقيق ما إذا كان مات موتة عنف أو موتة طبيعية فإن السؤال عما إذا كان قتله القورينيون وسكان أوسبريده يظل مفتوحا. ولكن أدنى إلى الاحتمال أن يكون قتله هؤلاء الأخيرون وألقوا برأسه في البحر للقضاء على أي أثر له بغضا للاستبداد.

ويتعذر من جهة أخرى تحديد تاريخ تبدل نظام الدولة بقوريني تحديدا دقيقا. ذلك لأنه لا يمكن استخلاص أي شيء مما ذكره صاحب الحاشية (أي أن الملكية دامت مائتي سنة) حتى ولو كنا متحققين من تاريخ تأسيس قوريني. ولقد أثبتنا فيما تقدم مبلغ عدم إمكان الاعتماد على هذا الحساب. وعليه لا غرابة في أن لا نجد المؤرخين الحديثين أنفسهم على اتفاق على التواريخ وقد انعدمت البيانات المحققة في الروايات القديمة.

وبما أن كل هذه الأشياء غير محققة فإننا نتمسك برأينا وهو أن في عهد آرتاكسره لونجيمانو في عام 401 على الأقل عندما أصبحت قوريني حرة أثار آريستونيس خلافات ثم أقيم نظام حر نهائيا. غير أن لا شيء يمنعنا من أن نفكر في عام 450 ق.م. رغما عن أننا لا نعلم بشيء مؤكد سوى أن النظام الملكي قد انتهى بعد عام 460. في هذه السنة في الواقع كان آركيسيلاو منتصرا بأوليمبياد وبعد هذا النصر البيتي ببعض الوقت يبدو أنه مات أثناء تنظيم مستوطنة أوسبريده .

الجزء الثالث

تاريخ قوريني ـ مدينة حرة

ـ 47 ـ

حكومة قوريني جمهورية حرة

ما إن تحررت قوريني من نير الفرس ومن حكم الملوك حتى ازداد سلطانها قوة، ولكن من الضرر الجسيم علينا ألا نعلم إلا القليل أو لا شيء عن النظام السياسي الذي عقب الملكية.

ومن المحتمل أن هنا كذلك كانت كل مدينة تعمل بذاتها وتحكم نفسها بنفسها كما كان الأمر في المناطق الأغريقية الأخرى الشاملة لعدة مدن. وليس من المحقق ما إذا كانت مدن قوريتايا متحدة أولا. ولنترك الأمر كذلك. والواقع أنه رغما عن وجود مسكوكات قوريتائية تحمل كلمة (كونيون) أي الاتحاد يمكن استنتاج أنه لم يكن مشتركاً بين مدن قوريتايا إلا العبادة والقرابين. وبصورة عامة يمكن القول أن مواطني المدينة الرئيسة كانوا يحاولون بكل جهد بلوغ نوعا من التفوق. كان النظام السياسي الجديد يسمى ديمقراطية بصورة عامة ولكن يبدو أنه لم يطرأ تغيير يذكر على الإدارة الداخلية بعد إلغاء النظام الملكي. ولكن من المعروف أن شكل الجمهورية كان أقل جودة وأقل استقرارا رغما عن أن نظم دموناكس كانت باقية دون شك. والواقع أن الشعب بعد أن اكتسب حريته وتخلص من شعور الخوف الذي كان يتملكه أثناء الحكم الملكي بدأ يضطرب وينساق لعواصف خطيرة من الفتن التي نشبت بين الطبقة العليا وعامة الشعب، ولما كان هؤلاء الأخيرون يعانون من اضطهاد ذوي النفوذ حاولوا على الدوام طبعا انتهاز الفرصة للقضاء على النير الغاشم. ولهذه الظروف أخذ الليبيون المجاورون يتشجعون ويقومون بإغارات بين الحين والآخر وكثيرا ما هاجموا اوسبريده أقصى مدينة نحو الغرب. ويبدو أن هذا هو السبب الرئيس في أن قوريني رغما عن وجودها في منطقة غنية جدا وفي موقع ملائم جدا للتجارة لم تستطع أبدا مساواة قرطاجنة. والواقع

أنه بينما كانت قوريني مرتعاً للشيع لم تطرأ على قرطاجنة إلا تغييرات داخلية قليلة ، ذلك أن المحاولات التي بذلت للقضاء على نظام الحكم التقليدي فيها قد باءت بالفشل . أضف إلى ذلك أن غالبية المستوطنات المتفرعة عن قوريني كانت تنفر من تفوق الوطن الأم مما أدى إلى قلة نفوذ المدينة ، بينما احتفظ القرطاجنيون بسلطتهم المباشرة على كافة المستوطنات التي أسسوها معظم سلطانهم . أما فيما يخص الليبيين الذين كانوا خاضعين إما لهذا الشعب أو للآخر فإن القرطاجنيين قد تقدموا القورينيين في هذا أيضا وتركوهم خلفهم شوطا بعيدا . ولا غرابة بعد هنا في أن القورينيين لم ينافسوهم قط ولو لفترة قصيرة من الزمن .

- 48 -

الخلافات بين النبلاء والشعب

لم تصلنا أية معلومات عما حدث بقوريني بعد إلغاء النظام الملكي وفي هذا الوقت بالذات نشبت حرب البلوربونيز في بلاد الأغريق واشتركت فيها مستوطنات كثيرة مع هذا أو ذاك من الفريقين المتنازعين ولكن القورينيين لم يخوضوا غمارها لبعدهم عنها. غير أنهم لم يتقاعسوا عن مد يد المعونة إلى الدوريين أبناء عمومتهم عندما أتيحت لهم الفرصة . ففي عام 413 عندما اندحر الآثينيون في صقلية ألقى البحر على ساحل قورينيا ببعض السفن التي كانت أقلعت من البلوبونيز في طريقها إلى صقلية حاملة الامدادات لجيليبو وقد استقبل السكان الجنود بترحاب وزودوهم بسفينتين ذات ثلاث صفوف من المقاذيف وببعض المرشدين البحريين . وقد أصبح القورينيون فيما بعد مدينين لهؤلاء الجنود بالشكر والعرفان إذ أنهم قد أنجدوا مدينة أسستها قوريني. والواقع أنهم لما واصلوا سفرهم وبلغو أوسبريده وجدوا الليبيين يحاصرونها (كانوا من قبيلة أوسيغ التي تنزل في الأرض المجاورة) ويشنون عليها الغارات ويضايقونها . فهبوا لنجدتها وفكوا الحصار عنها . غير أنه لم يصلنا إلا هذا النبأ القصير عن حالة قوريني في الزمن الذي وقعت فيه هذه الحرب .

ومن جملة الأسباب التي حالت دون اشتراك القورينيين في حرب بعيدة عنهم كل البعد ، نشوب فتن نشأت عن خلافات بين النبلاء وعامة الشعب إذ حاول هؤلاء رفع عادية أولئك عنهم . واحتل آريستون زعيم إحدى الشيع المدينة فأعمل السيف في الطبقة العليا من المواطنين فقتل منهم خمسمائة ونجا الآخرون بالفرار. وبقي هؤلاء بعيدين عن الوطن يتحينون الفرص للعودة واستعادة سلطتهم القديمة وقد أرضوا رغبتهم هذه بعد زمن وجيز. والواقع أنه لما تغلب الأسبارطيون على الآثينيين عمدوا إلى طرد المسنيين الذين كانوا لاذوا بجزر كيفالونيا وناوباتو ولكن سمحوا لهم بالعيش في مناطق نائية حيث لا تصل سلطة سبارطة . فالتجأ بعضهم إلى صقلية وريجيو لدى مواطنيهم وركب غالبيتهم – أي نحو من ثلاثة آلاف رجل بزعامة كومون الذي اشتهر ببطولته في حرب البلوبونيز – ركبوا البحر إلى قورينايا

. وكـان أهل أوسبريده دعوا الأغريق أينما كانوا للاستقرار معهم حتى يتمكنوا بكثرة عددهم من رد إغارات البربر المجاورين والتخلص من اضطهادهم لهم . ولكن ما نزل المسنون بقورينـايا حـتى أقـنعهم النـبلاء المنفـيون بمسـاعدتهم . فجمعـوا جيشـا واشتبكوا مع خصومهم من عامة الشعب بقوريني فصرع أغلب المسنيون . فلما ضعف الفريقان تفاوضا واتفقا على نبذ الخلافات وحكما الدولة بعد ذلك سويا . حـدث هـذا في نفـس الوقـت تقريـبا الـذي حدثـت فـيه الحـرب بـين قـوروش وأخـيه آرتاكسره أي في العام الأوليمبي 94,4 الموافق عام 401 ق.م. أما المسينيون الذين بقوا على قيد الحياة فقد استقروا تحت زعامة كومون بأوسبيريده على أن دعا أبا مينوندا بعد معركة لوترا جميع المسنيين إلى العودة إلى الوطن .

وينبئنا آرسطو عن الطريقة التي اتبعها القورينيون في توطيد الوفاق بينهم فيشير في معرض الكلام عن طرق الاصلاح في إحدى المدن إلى ما فعله قليستين والقورينيون لإصلاح الجمهورية ، أي بزيادة عدد القبائل ورابطات الأخوة وإلغاء ما قد يكون باقيا من الجمعيات المغلقة لبعض الأسر ما أمكن ذلك وأخيرا بتحويل العبادات الخاصة إلى عبادات عامة . ومن عبارات أرسطو هذه يتضح أن جمهورية قوريني تم إصلاحها بهذا الشكل الجديد. ويبدو هكذا أن كافة جماهير الشعب قد صـهرت في جسم واحـد بعـد أن كانـت منفصـلة حسـب أصـولها حـتى بعـد زمـن دمونـاكس. ولكـن لـيس هـناك مـن سـبب في أنـه قـد أزيـل كـل خطـر كـان يكمـن في اختلاف الطبقات إزالـة تامـة . ويـرى شلوسـر أن هـذه الاصـلاحات لم تـأت نتـيجة لثورة آريستون بل نتيجة لنظم دموناكس . ولكن لا يبدو أن لهذا الرأي ما يسنده ، ذلك لأن دموناكس . ولكن لا يبدو أن لهذا الرأي ما يسنده ، ذلك لأن دموناكس لم ينشيء إلا ثلاث قبائل ولا يمكن التفكير في أن عددها [illegible] د ثم لأن هذا المصلح لم يضم جماعات تختلف طبيعة وطبقة بعضها إلى بعض . ولا يمكن قبول فكرة أن هذا التجديد كان قد أدخل في زمن إلغاء النظام الملكي ، لأنه قد جاء بالتأكيد لغرض تهدئة قلاقل مدنية لا لغرض تدعيم الحرية ضد الملك .

ورغما عن أن القورينيين كانوا مقتنعين بأنهم قد نظموا شئونهم ، فلا تبدو

حالة الجمهورية بالداخل أحسن من ذي قبل . وبعد ذلك بزمن قصير (يتعذر تحديده بالضبط) طلب القورينيون في الواقع إلى أفلاطون أن يدعم حكومتهم بنظم وقوانين جديدة . ولم يكن هناك في ذاك الزمن رجل يتجه إليه الأغريق في ساعاتهم العصيبة عن طيبة خاطر مثل أفلاطون العظيم الذي ذاع صيته في الآفاق وكان سكان آرقاديا وطيبة رجوه أن يشرع القوانين لأهل ميغالوبولي وهي مدينة جديدة أسست في ذلك الوقت . وكان بينه وبين أهل قوريني فضلا عن ذلك صداقة قديمة لأنه أقام في مدينتهم مدة لتعلم الهندسة من ثيودوروس الشهير. ولكن أملهم خاب إذ رفض أفلاطون الاستجابة إلى رجائهم قائلا : " من العسير وضع قوانين للقورينيين ، ودولتهم على ما هي من الرخاء لأن الحكم الجمهوري فيمن حالتهم مزدهرة ومتيسرة يتطلب كثيرا من العناء والصعوبة " . ولكني أعتقد أن هذا الرجل الشهير قد رفض للسبب التالي خاصة : فقد كان عرف أثناء إقامته بقوريني ما كان عليه أهلها من خفة وتقلب في الطبع ، مما نتج عن الثراء الفاحش وفضلا عن ذلك إنما أراد تفادي ربط صلات مع وطن آريستيبوس ومكان نفوذه لاختلاف المدرسة الفلسفية لكل منهما عن الأخرى .

هوامش الفقرة (48)

(1) مسنا : مدينة مسينا الحالية في شرق صقلية .

(2) كيفالونيا : جزيرة يونانية .

(3) ريجيو : مدينة بمقاطعة كالابريا الإيطالية .

- 49 -

حرب قوريني ضد قرطاجنة

حوالي هذا الزمن نشبت حرب بين القوريـنيين والقرطاجنيين ومن ذلك يمكننا استنتاج ماكانت عليه قوريني من المنعة ، رغما عن أننا لسوء الحظ لا نعلم شيئا عن هذه الحرب سوى طريقة إنهائيها . وفي غمرة الخلافات وفي ظل النمو التجاري والزراعي ازدادت قوة الجمهورية ازديادا جعل القورينيين ، وقد ملأت الثقة أنفسهم ، يجرؤون على منازلة القرطاجنيين . والواقع أنه نشأت بين الطرفين ، على أثر اتساع الحدود السياسية لكل منهما ، منازعات ذات طابع تجاري ، فلم تعزهما بعد ذلك أسباب الحرب . عندما لم تكن الأراضي الخاضعة لقرطاجنة متاخمة بعد لقوريـنايا في الأزمنة القديمة ، أي في عصر هردوت على الأقل ، كان من الصعب أن يصطدم الفريقان ، ولكن بعد أن أخذت دولة القورينيين توسع سلطانها وقد ازدادت شدة وبأسا ، أصبحت على ما نظن على صلة بالأراضي القرطاجنية . والواقع أن ضخامة المملكة الفارسية كانت تحول دون اتساع القورينيين نحو الشرق . أما نحو الغرب فكان المجال متسعا وذا أهمية لكسب نفوذ أبعد أثرا رغما عن أن جدب المنطقة لم يكن مغريا. فقد كان السكان الرحل يضربون في الأرض بين سرت الكبرى وسرت الصغرى ، فأقيمت هناك علاقات تجارية بمساعدتهم وخاصة بمساعدة النازامون ، كما أقيمت في مصر العليا وأثيوبيا في اتجاه الجنوب الشرقي وفي منطقة القرامنت ووسط إفريقيا في اتجاه الجنوب . وكانت قوريني مثل قرطاجنة تهدف إلى ربط هذه المنطقة أيضا بامبراطوريتها . ويبدو أن ذلك الدافع لحرب وصفها الكتاب الرومان (لم يتطرق الأغريق إلى ذكرها) بأنها كانت دون شك أكبر حرب على الإطلاق خاض غمارها القورينيون . وقد يكون هذا هو الحل المناسب لوصف حالة وقوة كل من الجمهوريتين في ذلك الزمن ولكن ما ذكر عن ذلك غامض لدرجة أننا لن نتمكن إلا من وضع افتراضات لا جدوى منها . ومع هذا ليس هناك ما يجعلنا نشك في أن كافة المدن القوريـنائية لم تتحد لتسيير هذه الحرب في سبيل المصلحة المشتركة .

أميل إلى تحديد زمن هذه الحرب بين عام 400 وعام 330 معتمداً على العناصر التالية . لا يبدو أن يكون الزمن سابقا لعام 400 لأن الحرب دارت رحاها على ما يقول ساللوستيوس لما كان القورينيون عظماء وأغنياء وهذا فيما أظن لم يحدث إلا في نهاية العهد الملكي . وبعد نهاية الملكية كانوا في شغل شاغل في بلادهم للدفاع عن أنفسهم من عادية جيرانهم ، حتى أنهم لم يكونوا يستطيعون التفكير في حرب مع القرطاجنيين الذين كانوا حينذاك في منتهى القوة . أضف إلى هذا أن هردوت قد وصف بعناية فائقة مقر القبائل الليبية فلم يذكر أن هذين الشعبين كانا متحادين . ولذلك علينا أن نفكر بأن أراضيهما لم تتسع لدرجة إثارة نزاع على الحدود إلا بعد عصر هردوت . ثم إننا نخمن أن هذا قد حدث قبل عام 330 أي في حدود الفترة التي كان فيها القورينيون مستقلين .

ولكن دعونا نفحص الأنباء التي انحدرت إلينا من القدماء حتى نستطيع عرض الحوادث بترتيب . في عهد أقصى نمو كلتا المدينتين قامت حرب طويلة عريضة بسبب الحدود ، وكانت حربا ليس لها من مخرج لأن المنطقة المتنازع عليها كانت رملية لا نهر فيها ولا جبل يمكن أن يفصل بين الأرضين . وقد خاض الجمعان المعركة في عنف وشجاعة متناهية في البر والبحر إلى أن أنهكت قوى الشعبين ولم يكتب النصر لأحدهما. فتهادنا واتفقا على أن يخرج في يوم معين مبعوثون من البلدين على أن تكون النقطة التي يلتقون فيها الحدود الطبيعية بين الشعبين. ولا يخفى أن القدماء جروا في الحروب الطويلة الضارية على اختيار أفراد من الطرفين للفصل في المنازعات حقنا للدماء . وبهذا الميثاق كان الطرفان المتنازعان يرميان ولا شك إلى تقسيم المنطقة سبب الخلاف إلى شطرين متساويين ما أمكن ذلك . ولكن حدث أن الأخوين اللذين خرجا من قرطاجنة – وإسمهما فيليني – قطعا مسافة أطول – ويتفق ساللوستيوس وفاليريوس ماكسيموس على ذلك ولكنهما يختلفان على السبب الذي أدى بمبعوثي قوريني إلى قطع مسافة أقل – فيقول ساللوستيوس أن الفيليني أسرعا الخطى وأن القورينيين كانوا يسيرون على مهل ، ولا يعرف هل كسلا أو عرضا . ولكن الحالة الأخيرة أكثر احتمالا نظرا لأن السير في صحراء رملية كثيرا ما يعرض المرء لعوائق غير قليلة . هذا في حين يتهم فاليريوس ماكسيموس الفيليني بالمكر (ولو أنه يرفع من شأنهما

بالثناء العاطر) لأنهما تمكنا من إقصاء الحدود بخروجهما من بلدهما قبل الوقت المحدد . ويعود سالوستيوس فيقول إن قوله أرجح دون شك لأنه ثقة ولأن المنطقة كانت وعرة حقا ، هذا إذا طرحنا جانبا ما كان للرومان من فكرة سيئة عن الطبع القرطاجني ، وأن تهمة المكر إنما وجهت إلى الفيليني من قبل المبعوثين القورينيين . وإذا تركنا الأمر دون الفصل في حقيقة الواقع ، فإن الثابت أن المبعوثين القورينيين حاولا التشويش خوفا من العقاب على افشالهما التجربة . وقرر القرطاجنيين قبول أي شرط آخر على أن يكون عادلا بشكل من الأشكال . وصرح القورينيان في آخر الأمر بأنهم مستعدان لقبول تلك الحدود إذا قبل الأخوان الفيليني أن يدفنا حيين في ذلك المكان ، وإلا فإنهما في حل من مواصلة السير إلى حيث أرادا . وليبحث غيرنا عما إذا كان القورينيان كانا يأملان في أن يذعر القرطاجنيان من هذا الشرط أو أنهما كانا ملتهبين بحب الوطن فلم يترددا في مواجهة موت فجيع مثل ذلك . ومهما يكن من أمر فقد روي أن الفيليني بعد أن استوثقا مرة أخرى بأن الأرض التي قطعاها تبقى لمواطنيهم لم يرفضا أن يدفنا حيين . غير أن هذا المشهد من الأسطورة الدينية يبدو أنه ينطوي على معنى خاص . فلا يخفى أن القرطاجنيين كانوا يقدمون ضحايا بشرية للآلهة ومن المحتمل أن يكون من ضمن شعائر الافريقيين عادة دفن البشر أحياء لا سيما وأن مثل هذه العادة كانت توجد حتى لدى الشعوب التي تعرض بصورة عامة عن التضحية البشرية . وعليه فلربما نذر الفيليني نفسيهما للآلهة لصالح شعبهما . " ياله من عمل باهر يسجل بالفخار " صاح ميلا مبديا إعجابه بشجاعتهما . ولم يسع سالوستيوس وفاليريوس ماكسيموس إلا إكبار هذا المثل الأعلى . حتى الرومانيون حكموا إذن على هذا العمل بالإعجاب : الرومانيون أعداء القرطاجنيين الأيديون . ولا نريد أن نسلم أمام أعمال قديمة عظيمة مثل هذه بأن الفيليني لربما كان يعدمان لو رفضا الموت طواعية (كما كان العادة لدى القرطاجنيين) وانقاص قيمة تضحيتهما بذلك بشكل من الأشكال .

وكرّس القرطاجنيون المذابح للأخوين الفيليني في مكان التضحية . ولما عفّ الزمان على هذه المذابح استمر إطلاق إسم " مذابح الفيليني " على المكان – يقول بلينيوس أنها كانت مبنية من الرمل ، الأمر الذي لا يستغرب لأنه لم يكن يوجد في

ذلك المكان لا حجر ولا كتل طينية . أما كون الفيليني كانا يحاطان بالتكريم الذي يخص به الآلهة فأمر غير متفق عليه . فلربما كانت تقدم القرابين إلى الآلهة التي منحت الفيليني سمو النفس أو كانت تقدم لتهدئة أرواح الموتي . لم يعتبر الأخوان الفيليني في مصاف الآلهة ولكنهما وضعا في عداد الأبطال ويكرمان بمراسم أخرى حتى في بلادهما وهذا عن استحقاق لأنه إنما يرجع إليهما وضع سرت الكبرى وسرت الصغرى تحت السيطرة القرطاجنية . وكان من المهم جدا بالنسبة للقرطاجنيين أن يخضع سكان هذه المنطقة الجرداء لسيطرتهم حتى تصبح المنطقة حاجزا متقدما عند الدفاع ضد أغريق قورينايا ، الذين كانوا يثيرون حسدهم بسلطانهم الصاعد . وفضلا عن هذا فقد كان القرطاجنيون يروجون جزءاً متزايداً على الدوام من تجارتهم لدى هذه الشعوب كما ذكرنا آنفا . أما عن موقع الحدود بين الدولتين فسنتحدث عنه بعد قليل .

هوامش الفقرة (49)

(1) ساللوستيوس واسمه غايوس قرسبوس : (86-34 ق.م.) مؤرخ روماني عظيم ، كان عضوا في مجلس الشيوخ فطرد منه بسبب حياته الخليعة ثم أعاده قيصر إلى المجلس. تولى ولاية إفريقيا ، ثم اعتزل الحياة العامة بعد أن جمع مالا وافرا ، وكرس باقي حياته للعلم . كتب " مؤامرة كايلينا " و " حرب يوغورتا " .

(2) ميلا واسمه بومبونيوس : من أوائل الجغرافيين الرومانيين عاش في القرن الأول للميلاد . في كتاب له قسّم الأرض إلى خمسة أجزاء قال إن ثلاثة منها مسكونة والاثنين الباقيين شديدي الحرارة لا سكان فيهما . وصف شواطيء اسبانيا و مواقع الجزر البريطانية بما يقرب الواقع .

- 50 -

موت الفيليني : عود على بدء

من المفهوم بداهة أن يصبح حادث مهم مثل هذا بالنسبة للقرطاجنيين مثيراً للخيال لدى عامة الشعب وأن تنمق فيه الروايات الشفوية في وقت قصير. كانت الأحاديث المتناقلة عنه متباينة جد التباين. ولكن افتراض ساللوستيوس يبدو مقبولا وكان استخلص القصة من رواية محلية بلغته عندما كان واليا على نوميديا ولربما كانت محرفة غير قليل قبل ذلك. ومن الواضح أن روايات ميلا وفاليريوس ماكسيموس كان هو مصدرها لأنه أقدم من أشار إلى الحادث. ولكن الأخير يبتعد عن رواية ساللوستيوس مما يجعلنا نخمن بأنه إنما أراد التشهير بالقرطاجنيين على عادة الرومان رغما عن أنه ليس منسجما مع نفسه بثنائه على عمل الفيليني كمثل رائع للفضيلة. فليس من المقبول إذن أن يكون نقل القصة من كتاب مؤرخ يعادي القرطاجنيين.

على كل حال، ورغما عن أن الأمر كذلك، فليس مصرح لنا بالحكم بزيف الرواية بأكملها. والواقع أن ساللوستيوس غزير التفاصيل، فما من مؤلف يجاريه ويستحق الثناء. ولا يمكننا أن نحجب عنه ثقتنا به، حتى إذا فكرنا في أنه لم يعن بتعميق حقيقة الوقائع وأنه ابتعد عن الغاية أثناء عرض القصة. ومما يحمل على تصديق ما قيل من أن قرطاجنة قد وضعت مراسم لتكريم الفيليني. فيتحدث كتاب قدماء وحديثون عن مذابح كرست لذكراهما. ويضاف إلى أن تسجيل هذه الذكرى ترجع إلى الرومان أعداء القرطاجنيين الالداء. أجل، إنهم يجمعون على الاعجاب بسمو نفس الفيليني وأن كانوا ينسبون كل نوع من الإجرام إلى القرطاجنيين.

فلا حاجة إذن لدحض الحجة التي أنكر قوريتوس بها صدق حادث الفيليني إذ أنه يتصور مما قاله بلينيوس عن مذابح الفيليني من أنها من الرمل: أن مرتفعين بارزين من الأرض المنبسطة من صنع بني آدم لا من صنع الطبيعة كانا المادة لنسج الخرافة. قد يبدو غريبا في الحقيقة أن يسكت جميع الكتّاب

الأغريق عن هذا الحادث . ولكن هؤلاء ، باستثناء هردوت ، لا يتحدثون عن تاريخ قوريني إلا عرضا – ولم يقدر أحد خارج إفريقيا الحادث حق قدره لا سيما وأنه ليس مما يعود بالمجد على قوريني .

ولكن مما يجعل الأمر مشكوكا منه هو الاسم الأغريقي للفيليني . فلا شك أنه مختلق بالنسبة للوقائع ، غير أنه يجب تفسيره بأن الأغريق كانوا أطلقوا اسما أغريقيا على ذلك المكان وكان حدود دولتهم . وما كان من ساللوستيوس إلا أن استعمل هذا الاسم الذي كان شائعا . ولعله كان يجهل الاسم الحقيقي للأخوين .

وأخيرا تتعارض مع قول ساللوستيوس نوعا ما صيغة المفرد " مذابح الفيلينو " التي استعملها كل من بوليبيوس وسكيلاكس في الإشارة إلى الحدود بين المنطقتين القرطاجنية والقورينائية . ولكن لطالما انعدمت رواية تتحدث تارة عن شخص واحد وتارة عن شخصين لا يمكن الشك في صحة الرواية برمتها لذلك السبب .

- 51 -

حدود قورينايا من الناحية الغربية

بعد أن تحدثنا عن مذابح الفيليني يبدو مناسبا أن نحدد ما استطعنا ذلك سبيلا مساحة الأرض التي كانت خاضعة للقورينيين . كانت الحاجة تدعو بإلحاح إلى تحديد التخوم نحو الغرب حيث كان يحدث اتصال مع القبائل الخاضعة للسيطرة القرطاجنية . غير أن قبل الحرب التي تحدثنا عنها لم تكن هذه الحدود ذات موضوع كما رأينا آنفا ، وفي نهايتها بالذات نصبت المذابح التذكارية للفيليني كعلامات نهائية بين البلدين . يكاد كافة القدماء يتفقون على حدوث نصب هذه العلامات . ولا يمكن أن يكون هناك شك في المكان الذي نصبت فيه إذ يروي كل من بوليبيوس وميلا وبلينيوس وبطليموس وسولينيوس بأنها نصبت إما في أقصى الناحية الجنوبية من خليج سرت أو فيما يقاربها نحو الغرب . وآخر مكان مسكون من قورينيايا كان قصر آنتومالا أو آنتومالاكس وأول مكان في الأرض القرطاجنية كان فاراكس أو بصورة أدق خاراكس حيث كان القورينيون يمارسون تجارة واسعة النطاق ويهربون السلفيوم مقابل النبيذ . وكانت مذابح الفيليني تقوم بين هذين المكانين . أما وقد اتفق الجميع على ما تقدم يبدو غير متماسك رأي كل من ساللوستيوس إذ يقول أنها كانت تقع في أقصى سرت الصغرى والكبرى إلى الغرب، وسترابون الذي يضعها بين سرت الكبرى والصغرى في حين يقبل في مكان آخر الموقع التقليدي . فإذا أهملنا سترابون الذي يناقض نفسه بنفسه وقبلنا ما أورده ساللوستيوس في هذا الصدد لوجب علينا التفكير في أن كل ما ذكره ساللوستيوس نفسه عن مزايا الفيليني يتعارض مع تحديد المكان ، لأن حدوداً هذا وضعها تكون أكثر ملاءمة للقورينيين منها للقرطاجنيين . وأضف إلى ذلك أن بوليبيوس قد عاصر سقوط قرطاجنة ولا شك أنه كان يعرف مدى اتساع المنطقة الخاضعة للقرطاجنيين وحدودها ، لاسيما وأنه يتفق في هذه النقطة مع آراتوستينس الذي كان من مواليد قوريني كما لا يخفى .

ويتبع ما تقدم أن اختلاف الكتّاب القدماء على تحديد التخوم الغربية

لقوريناي لا يؤثر على صحة ما عرضناه على أساس شهادات محققة تحقيقا كافيا . ومع ذلك فمن الخير عرض بعض هذه الآراء واستقصاء أصلها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا . قليل من الكتاب يضعون قورينايا في حدود أضيق ، أي أنهم يقصرونها على بوريون وهو رأس يقع قرب أوسبريده على الساحل الشرقي من سرت الكبرى . ولكنهم لا يتحدثون عن المنطقة الخاضعة لقوريني بل عن المدن الخمس في دلالتها الضيقة وآخر مدينة منها أوسبريده بالذات . والواقع أن بطليموس أيضا حدد تخوم المدن الخمس بأوسبريده واعتبر الأراضي الأخيرة إلى الغرب حتى مذابح الفيليني غير تابعة للمدن الخمس ولكن من ضمن قورينايا .

وأخيرا يمد سترابون الحدود الغربية لقورينايا إلى أقصى مذابح الفيليني بقليل حيث تنتهي الأراضي الخاضعة للبطالمة عند أوفرانتا وهو موقع غربي ، قرب خاراكس. ومن الطبيعي أن يوسع البطالمة بعد إخضاع قورينايا سيطرتهم إلى أقصى مذابح الفيليني. ويبدو أنه يمكن الاستنتاج من عبارات سترابون أن هذه لم تكن الحدود القديمة. ولكن الأراضي لم توسع بعد مجيء البطالمة مباشرة ، إذ أن أراتوستينس الذي لرأيه وزن كبير في هذا الموضوع يقول أن آنتومالا هي آخر موقع من قورينايا الغربية لأخاراكس .

وأخيرا يقول بلينيوس أن قورينايا تمتد حتى سرت الصغرى ولو لم يتفق نوعا ما في هذه النقطة مع سالوستيوس الذي يضع في هذا الموقع مذابح الفيليني لوجب رفض قوله لتعارضه مع المتواتر المعروف . ولا يستحق رأيه هذا الدحض في الوقت الذي هو نفسه ، في مكان آخر ، يضع قورينايا في حدود أضيق .

هوامش الفقرة (51)

(1) آرنست قوريتوس : مؤرخ وعالم آثار ألماني ، ولد عام 1814 وتوفى عام 1896 . أستاذ بجامعة برلين . عقد في عام 1874 اتفاقا مع الحكومة اليونانية أعطت ألمانيا امتياز الحفريات بأوليمبيا .

(2) أراتوستينس : رياضي وفلكي وفيلسوف أغريقي من مدرسة الاسكندرية . ولد بقوريني عام 284 ق.م. ومات حوالي عام 192 . أول من قاس خط الطول الأرضي.

- 52 -

الحدود الجنوبية والشرقية لقورينايا

كانت صحراوات ليبيا تشكل الحدود الجنوبية لقورينايا . وفي وسطها هناك كان يوجد معبد وحي عمون الشهير الذي يقول عنه جميع الكتّاب الأغريق واللاتين تقريبا إنه كان لقورينايا رغما عن أنه كان معزولا عن حدودها بفاصل صغير. ويمكن إرجاع سبب كل هذا إلى أن كثيرا ما كان يخلط بين اسم قورينايا واسم ليبيا وإلى أن الأغريق والعمونيين كانوا يعتبرون أن الرابط الذي يجمع بينهم إنما كان قورينيًا بالذات.

وليس القدماء على اتفاق على حدود قورينايا شرقا لأن هناك من يميز بين قورينايا ومارماريكا ومن يضيف مارماريكا إلى أراضي القورينيين . ويجب البحث عن سبب هذا الفرق في أن بعضهم أطلق اسم قورينايا على المنطقة التي كان يشغلها المستوطنون الأغريق وضم البعض الآخر إليها كافة المنطقة التي كان ينتجع فيها الرحل التابعون لقوريني على الأقل في زمن سيطرتها . ولا يبدو أن هناك شكا في أن المنطقة الخاضعة لنفوذ قورينايا قد امتدت حتى مصر. فمن المستحيل والحالة هذه تحديد التخوم على وجه الدقة . ولو أن الكثيرين يقولون بأنها تصل إلى كاتاباتمو وهو مرتفع ينحدر صوب مصر (يسمى العقبة اليوم) . وهذا الاسم الأغريقي كأسماء أماكن كثيرة أخرى في هذه المناطق مصدره القورينيون .

- 53 -

تحالف القورينيين مع الإسكندر

ولكن قد حان الوقت للعودة إلى القصة وعرض القليل مما جاء ذكره عن قوريني في هذا الزمن . ولعل جمهورية القورينيين لم تشف بعد من الجروح التي خلفتها لها حربها مع القرطاجنيين حتى أن استسلمت مصر دون قتال إلى اسكندر ملك المقدونيين . وعندئذ حاول القورينيون خطب وده في كثير من الحكمة بعد أن تبين لهم أن كافة المدن الأغريقية تقريبا قد انحنت أمام سيطرته وأنه لم يكن في مقدور البشر التغلب على جيوشه . وبناء على ذلك لما جاء الاسكندر في عام 331 ق.م. لاستشارة وحي عمون خف رسل قوريني لاستقباله حاملين له الهدايا الفاخرة بينها 300 فرس مروض وخمس مركبات جميلة جدا كل منها ذات أربعة أفراس وسألوه السلام . ولم يترفع الملك عن ربط أواصر الصداقة والتحالف مع القورينيين . ولكن ليس من الواضح ما إذا كانوا بذلك قد صادقوا المقدونيين فقط أو أنهم اعترفوا كذلك بسيطرتهم . ولكن الاحتمال الأخير أدنى إلى الحقيقة لأن آريانوس يروي أن الإسكندر كان يتحدث أمام جنوده عن قوريني على أنها خاضعة للسيطرة المقدونية . ولأن الإسكندر أقام آبوللونيوس واليا على ليبيا المتاخمة لمصر . ولا بد أن ولايته كانت تشمل شئون قوريني كما أظن . ولم يذهب الإسكندر إلى قوريني ولو أن قورتسيوس روفوس يروي أن القورينيين دعوه . ويغلب على الظن أنهم لم يكونوا مخلصين في أعرابهم عن رغبتهم هذه . ومن جهة أخرى لربما وقع قورتسيوس روفوس في خطأ من كانوا يقولون بوجود معبد عمون في قورينايا . ومهما يكن من أمر فإن سلطة المقدونيين على قوريني ، كما سيأتي الكلام ، لم تكن قط كبيرة . والواقع أن المقدونيين لم يهتموا بقوريني إلا قليلا نظرا لصغر المنطقة بالنسبة لاتساع الأمبراطورية ولا سيما لوقوعها على أطرافها بالزاوية الخارجية من مملكة الإسكندر واسعة الأرجاء . ثم أن الإسكندر حكم الأغريق بكثير من الاعتدال حتى أنه يجب اعتباره حاميهم لا سيدهم .

- 54 -

ضمت قورينايا في عام 322 ق.م. لمملكة بطليموس لاغوس

بعد أن مات الإسكندر انحلّ عمله الباهر ولما يعطه اللمسة الأخيرة واقتسم قواده الولايات بينهم، فأصاب بطليموس لاغوس منها ولاية مصر. ولكن إذا كان الإمبراطورية أصابها الخراب فإن المدن القريبة لم تنج من الهزة. وهكذا وقعت قوريني تحت سيطرة ملك أجنبي في وقت كانت فيه الخلافات الداخلية تجتاح المدينة. فقد كانت المدينة في العام الأوليمبي 114,2 الموافق لعام 323 ق.م. منقسمة على نفسها في حزبين تمكن أحدهما من طرد أنصار الحزب الآخر فلاذ هؤلاء مع مهاجرين برقاويين بتمبرون لاكيديمونيوس بمدينة كيدونيا في جزيرة كريت، الذي كان استولى على الحكم والجيش بعد أن قتل آبالوس. وقد كان لتمبرون هذا جيشاً قوامه ستة آلاف مرتزق وانتقل به إلى قورينايا حيث تغلب في معركة على القورينيين وقتل منهم من قتل وأسر من أسر. غير أنه لم يراع رغبات من استنجد به وأخذ يعمل لمجده وسيطرته وحده. واستولى على آبوللونيا ميناء قوريني وأباح لجنوده أموال التجار الذين كانوا بقوا فيها. ثم أكره القورينيين، بعد أن ضرب الحصار على مدينتهم، على المفاوضة وقبول دفع إتاوة قدرها 500 تالنت (1) فضة وتسليم نصف عدد المركبات الحربية. وبعد أن هدم سلطان القورينيين بهذه الطريقة رغب في السيطرة على المنطقة بأسرها. فبعث برسل إلى المدن القريبة يدعوها إلى حلف، موهما إياها بعزمه إخضاع الليبيين القريبين. فانضم إلى جيشه سكان برقة وأوسبريده اللذين كانوا غير مرتاحين لسيطرة قوريني.

وبينما كان تمبرون يأمل هكذا في النجاح تاركا الأمور إلى الصدف وفي غير روية انقلب عليه مناسيقليس وكان مواطنا كريتيا ورجلا شرسا، جريئا خبيرا بالفن العسكري وقائدا لفصيلة من الجيش فتذرع بتقسيم الغنائم واجتمع بالقورينيين وأقنعهم بنقض المواثيق والاحتفاظ بباقي الأتاوة (وقد كانوا دفعوا

ستين تالنتا فقط) وأن يشهروا السلاح في سبيل الحرية . فلما بلغ تمبرون ذلك قبض على من كان يوجد من القورينيين حينئذ بأبولونيا وحاصر قوريني من جديد بعد أن وصلته إمدادات من أهل برقة وأوسبريده . ولما لم يدرك أية نتيجة رفع الحصار وانسحب إلى آبوللونيا حيث وجد أن سكانها يعيشون فسادا في زرع السكان النازلين حولهم انتقاما مما لحقهم منهم من إهانات . فجمع تمبرون جنده وخرج لنجدتهم فإذا بالقورينيين يبثون على حين غرة على آبوللونيا الخالية من المدافعين ويستولون على اعتدة عدوهم فبددوا نوعا ما الخطر الداهم الذي كان يهددهم . ومنذ ذلك الحين أصبحت الحرب سجالا بين الفريقين . فاستولى تمبرون من جهة على توكيرة ولكن لم يلبث أن خسر أسطوله بعد ذلك بقليل . فقد حدث أن البحارة وقد خطر عليهم البقاء في الميناء ، نزلوا إلى البر بغية إعمال السلب والنهب فهاجمهم السكان إذ كانوا متفرقين فقتلوا الكثيرين منهم وأسروا آخرين ، ولاذ الناجون بسفنهم وبينما كانوا متجهين إلى مدن صديقة باغتتهم عاصفة فأغرقتهم أو شردتهم صوب قبرص ومصر .

ولكن تمبرون ظل رابط الجأش رغما عما ما أصابه من محن وعاد فجند ألفين وخمسمائة جندي بين من كانوا يتسكعون في البلوبونيز انتظارا لمن يجندهم . ولكن قبل أن يصلوا هاجم القورينيون ، وقد استعادوا شجاعتهم ، جيش تمبرون ومزقوه شر ممزق . ولكن ما أن وصله الجنود الجدد حتى عبأ جيشا قويا . فلما رأى القورينيون أن نار الحرب تشتعل من جديد استنجدوا بالليبيين والقرطاجنيين بحيث أن أعداء الأمس أصبحوا متحالفين أمام الخطر المشترك الذين كانوا يخشونه من جانب السيطرة المكدونية . ورغما عن هذا تمكن تمبرون من الانتصار مرة أخرى بعد معركة طويلة مرة. فأحاط بميناء قوريني وأخذ يهاجم المدينة كل يوم . ولما أخذت المؤن تشح اضطرب القورينيون فطرد عامة الشعب ، وكانوا الأقوياء ، الأغنياء من المدينة بتحريض كما يبدو من مناسقليس الذي قتل في معركة القواد العسكريين البارزين فنودي به قائدا للجيش مع قواد آخرين جدد وكان يأمل من وراء توليه القيادة أن يظفر بحكم المدينة بيسر . ولاذ بعض المنفيين بتمبرون والبعض الآخر بمصر .

وبينما كانت قوة القورينيين تضعف وتزداد قوة تمبرون لاح خصم جديد أشد وأنكى . والواقع أن بطليموس الذي كان يهمه أن تكون هذه المنطقة المتاخمة له خاضعة لحكمه لم يدع هذه الفرصة تفوته دون دم سلطانه فانقاد عن طيبة خاطر بفكرة إرسال قوات عظيمة برية وبحرية إلى قورينايا بقيادة أوفلا بذريعة نجدة المنفيين . ولما وصل هذا إلى قورينايا حاول المنفيون الذين لاذوا بتمبرون الانضمام إلى الفريق الآخر في ظلام الليل ولكن انكشف أمرهم فقتلوا عن بكرة أبيهم . واتحد أولئك الذين كانوا يتحاربون – إلى زعماء الشعب وتمبرون – للدفاع عن أنفسهم من أوفلا . ولكن القائد البطليمي وجه اهتمامه كما يبدو إلى احتلال المدن القريبة قبل كل شيء آخر ، ومن المحقق أنه وضع حامية لتوكيره التي كانت قبل ذلك ، كما رأينا ، في قبضة تمبرون . وعندئذ غلب تمبرون في المعركة وقبض عليه الليبيون أثناء هروبه وسلموه أبسيده الأولينتي الذي كان أوفلا ولاه على توكيره . وقتله أهل توكيره بإذن من أوفلا وأرسلوا جثته إلى آبوللونيا ، حيث كان اقترف جرائم كثيرة ، وهناك صلبوه . وإذ كان القورينيون ما زالوا يحملون السلاح أو يدافعون عن أنفسهم بكل شجاعة وصل بطليموس نفسه وأخضع المنطقة بأسرها . وهكذا في عام 322 ق.م. خسرت قوريني والمدن القريبة منها حريتها ووقعت في قبضة الحكم البطليمي وأصبح مصيرها بعد ذلك، رغما عن استعادتها لاستقلالها في بعض الفترات ، مقرونا بمصير مصر .

هوامش الفقرة (54)

(1) التالنت عملة إغريقية كانت تساوي في آثينا قيمة 26 كيلوغراما تقريبا من الذهب أو الفضة . فإتاوة 500 تالنت تعني 15000 كيلوغرام من الفضة .

الجـزء الـرابـع

تاريخ قوريني من زمن استيلاء البطالمة عليها
إلى أن أصبحت ولاية رومانية

- 55 -

ثورة القورينيين على بطليموس في عام 313

ظل القورينيون منذ ذلك الزمن فصاعدا تحت الحكم البطليمي في أكثر الأحيان ولكنهم لم يخضعوا دائما لملك مصر. ولم يدعوا وسيلة إلا وحاولوا استخدامها للتخلص من النير البغيض، مفضلين الحرية على كل شيء آخر كما كان ديدن الأغريق جميعهم. ومن جهة أخرى لم يطمح القواد الذين ولوا على المنطقة ولا مرة واحدة بأن يستقلوا عن مصر رغما عن بعدهم عنها. والمحقق أن بطليموس بعد أن احتل قوريني حكم المنطقة وأقام حامية في قلعة المدينة لضمان خضوع السكان الذين كانوا يرغبون على الدوام في تغييرات سياسية. بيد أنه تصرف بنوع من الاعتدال وأدخل تجديدات جديدة. وبعد تسع سنوات عاود أمل الحرية إلى القورينيين فانتهزوا فرصة تناحر القواد المكدونيين وانشغال بطليموس برد عادية آنتيغون وثاروا – فحاصروا القلعة التي كانت أمرة أو فلاس كما يبدو. وكان ذلك في العام الأولمبي 16,3 الموافق عام 313 ق.م. وبعث بطليموس برسل وأنذرهم بالكف عن محاصرة القلعة فظنوا أنه كان يحاول فصل الخلاف وديا تحت ضغط ضرورات أخرى عليه. فركبوا رأسهم وقتلوا الرسل وشددوا الحصار بعناد. فقلق الملك لهذه الحوادث فأوفد إليهم جيشا بقيادة آجيد واسطولا بقيادة أيبينيتو – فأخمد آجيد الثورة دون عناء كبير وبعث بالمذنبين مكبلين بالحديد إلى الإسكندرية وأعاد تنظيم المدينة بما رآه مناسبا وعاد إلى مصر. وليس من الواضح ما إذا كانت هذه الثورة انتشرت إلى جميع المنطقة أو أنها اقتصرت على سكان مدينة قوريني. ولكن نتج عنها أن اعتبرت قوريني مدينة محتلة بالحرب. وتسلم بطليموس حتى أسلحة السكان وعندئذ اعتبر سيطرته قوية بما فيه الكفاية فاتجه إلى رد الأعداء الخارجيين.

- 56 -

محاولـة اوفللاس

(312 - 308 ق.م.)

ولكنّ القورينـيين أصبحوا بعد إخضاعهم أكثر عداوة نتيجة للمعاملة القاسية التي عاملهم بها بطليموس فلم يدعوا الفرصة تفلت من أيديهم للتحرر من الطغيان البغيض حتى ولو أنه لم يعد في امكانهم التطلع إلى الحرية ولم يروا حرجاً في إبدال حكم بطليموس بسيادة اوفيللاس. وكان هذا قد استولى على قوريني في عام 322 كما رأينا ومن المحتمل أن يكون ولي قائدا على الجنود المكدونيين من حامية قلعة قوريني والمنطقة بأسرها بعد الثورة التي أخمدها آجيد - وبما أن أثناء الصراع الذي دار بين خلفاء الإسكندر لتقاسم الإمبراطورية قد سنحت الفرصة لكل القواد الذين ولوا على شتى الولايات بأن يقلدوا بعضهم في قدوة سيئة خطيرة. كذلك قلد أوفللاس غيره فانتهز الفرصة واستغل لصالحه بغض القورينـيين للسيطرة البطليمية ومكانته بين جنوده. فتسلم قيادة قوريني ولقب نفسه بالملك، وذلك بينما كان بطليموس، بعد أن أقرا سلم بقورينايا خارجا بجيشه ضد ديمتريوس ابن آنتيغون. ويبدو أن هذا وقع بعد حملة آجيد بقليل أي في عام 312 ذلك لأن في عام 308 (العام الأولمبي 118,1) قتل أوفللاس وعادت قوريني إلى البطالمة من جديد. قال باوزانياس في هذا الصدد أن قوريني أخضعها الملك من جديد بعد ثورة دامت خمس سنوات. ومن هذا يتضح أن الثورة لم تقم في وقت لاحق. والواقع أن بطليموس رغما عن انتصاره على ديمتريوس لم يستطع التفكير في أمر انشقاق أوفللاس في السنوات التالية مباشرة لانشغاله بشئون أكثر أهمية .

غير أن اوفللاس وكان لديه جيش ممتاز لم يقنع بقورينايا وكان يتطلع إلى ما هو أعظم. فبدا له أن الفرصة سانحة لما أرسل إليه آغا توكليس طاغية سيراكوز (الذي كان نقل جنوده إلى أفريقيا وانتصر في بعض معارك ويعد العدة للقضاء على قرطاجنة) أورتون الراكوزي يستعديه على القرطاجنيين ويعده بملك إفريقيا هو الذي له ملك بصقلية وبإيطاليا على اتساع كاف - واستمع أوفللاس إلى الرسالة بلطف ولم

يرفض الشرط الذي لوح له بأمل توسيع ملكه والقضاء على الدولة القرطاجنية، التي كانت قوتها البالغة مبعث خوف للقورينيين. وبدأ فورا يتأهب للحرب بأعتدة كثيرة وبعث يطلب العون من الآثينيين وكان له بينهم أصدقاء عديدون ولا سيما وأنه كان تزوج من أوريديكة مواطنة آثينية أبنة شخص يدعى ميليتسياديس كان يفخر بانحداره من ميليتسياديس العظيم قاهر الفرس. وبما أن أحوال بلاد الأغريق كانت مضطربة آنذاك هرع آثينيون كثيرون وأغريق آخرون عددهم غير قليل للتجنيد آملين في اقتسام منطقة أفريقية غنية جدا وفي نهب قرطاجنة.

ولما كان كل شيء على عدة تحرك الجيش: عشرة آلاف راجل و 600 فارس و 100 مركبة حرب. وانضم إليه جمع غير نظامي بلغ عشرة آلاف رجل مع أزواجهم وأولادهم حاملين أنواعا من الأمتعة. وكان المجموع يبدو وكأنه جالية لا جيش. وسار الجمع في منطقة صحراوية فأصابتهم أنواع من المكدرات: فقاسوا الجوع والعطش وهجمات الثعابين والضواري من كل نوع. وفي النهاية وصل أوفللاس بشق النفس وبعد مسيرة دامت شهرين، وفقد الكثير من جنوده، على مكان قريب من معسكر آغاتوكليس. فخف هذا لاستقباله فعسكر بعد وقت وجيز إلى جانبه وزود جنوده بكل شيء وحثه على تركهم يستجمون. وانتظر آغاتوكليس عدة أيام ولما بلغه أن معظم الجنود القورينيين كانوا تفرقوا في طلب العلف لحيواناتهم دعا جماعته إلى الاجتماع واتهم اوفللاس بالخداع ثم خرج وانقض بجنده فجأة على القورينيين الذين أخذوا على غرة. قاوم اوفللاس الصدمة في أول الأمر ولكن جنوده الحاضرين كانوا أقل عددا من عدد خصومهم ولم يلبث أن سقط صريعا وهو يقاتل. وأكره الناجون على إلقاء سلاحهم فضمهم آغاتوكليس إلى جيشه بكثير من الوعود المغرية. فأمكنه بذلك تعزيز جيشه المنهك بقوات إضافية صالحة. ويقال إنّ ما فعله كان غايته الرئيسية منذ البداية. ورغما عن ذلك فمن المحتمل أنه كان يرمي إلى الحصول حقا على عون أوفللاس ولكن خشي فيما بعد أن يطمع هذا بما كان له من جيش وافر في الانفراد بالسلطان ولذلك عمد إلى هذه الطريقة القاسية للقضاء على حليفه. أما من كان غير قادر من القورينيين على الحرب فقد أعيد إلى قوريني ولكن غرقت بعض السفن التي كانت تقلهم وابتعد البعض الآخر عن خط سيره على أثر عاصفة. فلم يصل منهم إلا القليل. ولم يحارب جنود أوفللاس بقيادة آغاتوكليس بنفس راضية ومما يدل على ذلك أنهم قتلوا ابنيه اللذين بقيا بإفريقيا بعد أن دحر

ولاذ بصقلية .

- 57 -

عادت قوريني إلى حكم البطالمة

عاد بطليموس واحتل قوريني بعد أن خلت هكذا من حاكمها ومن رجالها الذين كانوا يستطيعون حمل السلاح. ولو أننا لا نعرف التفاصيل الخاصة التي إما سبقت هذه الحملة وإما صاحبتها، فلا شك في أن المنطقة آلت إلى سلطة بطليموس بعد موت أوفللا مباشرة. فكما أننا نظن أن أحوال القورينيين في ذاك الوقت كانت خير مساعد لجيش بطليموس، كذلك قد شغل هذا الملك في السنوات التالية بأعمال كثيرة لدفع سيطرة آنتيغون العارمة حتى أنه لم يبق من الوقت ما يسمح له بإنجاز أعمال أخرى في يسر واطمئنان. أضف إلى هذا ما ينبؤنا به سويدا من أن بطليموس، بعد أن نصب لئونيداس على بلاد الأغريق انتقل إلى مصر واستولى على ليبيا بأسرها بعد قتل آغاتوكليس لأوفللاس. بيد أن في العام الأولمبي 118,1، أي في نفس العام الذي قتل فيه أوفللاس قام بطليموس بحملته على بلاد الأغريق. ويبدو أن باوزانياس غير متفق مع هذا التاريخ فهو يسجل هذه الوقائع في زمن لاحق بعد معركة أيسوس [1]. ولكن هذا المؤرخ الذي لم يضع كتابه بغرض تحديد التواريخ تحدث احتمالا عن الوقائع المذكورة في ذلك السياق حتى يتسنى له عرض الصراع بين بطليموس فيلادلف و ماغاس. وقد عالج فعلا قصته الصراع بإسهاب لم يرد مثله عند الكتاب الذين وصلتنا مؤلفاتهم .

وقد أعاد ماغاس القورينيين إلى جادة الصواب ويجدر بنا البحث في أصله لما بلغه من نفوذ كبير فيما بعد لدى القورينيين. ولد ماغاس في أسرة مغمورة من والد اسمه فيليب من مقدونيا ومن والدة اسمها برنيق. وقد صاحبت برنيق أوريديكه إبنة آنتيباتروس [2] إلى مصر لزفها زوجة لبطليموس. وقد أعجب الملك بجمال برنيق كثيرا فتزوجها فورا فتبوأت مكانة عظمى بين زوجاته الأخريات. ولما دنا أجله عين ابنه الأصغر منها خليفة للملك. ولما كان لماغاس خطوة كبرى لدى بطليموس بسبب

مكانة والدته لديه، عين قائدا للجند وتمكن دون صراع خطير من ترويض القورينيين كما يبدو.

وكان لا بد لهذا الاتصال الوثيق الذي ربط من هذه الفترة فصاعدا بين قوريني ومصر وخاصة الاسكندرية أن يؤثر تأثيرا كبيرا في تبديل حالة تلك المدينة بأشكال مختلفة. كان بطليموس الأول ملكا ممتازا معروفا برويته وحكمته، كرس نفسه لخير المنطقة التي كان يحكمها. وأسس في الاسكندرية مركزا للدراسات وللتجارة. فمن الطبيعي أن يفكر في شئون قوريني التي كان يوجد بها جزء هام من مملكته. ويلاحظ أن القورينيين لم يخضعوا لحكم بطليموس الحكيم والأبوي إلا لنصف المدة التي مارس فيها في حكمة واسعة الحكم على مصر. أما فيما يخص الإدارة الجمهورية، التي يبدو أنه لم يطرأ عليها أي تغيير، فيعرف أنها كانت موكولة إلى وال من أقارب الأسرة المالكة. وكان يحكم أيضا المنطقة بين مصر وقوريني. وسنعالج نمو الدراسات الأدبية بقوريني من هذا الزمن فصاعدا وتبدل ظروف التجارة القورينية بعد تأسيس مدينة الاسكندرية، فيما سيأتي من الكلام .

هوامش الفقرة (57)

(1) معركة أيسوس: وقعت عام 333 ق.م. انتصر فيها الإسكندر الأكبر على دارا الثالث الفارسي .

(2) آنتيباتروس: قائد مقدوني حكم مقدونيا في غياب الإسكندر الأكبر في حملته على آسيا، وأخضع الاثينيين في ثورتهم بعد موت الإسكندر.

- 58 -

مستوطنون يهود يؤتى بهم إلى قورينايا

بناء على أوامر من بطليموس استقر كثير من اليهود بقورينايا، الأمر الذي ساهم في بث الاضطراب في حالة البلاد الداخلية عوضا عن دعمها. والظاهر أن الملك كان يرمي بهذا التهجير إلى توطيد ملكه عن طريق مزج المواطنين في مختلف المناطق الخاضعة له. والواقع أنه لم يكن في أي بلد آخر، باستثناء فلسطين، جاليات كبرى من اليهود مثلما كان في قورينايا ومصر. وقد ازداد عددهم بسرعة لا تصدق في هذا البلد. وقد ازداد زيادة أخرى فيما بعد عندما هرب كثير من اليهود من مصر ومن فلسطين نفسها على أثر حملة آنتيوك أبيفان على أماكنهم المقدسة. سكن اليهود في كافة مدن قورينايا وقد حصلوا على المساواة في الحقوق المدنية مع الأغريق لما كانوا يتمتعون به من حظوة عند الملك. وهكذا كان هناك، على الأقل في الأزمنة المتأخرة، طبقة رابعة يهودية، فضلا عن طبقات المواطنين الثلاث. ويتضح من كتابة منقوشة وجدت ببنغازي بأنه كان لليهود قضاة خاصون بهم في تلك المدينة كما كان الأمر بالاسكندرية وغيرها وكان عددهم تسعة. وكانت توجد كذلك أحوال شخصية يهودية. ولكن ليس من شك في أن اليهود قد قبلوا في قورينايا بأسرها بالتساوي في الحقوق والحرية. وهم لم ينسوا قرابتهم بيهود فلسطين فأسسوا بيعة خاصة بهم بأورشليم وجمعوا فيها كنزا مقدسا مما ينبيء بحالتهم المزدهرة. ويعلم الجميع أن الفتنة اليهودية الخطيرة التي قامت في عهد ترايان بدأت بقورينايا ومنها انتشرت. ورغما عن أنه حلت بهم في تلك المناسبة هزيمة نكراء ظلت بقايا الجالية اليهودية موجودة حتى الأزمنة المتأخرة. وكان يوجد منها عدد كبير جدا في عهد جوستينيانوس بهذه الأرض وكانت لهم بقرب بنغازي بيعة فاخرة كان أسسها، كما كانوا يروون، الملك سليمان. وفي زمن أبي الفداء [1] كان يعيش بطلميطه عدد غير قليل من اليهود (فهو يقول أن عددهم كان أكبر بكثير في الماضي). واليوم كذلك يوجد كثيرون منهم ببرقة. ولا ريب أن قورينايا لم تستفد إلا قليلا من هذا الاستيطان الجديد. فهذا المزيج من الأجناس كان في الواقع

وبالضرورة مثبطا للهمم ومانعا لتفتح عبقرية الأمة وظهور مبادراتها ظهورا حرا. والشعب الذي ازداد عددا بهذه الصورة وكان يتطلع إلى تطورات جديدة على الدوام، لم يكن يتمتع ولم يكن قانعا بحالة من الهدوء المدني بل كان يضاعف أسباب الحركات الثورية الداخلية.

هوامش الفقرة (58)

(1) أبو الفداء إسماعيل ابن على عماد الدين (1273 – 1331) مؤرخ وجغرافي عربي ولد بدمشق.

- 59 -

فترة حكم ماغاس

(308 – 258)

وفي ما تقدم من هذه الكفاية. كان يدير قوريـنايا ولاة مثـلها مثل الولايـات الأخرى الخاضعة للبطالمة خارج الأراضي المصرية. أقدمت أذن برنيق والدة ماغاس، صاحبة النفوذ الأكبر لدى زوجها بطليموس، على اقتراح أبنها ليكون واليا على هذه المنطقة بمجرد أن تم الاستيلا على قوريني. وضمت إلى ولايته المنطقة الليبية الواقعة بين قوريـنايا ومصر كذلك. ولا نعلم إلا القليل عن حالة قوريـني في أول عهد ماغاس. ولكن هناك ما يحمل على الظن بأن المهمة الرئيسية المناطة بهذا الوالي كانت إعادة إقرارا بسلم العام الذي أصبح أمنية يتطلع إليها الجميع. كان ماغاس رجل حرب ولكنه برهن على دهاء ودماثة أخلاق وتسامح. ورغما عن أنه لم يكن من رجال الأدب فقد عمل، كما فعل بطليموس من قبله، على إنشاء مركز هادئ ومأمون للدراسات الأدبية. فثيودوروس القوريـني ذاك، الملقب بالملحد، والذي قام بسفارة من بطليموس إلى ليزيماقوس (1) إنما عاد إلى مسقط رأسه بعد أن كان طرد منه، في عهد ولاية ماغاس وقد بلغ مكانة شرف كبرى لديه لمدة طويلة.

يبدو أن ماغاس حكم قوريـنايا باسم بطليموس الأول حتى وفاة هذا الأخير. ولما خلف هذا الملك على عرش مصر أخوه بطليموس فيلالفوس ابن بطليموس من برنيق فكر في تولي حكم قوريـنايا حكما مباشرا، يدعمه حكمه الطويل للولاية وتدفعه روح القوريـنيين السياسية القلقة واعتماده على قرابته بأنتيوك الأول ملك سوريا إذ كان تزوج من ابنته آبامه (المولودة من ستراتونيكي ابنة ديمتريوس بوليوركيتيس). وفعلا عمد إلى نزع المنطقة من سيطرة أخيه واتخذ لنفسه سلطة الملك. وقد وصلت إلينا قطعة نقود ضربت في عهده ونشرها بلليوس نقش عليها صورة رأس ماغاس مذيلة باسمه ومنها يستشف أنها أعدت بعد تمرده وإعلان نفسه ملكا. وليس واضحاً ما إذا كان ماغاس قد تمرد فور اعتلاء بطليموس فيلادلفوس

العرش أو بعد ذلك. ولا يمكن الاستنتاج من ذكر تيوتريتوس [2] لليبيا ضمن المناطق الخاضعة لبطليموس بأن القورينيين أيضا كانوا خاضعين للملك لبعض الوقت، ذلك لأنه يبدو أن اسم ليبيا كان يستعمل للدلالة على المنطقة القريبة من مصر. ولعل هذا الشاعر كان يعني آخر عهد بطليموس عندما عاد القورينيون، كما سنرى، إلى الخضوع للحكم البطليمي، هذا إذا سلمنا بأن ثيوقرنينوس قد شمل قوريني أيضا بذلك الاسم.

وبعد أن استولى ماغاس على الحكم لم يعد قانعاً وفكر في خطط أكثر عظمة – ولكي يتلافى حركات أخيه ضده جهز حملة على مصر. وقد برهن في هذه الحملة على أنه قائد محنك إذ أنه تمكن من حفظ أراضيه في أمن من إغارات العدو ولو أنه لم يحتل أراضي جديدة. ولما كان متيقظا بطبيعة القورينيين القلقة ترك وراءه في قوريني حامية عسكرية وخزن كافة الأسلحة في القلعة وهدم الأسوار الدفاعية حتى لا يتمكن المواطنون من العمل لثورة. وتقدم جيشه فاحتل باراتونيوم [3] وهي قلعة مصرية محصنة ضد القورينيين. وتوغل بخديعة بعد ذلك في الأراضي المصرية حتى بلغ الاسكندرية. أما أنه كان لديه جند كثير فيبدو من أن بطليموس لم يواجهه بل حصن مداخل مصر بأعمال دفاعية شتى كما لو كان عازما على انتظار عدوه هناك. ولكن بلغ ماغاس أثناء ذلك أن رعاياه المارماريين كانوا قد تمردوا عليه فرأى ألا يحارب على جبهتين فعاد أدراجه. ولم يستطع بطليموس تعقبه لأنه كان مشغولا بمقاتلة الغال وجنود أجانب آخرين بلغ عددهم أربعة آلاف كان جندهم لمحاربة ماغاس ورد عاديته. فكان هؤلاء الجنود يحاولون استيلاء على مصر فشغل الملك بإخماد فتنتهم.

ولكن لم يتخل ماغاس عن خطته فحمل حماه آنتيوك سوتر على نقض مواثيقه مع بطليموس وغزو مصر. ولكن بطليموس تلافى الأمر وبدأ من تلقاء نفسه الحرب مع سوريا. ولما كان ملك سوريا في حرب لم يجرؤ ماغاس على الحركة. وأخيرا انتهى النزاع بخطبة برنيق ابنة ماغاس الوحيدة وخليفته على عرش قورينايا ببطليموس ابن فيلادلف.

ليس من السهل تحديد زمن حرب ماغاس مع أخيه. فجميع المؤرخين الحديثين تقريبا يرجعونه إلى السنوات الأخيرة لملك ماغاس. ولكن يبدو أن هذا الرأي لا يتفق مع الواقع. فقبل كل شيء لا يصدق أن يقدم ماغاس الذي حكم قوريني لمدة أربعين سنة على حرب في سن متقدمة. وثانيا يشهد آغاترشيديس (4) بأن ماغاس لم يخض أي حرب في سنوات حكمه الأخيرة، ولا يمكن رفض قول آغاترشيديس لأنه كان معاصرا لماغاس ولأنه لا تتوفر لدينا أخبار أخرى أوثق. صحيح أنه يمكن معارضة هذا الرأي في شيء من الاحتمال بملاحظة كيف أن ابنة ماغاس برنيق وابن بطليموس لم يتزوجا إلا بعد وفاة ماغاس نفسه مع أن هذا حكم مدة طويلة بعد انتهاء الحرب. ولكن يبدو أن في زمن ترتيب هذا الزواج كانت إبنة الملك في سن الطفولة. ومن المحتمل أن الملك لم يرض على ماغاس إلا في نهاية ملكه ولو أنه لا يتبع هذا أن الحرب دامت حتى ذلك الزمن. واستنادا على هذه الآراء أننا نخمن بحق أن ماغاس قد بدأ الحرب في عام 280 ق.م. أي بعد مستهل حكم بطليموس الثاني بوقت قصير.

وقد عاش ماغاس أيامه الأخيرة في دعة وسلام وقد انغمس في حياة الترف حتى أنه أصبح يعاني من سمنة بالغة ولا يقدر الحركة واستمر في ملء بطنه بشتى أنواع المأكولات إلى أن مات مخنوقا بشحمه. ولم يبتعد في هذا عن بطليموس فيلادلفوس أخيه من أمه وقد سرى في عهده إلى البلاد ذلك الترف المفرط الذي قضى على أسرة البطالمة. مات مغاس في عام 258 ق.م. ولكن يجب عد هذه السنوات من عام 308 أي منذ أن ولاه أبوه على المنطقة. ويؤيد جوستينوس هذا التاريخ ويقول أن ماغاس توفى في نفس الوقت الذي أعيد فيه الاسكندر ابن بيرهو إلى الأبيروس بمساعدة الأكارناني بعد أن حرمه ديمتريوس ابن آنتيغونوس غوناتا من الملك.

هـوامش الفقرة (59)

(1) ليزيماقوس: أحد قواد إسكندر الأكبر ثم تولى ملك تراكيا وملك مقودنيا. قتل في عام 281 ق.م.

(2) تيوقريتوس: شاعر أغريقي ولد بسراكوز عام 315 ق.م. ومات عام 250 ق.م. مبتكر شعر الرعاة.

(3) باراتونيوم: الاسم القديم لمدينة مرسى مطروح المصرية.

(4) آغاتريشيدس: مؤرخ وجغراي أغريقي عاش في زمن بطليموس فيلومتور وحلفائه. كتب بحثا عن " آسيا " وآخر عن " أوربا " وثالثا عن " البحر الأحمر "، وكتب عن الشعب الأثبولي والصابئين ووصف بصفة خاصة طريقة استخراجهم الذهب من المناجم وصيد الفيلة.

- 60 -

حادث ديمتريو

لما مات ماغاس أصبحت ابنته برنيق خطيبة ابن بطليموس الوارثة الشرعية للملك. بيد أنه قبل أن يقترن الخطيبان اضطربت دولة القورينيين بخلافات جديدة. ولا تتوفر لدينا أخبار عن الأحداث التي وقعت بعد وفاة ماغاس مباشرة إلا من جوستينوس وحده. وهناك صعوبة نشأت عن أن باوزانياس يسمي زوجة ماغاس بآبامه في حين يسميها جوستينوس بآرسينو، لكن هذه الصعوبة تذلل بسهولة إذا سلمنا بأحد أمرين: إما أن ماغاس تزوج بآرسينو بعد موت آبامه وهو أمر يبدو محتملا، فيكون ماغاس قد خاض الحرب ضد بطليموس فيلالفوس في سنوات حكمه الأولى، وإما أنه حدث التباس في الاسمين بحيث أن آرسينو جوستينوس وآبامه باوزانياس كانتا نفس الشخص – ورغما عن أنه لا يبدو واضحا ما إذا كانت آرسينو تختلف عن آبامه أم لا، فلا شك في أن هذه الأخيرة كانت والدة برنيق – وقد حاولت برنيق بعد زوال ماغاس بموت فجائي الامتناع عن زواج رتب لها رغما عن أنفها. ويبدو أنها كانت تتجه هذا الاتجاه مدفوعة من جهة بما ورثه أنتيوقوس الثاني أخوها وملك سوريا من عداوة من والده كانت نارها مازالت تستعر، ضد بطليموس فيلادلفوس ملك مصر، ومن جهة أخرى برغبتها نقل عرش قوريني إلى صهرها. ولعلها كانت تأمل فضلا عن ذلك في أن تستطيع الاحتفاظ بسلطتها مع ملك لقوريني يكون صهرها ومن اختيارها، بصعوبات أقل مما لو ألحقت قورينايا بمصر.

وبما أنها كانت تعلم أن القورينيين لم يكونوا يميلون إلى قبول السيطرة المصرية يبدو أنها كانت تعتمد على تأييد الشعب لها. وعليه بعثت برسل يدعون ديمتريوس أخ انتيغونوس غوناتا من مقدونيا إلى الزواج منها وإلى تولي عرش قوريني. وكان هذا ابن ديمتريوس بوليوركيت وبطولومايس زوجة ديمتريوس الأخيرة وإبنة بطليموس لاغوس وأوريديكه، أي أنه خال آبامه ووالد أنتيغونوس الثاني ملك مقدونيا. فقبل ديمتريوس العرض وخف إلى قوريني وحصل على الملك كما يبدو.

ولا شك في أن ديمتريوس هذا كان هو نفس الشخص الذي أولع به الفيلسوف آركيسيلاو على ما جاء في رواية ديوجنيس لائرتسيوس [1]. والواقع فضلا عن أن لائرتسيوس يذكر بصورة عامة شخصا يدعى ديمتريوس " ركب البحر إلى قوريني " مما يثبت أن الأمر كان معروفاً لدى الجميع، هناك معلومات أخرى تتفق على هذه النقطة. ففي الوقت الذي قبل فيه آنتيغونوس غوناتا استلام الاثنين المحاصرين وأقام حامية في المدينة، وذلك قبل وفاة ماغاس بقليل كما يبدو، وعندما اعتلى آنتيغونوس عرش مقدونيا بصورة مستقرة، ذهب آركيسيلاو في سفارة إلى هذا الملك وفي هذه المناسبة صادق ديمتريوس كما يبدو.

ولكن ديمتريوس لم يحتفظ طويلا بملك حصل عليه بقليل من العناء. والواقع أن جماله الذي كان عرضه في وطنه لرغبات آركيسيلاو كان وبالا عليه في قوريني أيضا. فقد شغفت به الملكة الأم الأرملة فأخذه الزهو وبدأ متكبرا متعجرفا منذ البداية بين أعضاء الأسرة المالكة وأهمل خطيبته فجر على نفسه حقد الشعب والجنود. وعليه، وقد ثارت نفوس الجميع على ابن بطليموس هذا، دبرت مؤامرة اشتركت فيها برنيق كذلك فقتل بين يدي الملكة الأم. ليس في إمكاني تحديد الفترة التي حكم فيها ويحتمل أن تكون الفترة قصيرة إذ لم يكن قد تزوج من برنيق كما يبدو.

هـوامش الفقرة (60)

(1) ديوجينيس لائريتوس: مؤلف أغريقي برز احتمالا في عهد الإمبراطور اسكندر سيفروس (222-235). أعماله تختص في تراجم الفلاسفة الأغريق وأقوالهم.

ـ 61 ـ

استعاد ملوك مصر سيطرتهم على قورينايا

ولما شغر عرش قوريني مرة أخرى تزوجت برنيق من ابن بطليموس فيلادلفوس تحقيقا لمشيئة والدها الراحل ولرغبة الشعب. أما أن برنيق زوجة بطليموس الثالث كانت إبنة ماغاس نفسه فبرهن عليه رواية جوستينوس وشهادة ساتيروس (وهو ثقة فيما يخص هذا الجزء إذ أنه عاش بعد هذه الفترة بقليل) وبوليبيوس وستيفانوس [1]. ويضاف إلى ذلك أن أوسبريده المدينة القورينائية التي حصنتها برنيق زوجة بطليموس قد أبدلت إسمها باسم هذه الملكة. وفضلا عن ذلك فإن برنيق إبنة ماغاس التي ذكرها آبوللونيوس هيروفيلوس [2] في كتاب " العطور " على أنها الملكة التي كان ينتج في عهدها عطر ورد جيد جدا هي نفس الشخص ولا شك. وأخيرا قد رزق بطليموس الثالث وبرنيق بابن سمياه ماغاس مما هو نوع من الدليل على أن قريبا لهما يحمل هذا الاسم. وعليه فإن ما ذكره هيجينيوس [3] أو من كان مؤلف الملحمة الصغيرة في الأفلاك، من أن برنيق كانت زوجة أورجتيس وابنة بطليموس الثاني وآرسينو فأمر خاطئ بوضوح. وعليه فهذه كانت برنيق، الرابعة من ربات الظرف، تلك التي كرست شعرها لفينوس والتي أدرجها قونون الفلكي بين النجوم وتغنى بها خاليمقوس وكاتوللوس [4] في قصيدة رائعة. وتفسر إشارة كاتوللوس إليها بأخت أورجتيس بلقب " الأخت " الذي أطلقه عليها خاليمقوس كما ورد في المنقوشة التي نشرها ليترون. وكانت العادة جارية في الواقع بتلقيب زوجات البطالمة بالأخوات تشريفاً لهن. وهكذا وقع هيجينيوس في الخطأ عندما فسر الكلمة التي وجدها لدى خاليمقوس تفسيرا حرفيا.

لما اعتلى بطليموس زوج برنيق عرش مصر ضمت قورينايا إلى مصر. ويبدو أنه يمكن استنتاج أن زفاف بطليموس ببرنيق قد حدث في هذه الفترة تقريبا من كاتوللوس (وقد حذا حذوه خاليمقوس المؤلف المجد الذي كان على علم بالأمر ولا شك) فيقول كاتوللوس إذن أن برنيق ما كانت تتزوج حتى شرع بطليموس في حملته على

سوريا – ويجب فحص حجج شامبوليون فيجاك [5] في هذه النقطة بعناية، إذ أنه يفكر في أن الزواج قد تم في عام 270. وإذا ما ثبت هذا فإن عرضنا برمته يكون متناقضا. فهو يرجع بادئ ذي بدء إلى سويدا الذي يقول بأن خاالليمقوس عاش حتى عهد بطليموس اورجيتيس أي حتى الدورة الأولمبية 127 وفي عامها الثاني تولى هذا الملك مقاليد الحكم. وهو يلاحظ بحق أن هذا التأريخ، إذا ما نسب إلى زمن تولي بطليموس أوجيتيس عرش مصر، لا يتفق مع الواقعة الأخرى المجمع عليها، أي أن بطليموس فيلادلفوس حكم لمدة ثمان وثلاثين سنة. وإذا قبلنا قول سويدا فلا تبقى في الواقع إلا فترة 14 سنة. وعليه يعتقد شامبوليون فيجاك أن سويدا إنما سجل الزمن الذي اعتلى فيه أوجيتيس عرش قوريني. وهذا أمر كان يهمه إبرازه لأنه يذكر قبل ذلك بقليل أن خالليمقوس كان قورينيا. ولكن يجب تفسير كلمات سويدا (الذي لم يسجل هذه الأمور إلا لأنه يتحدث عن خالليمقوس المعاصر لبطليموس فيلالفوس) على أنها منسوبة إلى أول عهد المملكة المصرية وإلا فلا يستقيم المعنى. وعليه فإنه من المحتمل أن يكون سويدا قد وقع في هفوة في هذا المجال خاصة وأنه من المعروف عنه أنه لم يجد في العناية بمصادره. وفضلا عن ذلك، إذا لم ننقص من مكانته وقبلنا أنه كان يتحدث عن قوريني لا عن مصر فإننا نقع في مصاعب غير قليلة. أما أن خالليمقوس كان حيا في الوقت الذي اعتلى فيه بطليموس اوجيتيس عرش مصر فإنه يبدو واضحا من القصيدة التي كتبها في شعر برنيق. وهذا لا يتفق مع ما أثبتناه عن فترة حكم ماغاس. فلم تعد موثوقاً بها. إذن الحجج التي يبدو شامبوليون فيجاك يريد بها تأكيد رأيه. فهو يخمن أن وفاة ماغاس يجب إرجاعها إلى عام 270 ويعتقد أن هذا التاريخ يتوافق تماما مع عهد آنتيغونوس غوناتا الذي دعي أخوه إلى قوريني ومع عهد آنتيوقوس سوتر الذي لجأت إليه أمرلة ماغاس. ولكننا قد سبق وأن ذكرنا أن ديمتريوس قد جاء إلى قوريني على ما يبدو بعد احتلال آنتيغونوس غوناتا لآثينا. وعما قليل سنرى ما يمكن استنتاجه مما قيل عن لجوء آبامه إلى سوريا. ولا ينبغي الإسراف في تقدير اعتراضات العلامة نفسه والحط من شأن قول آغاترشيدس من أن ماغاس قد مات، كما قال جوستينوس، في الوقت الذي استنجد الإسكندر بن بيرهوس بالآركانيين (وبما أن ذلك قد تم بعد عام 270 على الأقل فإنه يتعارض مع نظريته) ومن أن الاسكندر قد توفى

بعد عام 270 بسنوات. ولكن الاسكندر قد توفى بينما كان ديمتريوس الثاني ملكا على المقدونيين. ويروي باوزانياس من ناحية ثانية أن انتيوقوس الأول عندما تلاشى الاستعداد لمحاربة مصر، عدل عن كل مشروع في هذا الاتجاه، وعليه فإن الحرب التي نشبت بين فيلادلفوس وملك سوريا لا بد أنها حدثت إبان حكم آنتيوقوس الثاني. وماذا إذن يمكن استنتاجه من كل هذا؟ اعترف بأنني لا أدري. ولكنني سأبرهن عما قليل على أن الحرب بين بطليموس وآنتيوقوس الثاني يجب في آخر الأمر اعتبارها من الأمور التي لا وجود لها. وعليه يجب أن لا ننقاد إلى الخطأ في طريق تخمين شامبوليون فيجاك المبهم هذا .

هذا ولا يبدو مقضيا لنا عن غايتنا أن نفرد بعض العبارات لخطأ شائع جدا بين المؤرخين، وهو خطأ يخص تاريخ قوريني نوعا ما. إننا لا نعلم شيئا عما حل بآبامه (أو آرسينو) بعد مقتل ديمتريوس. ولكننا اطلعنا في كتب تاريخ المؤلفين محدثين قولهم بأنها لجأت إلى سوريا أو أرسلت إليها وهناك أثارت الحرب بين أخيها آنتيوقوس الثاني وبطليموس فيلادلفوس. وبما أن هذا لا يستند إلى نص عن مصدر قديم ولا يمن التوفيق بينه وبين التفسير الذي وصلنا إليه بقدر الامكان على أساس شهادة مؤلفين يوثق بهم فإننا نستحسن فحص شتى الروايات التي أوردها أولئك المؤلفون فحصا دقيقا.

تروي كثرة بأنه بعد أن تزوج بطليموس ببرنيق أعيدت آبامه إلى سوريا حيث حرضت أخاها على محاربة مصر، وقد نشبت الحرب بين عام 255 وعام 249 أو بين عام 251 وعام 247. ولكن هيرينوس رغما عن إيراده نفس النص خالف الآخرين فذكر أن آبامه كانت لجأت إلى أخيها آنتيوقوس الثاني [illegible]فلات من الزواج الذي كان ماغاس وبطليموس فيلادلفوس اتفقا عليه وبأن آ[illegible]س قد أعلن الحرب على بطليموس لتأكيد مطالبته بعرش قوريني. وقد ناقض ا[illegible]ب نفسه في ذلك لأنه يعين لهذه الحرب أعوام 260-252 تارة ويعين تارة أخرى تاريخا لها يقع بعد وفاة ماغاس. وهذا كله يختلف عن رواية جوستينوس التي يتضح منها أن والدة برنيق كانت بقوريني عند وفاة ماغاس وحاولت طرقا أخرى للحيلولة دون زواج ابنتها.

ويتصور آخرون أن آبامه تزوجت من ديمتريوس وأن بعد موته ذهبت إلى أخيها آنتيوقوس الثاني وأثارت الحرب في عام 260. ويروي شامبوليون فيجاك أن آبامه بعد أن عادت إلى أبيها آنتيوقوس الأول حاولت سدى دفعه إلى الحرب وأن في النهاية حصلت من أخيها آنتيوقوس الثاني موافقته على الشروع في الحرب.

ولكي لا نبطيء كثيرا في سرد هذه الروايات ودحضها، حسبنا أن نذكر أنه لا يمكن إيراد مصدر يوثق به لا فيما يخص الحرب ولا فيما يخص الأسباب التي نشبت من أجلها. بل على نقيض ذلك يبدو أن برنيق قد تزوجت من بطليموس أورجيتيس قبل نشوب الحرب المعروفة بينه وبين سيلوقوس كالينقوس [6] بقليل هذا إذا جاز لنا الاستشهاد بكالتولوس. على أنه من المؤكد أننا لا نعلم عن أية حرب أخرى بين بطليموس الثاني وسوريا إلا الحرب التي أثارها ماغاس، على أساس مصادر تاريخية موثوق بها. وإذا لم أخطيء ليس في إمكاننا ذكر أي مؤلف قديم فيما يخص حرب خاضعها الملك نفسه في وقت لاحق سوى القديس جيرولاموس الذي يروي على حد قول بورفيريو [7]: " أن آنتيوقوس ثئوس قام بحروب كثيرة ضد بطليموس فيلالفوس وأنه حارب على رأس كافة جيوش بابل والشرق ". ولكن ليس في هذا القول أي ذكر لآبامه التي كانوا يتصورون أنها المحرضة على الحرب. ولكن من المحتمل أن يكون ابن آنتيوقوس الأول قد استأنف الحرب التي كان أبوه بدأها أو أن رواية بورفيريو قد جاءت من ظلام مذكرات ذلك الزمن. أني أخشى إذا نحن قبلنا هذه الرواية التي شهد بها بورفيريو وحده أن نمنح هذا المؤلف ثقة زائدة وهو الذي كثيرا ما يخالف في إيراده لروايات القديس جيرولاموس روايات أخرى أكثر ثقة. وعليه اعتقد أنه يجب اعتبار الرواية محض اختلاف، مما كثيرا ما يشوب الروايات القديمة لسوء الحظ أو يجب على الأقل عدم تميز الحرب المذكورة عن الحرب التي ذكرها باوزانياس .

في هذا كفاية. إننا لم نبطيء كثيرا ولنعد إلى قصتنا. لا يوجد نص صريح عن أن قوريني ألحقت بمصر عندما نال بطليموس الثالث على حكمها، ولكن ليس هناك سبب للشك في ذلك. صحيح أن منقوشة آدوليس تذكر ليبيا بين الأقطار

التي ورثها بطليموس أورجيتيس ومن المحتمل أن هذا الاسم يشمل قورينايا أيضا التي حصل عليها والده بجهوده لا بقوة السلاح، ولكن لا نعلم شيئا يركن إليه في الموضوع. ولكننا إذا علمنا أن هذا القطر كان خاضعا لمصر في عهد فيلوباتور وأن برنيق ابنته أورجيتيس قد بذلت نشاطاً كبيراً في العناية بوطنها، فإن كل شك لدينا يتبدد. وإننا لنشك فيما رواه خاليمقوس في أن سكان أوسبيريدس خضعوا لسطان بطليموس طواعية. بل نرى أنهم حملوا السلاح ضده، إذا اعتبرنا أن برنيق قد أطلقت اسمها على المدينة وقررت ترميمها وإعادة بنائها. ولعل ذلك لأن المدينة كانت في هذه الفترة متدهورة ومصابة بأضرار بالغة. ولكننا على كل حال لا نعرف نوع الإدارة التي كانت قائمة في المنطقة .

هوامش الفقرة (61)

(1) ستيفانوس البيزنطي: مؤلف قاموس جغرافي عاش في القرن السادس الميلادي. يتضمن القاموس أقوال الكتاب الأقدمين وتفاصيل تاريخية .

(2) آبوللومينوس هيروفيلوس: طبيب مشرح أغريقي عاش في القرن الثالث ق.م. له دراسة هامة بالنسبة لزمنه على العين والكبد والبنكرياس وغيرها. وله تعليقات على أعمال هيبوقراط. وبحثا عن الموت المفاجئ .

(3) هيجينوس غايوس يوليوس: مؤلف لاتيني أعمال تشمل تراجم ووصف جغرافي للأماكن، وكتاب يحتوي على 300 حكايات خرافية وكتاب في علم الفلك .

(4) كاتوللوس غايومس فاليريوس: من فحول الشعراء اللاتين ولد عام 87 وتوفى عام 54. كان ينسج على طريقة المدرسة اسكندرية، ترك مجموعة من الأشعار الغنائية .

(5) جان فرانسوا شامبوليون: ولد نيجاك (فرنسا) عام 1[illegible]90 وتوفى عام 1832. عالم أثري فرنسي، إليه يرجع فضل حل لغز الأحرف الهيرو[illegible] المصرية .

(6) سيلوقوس كاللينيقوس: ملك سوريا، حكم بين 246 و [illegible]

(7) بورفيريو بومبونيوس: نحوي لاتيني عاش في القرن ا[illegible]ـسي. شرح أشعار هوراس من حيث النحو والبلاغة فيها .

- 62 -

اكديموس و دموفانيس
والدستور القورينائي لعام 230

ومهما يكن من أمر فقد استمر القورينيون على استعمال قوانينهم إما بفضل الملكة برنيق أو بقرار بطليموس نفسه الذي كان يحاول استمالة نفوس أهل المدينة المشاغبين. وبعد تولي بطليموس الثالث الحكم بفترة وجيزة وجدوا أنفسهم في مصاعب داخلية فاتجهوا لأكديموس ودموفانيس وهما من مدينة ميغالوبوليس وتلميذان للفيلسوف آركيسيلاو وكانا اشتهرا في علم الإدارة المدنية والسياسية على ضوء المبادئ الحديثة في ذلك العهد. وكانا برهنا على عداوتها للاستبداد (وكانا عانا المنفى بسبب ذلك) وذلك بعملهما لتحرير وطنهما من حكم المستبد. وكانا ساعدا آراتوس [1] بالرأي وبالفعل على طرد نيقوقلس حاكم سيسيون المستبد. ولا عجب بعد كل ذلك أن يذيع صيتهما في بلاد الأغريق بأسرها. ولهذا السبب اتجه القورينيون، الذين كانوا استعانوا بدموناكس قبل ذلك لتنظيم إدارتهم، اتجهوا إليهما وهما المواطنان الشهيران ومن صميم الأمة الأغريقية. ولم يتمتع الرجلان هذان اللذان اشتركا في كل ما كان يمكن أن يعود بالخير على سلامة الأغريق (وقد حذا حذوهما ... تلميذهما فيلوبيمينيس الذي قاتل مرتين لفائدة الكريتيين) من الاستجابة إلى طلب دولة غظيمة. وما أن وصلا إلى قوريني حتى أقرا الهدوء العام والاستقلال المدني. ولكننا لا نعلم شيئا عن الصورة التي تم بها وضع الدستور القورينائي. على أن بوليبيوس تحدث عن دستور حر وعن حرية أنقذت، مما يجعلنا نفكر في أن سلطة الشعب أصبحت واسعة جدا. إننا نعتقد في أنهما مكثا فترة وجيزة بقوريني ورغما عن أن بوليبيوس يشير إلى أنهما أشرفا على جهاز الدولة وعملا على صيانة الحرية مدة أطول، من المحتمل أنه إنما كان يقصدان بعملهما قد أعيد بناء الجمهورية بطريقة أفضل. أما أن الجمهورية لم تكن حرة تماما بل خاضعة في هذا الزمن لسلطة البطالمة فقد ظهر مما ذكر وسيظهر مما سيذكر. والواقع

أنه لا يمكن الشك كثيرا في زمن اكريموس ودموفانيس، فقد كانا تلميذين لآركيسيلا ومعاصرين لآراتوس وقد عهد بتربية فيلوبيمينس إلى عنايتهما. وأن ترتيب الحوادث كما ذكرها كل من بوليبيوس وفلوتارخ يدفع إلى التفكير في أنهما ذهبا إلى قوريني بعد أن حرر آراتوس بكل بسالة سيسيون. وبما أنهما كان مربيين لفيلوبيمنيس الذي قاتل في معركة سالزيا، فلا شك أنهما عنيا بالاصلاح السياسي بقوريني بين عام 250 وعام 220.

هوامش الفقرة (62)

(1) آراتوس (271-263 ق.م) قائد أغريقي من مدينة سيسيون. أقام في عام 251 ق.م. جمهورية في بلده وألحقها إلى الرابطة الآكية فأصبح العنصر الفعال في الرابطة.

- 63 -

تاريخ قوريني من 220 إلى 162 غير محقق

بما أن سلطان مصر الزاهر أخذ في الانحطاط شيئا فشيئا بعد موت بطليموس أورجنيس وسادت الفوضى في عهد الثالث والرابع من البطالمة لم تنج قوريني كذلك على ما يبدو من الخلافات. بيد أن وقائع هذا الزمن غير محققة وغامضة كليا تقريبا. وليفيوس [1] وحده يقول لنا إنه في الزمن الذي ألقت عاصفة بحرية بديسيوس مايوس إلى ساحل قورينايا كانت هذه المنطقة "تحت حكم الملوك". وديسيوس هذا رجل من أهل مدينة كابوا عارض تحالف منطقة كامبانيا بإيطاليا مع القرطاجنيين فسلم إلى حنيبعل فنقل بأمره إلى قرطاجنة. ويروي ليفيوس كيف أن يسيوس احتمى بتمثال الملك بطليموس فنقل إلى الإسكندرية وسلم إلى هذا الملك فأطلق سراحه. ومن الواضح أن بطليموس هذا كان الرابع من حملة هذا الاسم وملقبا بفيلوباتور، هنا وكان حنيبعل احتل كابوا في عام 216 ق.م.

وفي عهد بطليموس أبيفانيس الذي خلف فيلوباتور في الملك جاء حنيبعل إلى قورينايا لاجئا وكان يرمي إلى تحريض القرطاجنيين على الحرب ولكنه عاد أدراجه دون أن ينال مطلبه. وكان مجيئه إلى قورينايا في عهد لوسيوس كورنيليوس وكونيتوس مينوسيوس القنصلين للجمهورية الرومانية أي في عام 193 ق.م. لكننا لا نستخلص من هذه الوقائع شيئا عن حالة قوريني.

فيبدو إذن أن قورينايا كانت تحت سيطرة نفس الملوك الذين كانوا يحكمون مصر إلى أن انفصلت في عهد بطليموس فيلومتور، الرابع في مجموعة البطالمة، فخضعت لملك قوريني فترة من الزمن. ويعلم الجميع أن مصر في عهد حكم فيلومتور كانت على وشك الوقوع تحت حكم سوريا لولا أن الرومان أرغموا آنتيقوس ابيفانس ملك سوريا وكان تغلب على مصر إلى إلقاء السلاح والاستسلام لهم. ويعلم الجميع أيضا أن فيلومتور استسلم للظروف فأشرك أخاه الأصغر أورجتيس الثاني فيسقون في الحكم. ولكن لم يلبث الأخوان أن اختصما فكلف مجلس الشيوخ

الروماني - الذي كانت سلطته على شئون مصر قد ازدادت - كلا من غنيوس اوكتافيوس وسبوريوس لوكرتسيوس ولوتشيوس آورليوس بموجب رسالة بعث بها إليهم بالعمل على تسوية الخلافات بين الأخوين ما استطاعوا على ذلك سبيلا. وكان الحكام الرومانيون هؤلاء قد أوفدوا إلى سوريا كمجلس وصاية على آنتيوقوس الخامس أوباتور الذي لم يكن قد بلغ سن الرشد ولاضعاف قوة سوريا الحربية. ولا يعلم ما إذا كان هؤلاء المندوبون قد شخصوا إلى مصر أم لا، ولو أنه يبدو من غير المحتمل أن يكونوا قد قاموا بالرحلة بعد أن قتل أوكتافيوس باللاذقية. فإذا تركنا هذا الأمر دون الوصول إلى نتيجة محققة فمن الواضح أنهم لم يوفقوا في مهمتهم، ذلك أن الحرب قد نشبت بين الأخوين فأقصى الأصغر أخاه الأكبر فيلومتور عن العرش. فذهب هذا مع عدد من عبيده في ثياب رثة (للضرورة أو لاستدرار العطف) إلى روما مستنجدا. ولما أن قارب روما ماشيا على قدميه خف ديمتريوس أخ آنتيقوس أبيفانس، الذي احتجز بروما بينما كان الرومان يحكمون سوريا كما يريدون، لاستقباله بعد أن علم بمقدمه، حاملا له مساعدة لتمكينه من دخول روما والإقامة فيها بما يليق بمقامه وبأسرته. ولكن الملك ترفع عن ذلك ودخل روما وقبل ضيافة رسام اسكندري. ولما علم مجلس الشيوخ بذلك استقبله بكل حفاوة وشرف ليستفيد، كما هي عادته، من خصومة الأخوين في دعم سلطته بمصر عن طريق مصالحتهما. والواقع قد عمل مجلس الشيوخ على إعادة فيلومتور إلى العرش وصالحه مع فيسقون على أن يتولى الأكبر عرش مصر ويتولى الأصغر عرش قوريني وليبيا .

ولا نعلم أكثر من ذلك، فقد أتلف الزمن الكتب من مؤلفات ليفيوس وتراغوس التي كانت تحتوي على أخبار القوم. ولكن نستطيع بهذه الطريقة استخلاص الزمن الذي انفصلت فيه قورينايا عن مصر. وقد حدث الانفصال، استنتاجا عن أخبار كل من ليفيوس وبوليبيوس، بعد قنصلية مرقص كلاوديوس مارشيلوس وغايوس سولبيتيوس غالبا وقبل قنصلية مرقص كورنيليوس شتيغوس أي بين عام 166 وعام 160 وبعد عام 164 بقليل وهو عام آنيتقوس أبيفانس. ويمكننا أن نخمن فضلا عن ذلك أنه حوالي عام 161 أو قبله بقليل قد اقتسم

الأخوان المملكة، ذلك لأن ديمتريوس الذي كان بروما عند وصول بطليموس إليها قد استعاد عرش أبيه بعد أن أفلت من شراك الرومان وغادر البلاد سرا في العام الأولمبي 154,4 أي في عام 161 بالذات. ونضيف إلى ما تقدم أن فيلومتور حكم ثمانية عشر عاما بعد تقسيم المملكة. وبما أنه يبدو من المرجح جدا أن فيسقون مات في عام 146 فيكون تولى عرش قوريني في عام 164. على أنه قد حصل فاصل صغير بعد موت ابيفانس وعليه تقرر أن فيسقون اعتلى عرش قوريني في عام 162.

ولرب قائل أن كل هذه الأمور لا تخص قوريني فنجيب أنه يبدو لنا من الضروري التحدث فيها بإسهاب لأن عدداً غير قليل من المؤرخين الحديثين، في معالجتهم للخلافات التي قامت بين الأخوين البطليمين، إما ينكرون احتماء فيلومتور بمجلس الشيوخ الروماني أو لا يذكرون بالمرة الصراع الذي نشب بينهما وانتهى بتقسيم المملكة. وحسبي أن أذكر بين هؤلاء المؤرخين باومغارتن (2) وخاصة شامبوليون فيجاك. وحاول هذا الأخير في شيء كثير من الغرور أن يدحض ما كتبه فايانت (الذي في الواقع له يد بيضاء في تاريخ البطالمة) عن احتماء فيلومتور بروما كما ذكر غيره من المؤرخين. ونحن لا يسعنا هنا إلا التدليل أولا على أن فايانت كان على حق ولا يستحق التأنيب وثانيا على أن شامبوليون ارتكب أخطاء خطيرة. فهو يؤاخذ إذن فايانت على استناده في استنتاجاته على :

" بورفيريو الذي لا يذكر حتى اسم فيلومتور " ولكن فايانت قد أورد هذه النتفة عن بورفيريو ليبرهن لا على أن الأخ الأكبر ذهب إلى روما بل على أنه طرد من المملكة.

" ديودوروس الذي لم يقل ما إذا كان الأخ الأكبر أو الأصغر ذهب إلى روما " (وهذا صحيح ولكنه لا يؤكد نظرية شامبوليون فيجال وسنرى قريبا أن عبارات ديودوروس لا يمكن أن تنطبق على غير فيلومتور) " والذي يؤكد بعد ذلك بقليل أن أورجيتس قد وجد نفسه منزجا في صعوبات خطيرة من جانب أخيه الأكبر ". أننا نقبل هذا كذلك ولكن هذا وقع كما سنرى في حرب أخرى غير التي نتحدث عنها. وهذا يعني أن شامبوليون لم يراع بأنه كثيرا ما يتداول العز مع البؤس.

" بوليبيوس الذي يقول عدة مرات أن الأخ ذهب إلى روما " ولقد رأينا هذا

أيضا. ولكن هل لا يجوز لنا أن نتساءل عما إذا كان الأخ الأكبر كذلك قصدها. وفضلا عن هذا فإن فايانت أورد قول بوليبيوس لا للتدليل على أن فيلومتور ذهب إلى روما (لا يقول بوليبيوس شيئا عن هذا) بل ليبرهن بهذه الشهادة على أن مجلس الشيوخ الروماني كان مشغولا بتسوية الخلاف القائم بين الأخوين عن طريق البعثة الموفدة.

" فاليريوس ماكسيموس الذي يتحدث عن بطليموس آوليتيس لا عن فيلومتور على حد أقوال معلقين يوثق بهم " وهذا كذلك غير صحيح. والواقع أن بطليموس الذي ذهب ديمتريوس لاستقباله كان من سلبه أخوه ملكه، على حد قول فاليريوس ماكسيموس، بينما غادر بطليموس آولتيس مصر لا لأن أخاه طرده بل لأن أهل الإسكندرية كرهوه. فلا يبدو السبب الذي من أجله ذهب بطليموس الذي يعنيه فاليريوس ماكسيموس منطبقا إذن على آوليتيس لأن هذا كان غنياً جداً نظراً لما بذله من مال بروما، ويجب الشك في أن مجلس الشيوخ الروماني قد استقبله بمراسم شرف حافلة .

وأخيرا يذكر شامبوليون آثينئوس مستشهداً بما أورده عن الرحلة التي قام بطليموس أوجيتيس إلى روما كما لو كان فايانت أو غيره قد أنكرها في حين أن هذا الأخير يذكر ذاتها بعد ذلك بقليل. وقد وقع شامبوليون فيجاك في ترجمته للعبارة التي أوردها آثينيئوس في خطأ مضحك عندما جعل بطليموس فيسقون يقول في تعليقه على الرحلة أنه رأى بروما طير الطاووس بكثرة عندما وصل إلى تلك العاصمة بعد طرد أخيه له. ولكن آثينيئوس، إذا لم نخطيء في قراءاتنا، لا يتحدث في هذا الموضع عن تعليق بطليموس بل إنه، بعد أن أورد عبارات بطليموس عن طير التدرج، أضاف مازحا: " ولكن لو رأى الملك المذكور العدد الكبير من طير الطاووس الموجود بروما لاحتمى بحرم مجلس الشيوخ كما لو طرده أخوه مرة أخرى "، ومن لا يفهم أن آثينيئوس إنما أراد بهذه العبارة أن يشنع في لباقة بنهم الملك وأن يشير في نفس الوقت إلى ما كاله من اتهامات وقحة لأخيه في مجلس الشيوخ، إذ أن نتهمه كان يمكن أن يجيء به إلى روما للمرة الثانية متظاهرا بطرد أخيه له ؟ .

فإذا ما اعتبرنا اعتراض شامبوليون فيجاك السام مردودا هكذا، يبقى علينا

دحض عرضه بمصادر أكثر ثقة أنه يظن أن الملك قد قسم على أثر الصلح الذي تم بين الأخوين وىنتيوقوس أبيفانس بأمر بوبيليوس ولا يميز، كما سبق لنا القول، بين فرار فيلومتور وبين الرحلة التي قام بها فيسقون لروما لتعديل الاتفاق لصالحه. ولكن يتناقض أولا مع أمر البعثة التي سافرت إلى سوريا بعد موت آنتيوقوس أبيفانس وكلفت بتسوية الخلاف بين الأخوين وثانيا لأن بوليبيوس لا يذكر بومبيليوس بين المبعوثين الذين تم على يدهم تقسيم الملك بل كانوليوس وكوينتوس. وفضلا عن ذلك لأن ليفبوس يتحدث في مكان عن مبعوثي بطليموس الذين يقدمون الشكر لأن مصر قد تخلصت من حرب آنتيوفوس بفضل عمل مجلس الشيوخ ويذكر في مكان آخر خلاف الأخوين الذي تم تسويته في روما، وأخيرا لأن كلا من تروغوس وبورفيريو يفرق بوضوح بين الأمرين .

ويبدو من هذا كله أن ديمتريوس لم يذهب لاستقبال فيسقون بل لاستقبال فيلومتور الذي كان في طريقه للاحتماء بروما. ولا يمكن فهم عبارة ديودوروس " وبعد طرد الملك بطليموس " إلا منسوبة إلى الملك المسلوب لا إلى فيسقون الذي قصد روما غير مطرود من ملكه. ويذكر فاليريوس ماكسيموس مثل ذلك (ولا أشك فيما ذكره لأنه يتفق مع ديودوروس في الشيء الكثير) عن بطليموس " المسلوب ملكه " من قبل أخيه الأصغر. يضاف إلى هذا الهيئة الرثة التي كان عليها بطليموس عند وصوله إلى روما. كما روى كل من ديودوروس وفاليريوس ماكسيموس والتي تنسجم مع حالة ملك مطرود أكثر مما تنسجم مع حالة من جاء لتجديد ميثاق سياسي.

ويبدو لنا أننا أكدنا وأثبتنا بما يزيد عن الكفاية أن تقسيم الملك لم يجيء على يد بوبيليوس وأن ديمتريوس لم يكن المستقبل لفيسقون بل لفيلومتور الذي كان في طريقه إلى روما. وياحبذا لو تمسك المهتمون بكتابة التاريخ بمبدأ شرح الحوادث لا بتشويشها.

هوامش الفقرة (63)

(1) تيتوس ليفبوس: مؤرخ لاتيني كتب تاريخ الرومان من بدايته حتى عام 9 ق.م في 142 جزءا بقي منها 35 جزءا. كان نزيها في كتبه إلا أنه تنقصه روح النقد. عاش في النصف من القرن الأول قبل الميلاد .

(2) الكسندر غوتليب باومغارتن (1714-1762): فيلسوف ألماني درس الفلسفة في جامعتي هالله وفرانكفورت. له كتب عديدة في شتى فروع الفلسفة .

(3) آثنيئوس: فيلسوف يوناني من بلدة نوقراتيس بمصر. عاش في القرن الثالث المسيحي. مؤلف كتاب " مأدبة القطائيين " يتحدث فيه عن الماضي الكلاسيكي.

- 64 -

القورينيون بين عام 162 وعام 146 ق.م

لا نعلم عن شئون القورينيين في عهد بطليموس فيسقون أكثر مما تقدم، اللهم إلا أنها كانت تتبع مصر وروما. أما أنها لم تكن حسنة ولا مزدهرة فيستنتج من أن بطليموس في أول عهد حكمه كان منهمكا في استعادة الجزء الأكبر من المملكة المصرية، مما لا يدع له الأمكان للعناية ببركات السلم. والواقع أن الرجل قد لوث نفسه بالآثام الكثيرة بعد أن ظفر بملك مصر، في الوقت الذي كان يظن فيه أنه سيتصرف بشئون قوريني بطريقة أفضل. ولا عجب بعد هذا أن تختلج الثورة في نفوس السكان .

ولكننا سنتحدث عن هذا فيما بعد. فما أن أصبح بطليموس فيسقون ملكا لقوريني حتى أقام أحد المصريين ويدعى بطليموس على رأس الحكومة وقصد روما لإلغاء القسمة التي تمت بينه وبين أخيه، غير قانع بنصيبه من الملك. ولما كان لمس ما استطاع الحصول عليه من مجلس الشيوخ بحضوره شخصيا، راوده الأمل في نيل أمنيته إذا ما تقدم شخصيا إلى المجلس. ولكن جاء إلى روما مبعوثون عن أخيه كذلك للدفاع عن قضية ملكهم فيلومتور. وطلب فيسقون أن تضم جزيرة قبرص إلى ملكه، ولكن رغما عن اعتراض مبعوثي فيلومتور الشديدة على ذلك ورغما عن مساندة كانوليوس وكونيتوس، صاحبي اتفاق التقسيم، لهم حكم مجلس الشيوخ بغير وجه حق بمنح فيسقون الجزيرة وعين كلا من تيتوس توركواتوس وغينوس ميرولا مبعوثين وعهد إليهما بمهمة إعادة الصلح بين الأخوين والإشراف على تسليم أصغرهما ملك قبرص دون اللجوء إلى السلاح. وكان مجلس الشيوخ يرمي من وراء حكمه هذا إلى إضعاف قوة مصر أكثر فأكثر في الخلاف القائم بين الأخوين. أما كون أن هذا قد حدث بعد تقسيم ملك مصر بقليل يتضح من قرار ديمتريوس أخ اتيتوقوس ابيفانس من روما بمساعدة فيللوس المبعوث الذي أوفده بطليموس فيلومتور للدفاع عن قضيته أمام مجلس الشيوخ الروماني .

ولكن فيسقون وصل إلى اليونان برفقة المبعوثين الرومانيين وجند جيشا كبيرا من المرتزقة ثم انتقل من رودس إلى القارة المجاورة للانقضاض على قبرص. بيد أن تيتوس توركواتوس أنذره بأن عمله ينافي قرار مجلس الشيوخ فانتهى في آخر الأمر بتسريح جيشه ورضي بالسفر إلى قوريني حيث يكون في انتظار توركواتوس الذي سافر بدوره إلى الإسكندرية مباشرة لحمل الأخ الآخر على تنفيذ قرار مجلس الشيوخ. وهكذا رحل فيسقون إلى كريت برفقة غينوس ميرولا المبعوث الثاني. ولكن ساوره الشك هناك في أن يوفق في تسوية الخلاف بنتيجة إيجابية بالنسبه له فعمل إلى تجنيد ألف كريتي ونزل بهم في ليبيا المجاورة لمصر وعسكر بآبيس. وانتظر هنا وصول أخيه بعض الوقت دون جدوى فأقنع غينوس مرولا بالذهاب إلى الإسكندرية معتقدا أن نفوذ المبعوثين معا سيعجل بالتأثير على نفس أخيه. ولكن بطليموس الأكبر احتجز المبعوثين بالإسكندرية وكان يسوف بكل الأعذار المصطنعة إما للحيلولة بينهما وبين تنفيذ ما كانا بصدده وإما لتأخيرهما عن السفر حتى الوقت المناسب له. ولما امتدت المدة إلى ثلاثين يوما ولم يصل أي نبأ أخذ فيسقون يشك في نجاح المهمة وحلت به في نفس الوقت مصيبة أشد وأنكى.

- 65 -

ثـورة الـقـورينيـين

ثـار القورينـيون قبل أن يختبروا قسوة فيسقون خشية منها، وقد علموا الشيء الكثير عـن مصير سكان الاسكندرية. ولم يقتصـر الأمـر عـلى المدينة بـل امتد إلى المنطقة بأسرها. وانضم الليبـيون إلى الأغـريق وقـد سـاعدهم في ذلـك نصحاً وعملاً بطليموس الذي عهد الملك إليه بالنـيابة عنه في الحكم، لما سافر إلى روما. وانتشرت الثورة بسرعة. فلم يكد يصل خبرها حتى جاء خبر آخر يقول بأن مهيجي الشعب قد جمعوا جيشا وخرجوا بـه عـلى الأريـاف .ولما وجد بطليموس نفسه في الخطر طرح مطلبه جانبا وهرع إلى قوريـني – ولكنه وجد عائقا عند عقبة كاتاباثمو التي كان الليبـيون قد احتلوها للحيطة – فأركـب نصف جيشه في البحر وتفادى بذلك ضيق الممر وأمر بمهاجمة العدو من الخلف. ولما رأى الليبيون أنهم مهاجمون من ناحيتين تـركو مراكـزهم. فخلت الطريق أمـام جيش الملك فاجتاز الصحراء حتى شارف قوريـني. ولكن القورينـيين، رغمـا عمـا حاق بهم من خطر نتيجة هزيمة حامية عقبة كاتاباثمو لم ينقادوا إلى الاستسلام طواعية – فما اقترب الملك حتى ....

....

ولعل بولينتوس يعني في كتابه الثامن والفصل 72 هذه الثورة، إذ لا يبدو لي أن روايته يمكن أن تجد محلا لها في غير هذا السياق – ولكن من جهة أخرى لا أجرؤ على تثبيت ما إذا كـان يشير إلى هذه الثورة أو إلى ثـورة أخرى لا نعلم عنها شيئا، لأنـه قد أهمل ترتيب الزمن إهمالا كاملا ولم يميز باللقب على أي البطالمة ينصب الكلام وأخيرا لأن معلوماتنا عن شئون قوريني ناقصة. فهو يروي على كل حال أن القورينـيين، وقـد ضيق جيش بطليموس عليهم الخناق استدعوا ليكوبوس القائد الأغريقي من مقاطعة أيتوليا وولـه القيادة العليا – فيما كان الرجال يقاتلون كانت النساء يبنين التحصينات ويحفرن الخنادق ويحملن السهام والحجارة ويضمدن جراح المصابين ويطهين الطعام. ولكن ليكوبوس ما لبث أن قتل الرجال إلى حد

الإفناء واستبد بالحكم وقسا على النساء اللائي لن يلعنّه فانتحرن وبذلك قدمن أنبل مثل في حب الوطن بين النساء الأغريقيات .

فإذا قبلنا أن ليكوبوس قد ارتكب هذه الفظائع في هذه الفترة، فإننا لا نعجب بعد ذلك أن يكون فيسقون قد تمكن من إخضاع القورينيين رغم انتصارهم عليه. وعليه فإن ثورة القورينيين لا بد أنها لم تلبث أن خمدت، لأن فيسقون قد بذل جهودا كبرى بعد تلك الفترة بقليل لإدخال قبرص تحت حكمه. ولكننا لا نعلم كيف توصل إلى ذلك – ولعل الملك توغل بجيشه في الناحية الغربية من قورينايا حتى المنطقة حول برنيق – بنغازي التي اشترك سكانها ولا شك في الحركة الثورية. ولا ريب في أن القورينيين قد دفعوا ثمنا غاليا لعملهم الجريء، لاضطرارهم إلى التآمر على ملكهم العاتي .

- 66 -

خصام بين الأخوين البطليميين حتى عام 159

وفي أثناء هذه الحوادث عاد غينوس ميرولا إلى فيسقون وأخبره بأنه لم يحصل على شيء من أخيه. وبما أن تيقوس توركواتوس أيضا قد خرج من الاسكندرية دون نتيجة بعث فيسقون مع ميرولا برسولين حتى يشكو الجميع سوء فعل أخيه إلى مجلس الشيوخ الروماني. وفي نفس الوقت أرسل فيلومتور قينلوس الذي كان بروما قبل ذلك، سفيرا له إلى مجلس الشيوخ. ولما أدرك أعضاء المجلس أن كفة الأخ الأكبر راجحة حابوا الأخ الأصغر لاذكاء نار الفتنة وساعدوه بما أوتوا من سلطة. وكان كل من ميرولا وتوراكواتوس قد دافع عن قضيته بكل حرارة. فأمروا مينولوس بمغادرة روما في غضون خمسة أيام وقرروا إلغاء الحلف الذي عقده الشعب الروماني مع بطليموس الأكبر وبعثوا ببوبليوس آبوسنيوس وغابوس لنتولوس إلى بطليموس الأصغر سفيرين وحملوهما نص قرار المجلس. ولما علم فيسقون بهذا، وقد سبق أن استقر الأمن بقوريني، عاد إلى أمله في احتلال قبرص وشرع في تجنيد الجند.

ولكن بينما كان يعد الحملة على قبرص جرح بقوريني على أثر مؤامرة. ورغما عن أن القورينيين هم الذين كانوا حاكوا المؤامرة بغضا له، محاولين التخلص بالعنف من حكم في غاية القسوة، انتهز الملك الفرصة لاتهام أخيه لدى مجلس الشيوخ بالمؤامرة. وقصد روما مرة أخرى وهناك اتهم أخاه بالدس له وكشف لأعضاء مجلس الشيوخ عن ندوب جراحه. ورغما عن أن الأعمال المتهم بها فيلومتور لا تنسجم مع طباعه على ما نعلم ورغمًا عن أنه أوفد سفراء لمحاولة الدفاع عن براءته فإن أعضاء مجلس الشيوخ لم يلينوا ولم يسمحوا للسفراء حتى بالمثول لديهم وأمروهم بمغادرة روما فورا. ومن جهة ثانية عينوا خمسة سفراء وأعطوا لكل منهم عددا من السفن ذات ثلاث طبقات من المقاذيف وكلفوهم بتسليم قبرص لفيسقون كما كتبوا لحلفاء روما ببلاد الأغريق وآسيا طالبين مساعدة بطليموس في الاستيلاء على الجزيرة. ولم يكن هناك شك في أنه سيدرك مأربه بعد أن زود نفسه بجيش وبمساعدة السلطان الروماني الذي لم يكن يجرؤ أحد على مقاومته. ولكن الحظ قد

ساعد في هذه المناسبة أعدل القضيتين وفي الواقع هزم فيسقون في محاولته الاستيلاء على قبرص ولم يكن أخوه قد ترك وسيلة إلا واستعملها للدفاع عن قضيته. ثم حوصر في مدينة لابيتو واستسلم بعد ذلك للمنتصر. وعقد الصلح بشروط أكثر إنصافا مما كان يستحق ويمكن توقعه. إذ أن فيلومتور، رحمة منه وخشية من الرومان، لم يوفر حياته فحسب بل عقد معه حلفا منحه بموجبه بعض المدن (تقع ولا شك على الحدود بين ليبيا ومصر) عوضا عن قبرص إلى جانب كمية سنوية من القمح. ثم وعده بأن يزوجه ابنته. وانتهت هكذا الحرب. ويبدو أن الرومان قد تحاشوا معارضة الأخ الأكبر في الموضوع.

وفي تحديد تاريخ انتهاء هذه الخصومات بين الأخوين التي قد دامت ولا شك سنوات عديدة، يرشدنا " المختصر في التاريخ " ليتنوس ليفيوس وقد جاء فيه :" قد عقد ميثاق بين الأخوين البطليمين اللذين كانا يتخاصمان يحكم أحدهما بموجبه مصر والآخر قوريني ". ولا شك أن هذه العبارة تشير إلى هذا الحلف. والواقع أن الحلف الذي يتحدث عنه ليفيوس قد عقد بعد قنصلية غايوس شيتغوس بقليل أي كما يبدو في عام 159 ق.م. وبناء على ما ذكر فهو حلف غير الحلف الذي تقاسم بموجبه الأخوان الملك في المرة الأولى .

- 67 -

بطليموس اوجتيس الثاني ملك قوريني يحصل على ملك مصر كذلك في عام 146

يجوز تخمين أن القورينيين قد نعموا بالسلم فيما بقي من سنوات من ملك بطليموس فيسقون ولكن لا يتضح شيء عن إدارة الدولة في هذه الفترة إلا أن "التعليقات " ومؤلفها فيسقون ذاته تشهد بترف عيش الملك وبما أنه كان يقوم كل سنة بدور الكاهن لآبوللو فقد خلف وراءه كل من سبقه في فخامة الحياة وغنى الوسائل - فمن الصعب لهذا السبب الظن بأنه اكتسب حب رعاياه رغما عن أنهم هم أيضا يميلون إلى العيش الرغد البعيد عن المشاغل - بل يمكن التفكير في أن تولي فيسقون عرش مصر لم يكن بقوريني سببا للابتهاج الكثير بالنسبة لمن شعروا بثقل حكمه أكثر من غيرهم .وفي عام 146 ق.م. مات بطليموس فيلومتور متأثرا بجراح أصيب بها في معركة ضد الإسكندر بالا ملك سوريا وخلف وراءه ابنتين وابنا في سن الطفولة. فزحف فيسقون بجيش على مصر آملا في الاستيلاء على الملك هناك، دون عناء خاصة وأن عددا غير قليل من الإسكندريين كانوا موالين له ومناوئين لإبن فيلومتور كما يبدو. ولم يكن في مقدور كليوباترا أرملة فيلومتور مقاومته فبعثت برسل من لدنها لطلب الصلح. وقد تم الاتفاق مع هؤلاء على أنها تتزوج من فيسقون وأنه يعتلي العرش كوصي على الملك الصبي. ولكن ما دخل فيسقون الاسكندرية حتى قتل أعوان الصبي ثم قتل الصبي نفسه بين يدي والدته في يوم الزفاف بالذات. ويعلم الجميع أن حكمه الذي بدأ بهذه الصورة قد تلطخ بالدم والإجرام. وقد كان قاسيا مع القورينيين الذين تبعوه إلى مصر. فقد أمر بقتل بعض منهم لأنهم أنبوه بصورة علنية بسبب إيريني محظيته .

ويبدو أن قورينايا قد كانت تدين مع مصر بالطاعة إليه حتى مماته، ويفكر بعض المؤرخين الحديثين في أن منفيت ابنه من أخته كليوباترا (وقد أمر بقتله بعد أن غادر الإسكندرية ولجأ إلى قبرص) قد تولى عرش قوريني لأنه كان

بقوريـنـايـا لما أغتـيل. ولكن لا يمكن تأييد هذا الزعم. ويـقـول ديدوروس أن منفيت قد قتل وما زال صغيرا، ولكن هذه الشهادة لا قيمة كبيرة لها، لأنه من المحتمل أنه كان في الـرابعة عشرة عـلى الأقـل. ولا نعـلم عـلى كـل حـال شـيئـا عـن شـئون قوريـنـايـا في الـزمن الـذي تـولى فـيه العرشـين الـلـهم إلا أن المـنطقة قـد اجـتـاحـهـا في عـام 125 الجراد فأعمل الخراب فيها.

- 68 -

بطليموس آبيون ووصيته

مات بطليموس فيسقون في عام 117 ق.م. فانتقل ملك قوريني بالوصية إلى بطليموس آبيون وهو ابن غير شرعي ولد له احتمالا من ايرينه محظيته. ومن ذلك الزمن فصاعدا انفصلت قورينايا وليبيا المتاخمة عن مصر. توجد مسكوكات لهذا الملك ولكن تاريخ المدينة مدة حكمه يكتنفه الظلام الدامس .

وأغلب المؤرخين الأقدمين يتفقون على أن بطليموس آبيون قد أوصى بملكه بعد موته إلى الشعب الروماني. بيد أن الاتفاق أقل على الزمن الذي تم فيه ذلك .

(1) يقول جوستينوس الذي يطبق تسلسلاً تأريخياً أقل دقة في هذا الموضوع أن آبيون قد توفى في الفترة التي اجتاحت مصر فيها الخلافات بين بطليموس الإسكندر أخ آبيون وبين والدته كليوباترا أي حوالي 90 ق.م.

(2) ويضع مختصر تيتوس ليفيوس الحادث بين الحرب التي شنها ديديون (في العام 97 ق.م.) على شعب الكلتيبر [1] وبين عودة آريوبرزانيس على عرش كابادوكيا [2] (عام 92 ق.م.) .

(3) ويضع آبيانوس [3] ذلك في نفس الوقت الذي ترك فيه نيقومدس بيتينيا [4] للرومان بوصية أي في العام الأولمبي 176 الموافق لعام 75 ق.م.

(4) ويروي يوليوس اوبسكونس بوضوح أن بطليموس في عهد قنصلية دوميتزيوس وكايوس. كاسيوسي أي في عام 96 عين مجلس الشيوخ والشعب الروماني وارثا له .

(5) وقال أوتروبيوس [5] ما نصه: " في زمن احتلال متلوس لكريت (أي في عام 66) أضيفت ليبيا بناء على وصية آبيون " .

(6) ويتبع كاسيودوروس [6] في بحث هذا الموضوع أوبسكونس بالكامل .

(7) ويذكر القديس جيرولاموس في تاريخ اوزبيوس العام الأولمبي 171,1 (العام 96) تارة وعام 178,4 (65) تارة أخرى .

أما وقد اختلف المؤرخون على النحو المتقدم، فعلينا على أن نعمل على تحديد التاريخ المضبوط. أن الآراء الرئيسة المتعارضة في هذا الموضوع ثلاثة :

(1) حسب يوليوس اوبسكونس وكاسيودوروس مات بطليموس آبيون في عام 96. ولا يشذ عنهما تيتوس ليفيوس ويبدو جوستينوس موافقا لهما. وبما أن تيتوس ليفيوس وتروغوس المؤلفين الأقدمين متفقان فلا أتردد في تفضيلهما على الآخرين .

(2) أن الثقة في آبيانوس تتزعزع نتيجة لأن في عهد الحرب الميتريداتية أي قبل عام 75 كان القورينيون تابعين للرومان وكانوا منذ عام 93 يؤدون لهم الخراج. ويرجع خطأ آبيانوس إلى أنه لم يفرق بين زمن موت آبيون والزمن الذي أصبحت قورينايا فيه ولاية .

(3) وكذلك لا محل للتاريخ الذي ذكره أوتروبيوس وعباراته تنصرف في الظاهر لا إلى فترة وفاة آبيون بل إلى الفترة التي أعطى فيها الرومان لليبيا وقورينايا وصنع الولاية. وأخيرا لا يعتمد على القديس جيرولاموس في الموضوع لأنه ينقل من جوستينوس تارية ومن أوتروبيوس تارة أخرى. وينسب بذلك تاريخين مختلفين لنفس الحادث.

وعليه لاشك في أن آبيون قد أورث ملك قوريني للرومان في عام 96 ق.م. بوصية منه. وليست الأسباب التي دفعته إلى ذلك واضحة اللهم إلا إذا فكرنا في أن الوصية كانت تزييفا من الرومان. كما أنه ليس من الواضح لماذا فعل آبالوس (7) مثل ذلك. ولكن من المحتمل أن الرومان الذين أصبحت امبراطوريتهم تحد بقورينايا بعد استيلائهم على إفريقيا في عام 146، قد انتهزوا الفرصة لتوسيع رقعة أراضيهم وأنهم قد دفعوا بطليموس آبيون لتسليم الملك لهم بغية الإمعان في إضعاف سلطان مصر. على أنه يصعب فهم السبب الذي حدا بالرومان على عدم تنفيذ الوصية وعلى إعلان حرية قورينايا والتنازل عن هذه المنطقة الرائعة التي كانت أحوالها تعتبر

طيبة جدا كأحوال مصر، رغما عن الخلافات التي كانت تعصف بها. ولكن مجلس الشيوخ الروماني لم يبتعد في واقع الأمر عن العادة التي جرى عليها من منح الحرية في بادئ الأمر إلى الشعوب التي تقع تحت سلطان الرومان ولو بشروط مرهقة ثم التراجع عن ذلك وإلغاء حتى أسمائها فيما بعد، أي بعد فترة من الزمن تكون فيه قد عاشت في ظل قوانينها الخاصة .

هوامش الفقرة (68)

(1) كلتبر: شعب اسباني خليط من الجنس الكلتي والهيبري. كان خاضعاً لقرطاجنة ثم إلى الرومان (القرن الثاني ق.م.) .

(2) كاباوكيا: مقاطعة في آسيا الصغرى غربي آرمينيا .

(3) آبيانوس: مؤرخ روماني عاش في عهد كل من الإمبراطور ترايان وهادريان، في الاسكندرية. ثم شخص إلى روما حيث مارس المحاماة ثم وظيفة العام للإمبراطورية. ترك كتابا من 24 جزءا يحتوي على معلومات عن شعوب وبلاد شتى .

(4) بينينيا: مقاطعة جبلية على البحر الأسود في آسيا الصغرى .

(5) أوتربيوس: مؤرخ روماني رافق الإمبراطور يوليوس في حملته على الفرس عام 363. كتابه المختصر في التاريخ الروماني يحتوي على تاريخ روما من إنشائها إلى عهد الإمبراطور فالنس في عشرة أجزاء وقد كرسه للإمبراطور فالنس (عام 364) .

(6) فلافيوس مانيوس أورليوس كاسيودوروس (490-585): مؤرخ ورجل دولة وراهب، سوري الأصل. تقلد عدة مناصب عالية في الدولة الرومانية. ترجم عدة كتب من الأغريقية إلى اللاتينية له كتب عديدة في التاريخ والسياسة والنحو واللاهوت.

(7) آتالوس: ملك برغام في آسيا الصغرى. أوصى بأن يرث الرومان ملكه بعد موته .

- 69 -

مناقشة حول افتراض ازدواج الوصية

بما أنه قد حكم رقعة ليبيا الواقعة بين قوريناايا ومصر، أي منطقة المارماريكا الملوك أنفسهم الذين كانوا يحكمون بقوريني، من المحتمل، ويكاد الجميع يقبلون، أن هذه المنطقة قد انتقلت مع قورينايا إلى الرومان بموجب وصية آبيون. وما كان هناك حاجة لمناقشة هذا الأمر طويلا، لو لم يأخذ بعض المؤرخين الأقدمين وعدد غير قليل من الحديثين بخطأ سكتوس روفوس الذي تحدث عن وصية مزدوجة.

إن عبارة سكتوس روفوس هي: " لقد حصلنا على قوريني مع مدن ليبيا بفضل إرادة آبيون الأخيرة ". ويقول آميانوس مارتشلينوس نفس الشيء تقريبا: " لقد نلنا ليبيا الجرداء بوصية آبيون، أما قوريني ومدن البنتابوليس الأخرى فقد نلناها بكرم بطليموس ". وأخيرا قال يورناندس: " إن ليبيا، أي البنتابوليس، التي سبق أن منحها بطليموس السابق إلى الرومان حرة قد انتقلت نتيجة لمقاومتها إلى الشعب الروماني مباشرة، بناء على وصية آبيون". وقد أخذ آميانوس هذا الخبر والأخبار التي سبقته عن سكتوس روفوس يكاد بالحرف الواحد. وليس هناك شك في أنه جاء بهذا النص عن روفوس، إذ أنه قد ألف " شرحه " في عهد ثئودوزيوس أي بعد روفوس الذي كرس كتابه للإمبراطور فالنتي. يعتقد روفوس، وتبعه آميانوس، أن قورينيا قد منحت للرومان في أول الأمر من قبل ملك يسمى بطليموس (ويلقبه روفوس بالأقدم أي الأسبق بالنسبة للوصية اللاحقة) في حين منحت ليبيا (وتبعتها آميانوس " بالأكثر جفافا ") بعد ذلك من قبل آبيون أي من قبل بطلمي آخر غير الأول. أما يورناندس فيجاري هذين الكاتبين في كل ما قاله، إلا أنه يحكم بأن الوصيتين تتعلقان بالمنطقة نفسها حتى يمكنه التوفيق بين قول الكاتبين المذكورين وقول تيتوس ليفيوس الذي روى أن مجلس الشيوخ الروماني منح الحرية للقورينيين. ولكن حجته باطلة لأنه يتضح أنه فضلا عن ذلك قد فسر مرجعيه

تفسيرا خاطئا. إذ أن القضية كلها تدور حول حجة سكتوس روفوس الوحيدة. ولكن هذه الحجة ليس لها من القوة بما يكفي لتكذيب ودحض الكتاب السابق ذكرهم الذين، وهم أقرب للحادث الذي نحن بصدده، يتحدثون عن وصية واحدة، وصية بطليموس آبيون، ثم من عساه أن يكون بطليموس الأسبق ذلك ؟ .

نضيف أنه ليس من العسير العثور على سبب خطأ روفوس. فقد تأخر الرومان في الواقع في إعطاء قورينايا وضع الولاية مع أنها كانت آلت إليهم بوصية، ثم منحوا شعبها الحرية. ففكر روفوس بأن هذا الأمر يمكن تفسيره بوجود وصيتين. وقد استقى من مصادر مختلفة دون ما طريقة منظمة. ومن مصادره قول جوستينوس أن قورينايا إنما انتقلت على الرومان بموجب وصية أحد البطالمة (دون ذكر لقبه) فانساق إلى الظن بأن قورينايا أولا وليبيا ثانيا قد خضعتا لسلطان روما بمشيئة ملكين مختلفين. وبما أن إدارة كل من قورينايا ومارماريكا كانت قائمة بذاتها في زمن الرومان سلم روفوس، كما يبدو، ومعه من قبل تأويله، بأن هذا الفصل كان موجودا في العهود السابقة كذلك. إن ليبيا القاحلة التي ذكرها آميانوس هي ليبيا نفسها التي نعتها هو نفسه بعد ذلك بالجافة مما ينطبق على مارماريكا لا سيما وأنه يذكر فيها باراتونيوم وقلاعا أخرى توجد في هذه المنطقة .

وهكذا رغماً عن إمكان دحض هذه الرواية وأصلها واضحان فقد قبلها بعض الحديثين الرواية نفسها وبنوا عليها – وحسبنا أن نذكر منهم سيغونيوس وسكاليجروس. فيظن الأول – وهو يتبع ليورناندس كليا – ومنها آلت إلى الرومان هبة كل من قورينايا وليبيا القاحلة. فقد ترك الأول عند وفاته قوريني للشعب الروماني: تدفع الخراج وتحتفظ بقوانينها الخاصة، وأوصى الثاني ويعرف بآبيون، في عهد قنصلية غايوس كاسيوس وغينوس دوميتسيوس بأن تؤول قورينايا وليبيا القاحلة معا إلى حكم الرومان المباشر. وفي حين يقدم سيغونيوس تأويله في لهجة متواضعة، يقول سكايجروس بلهجة التأكيد بأنه كان هناك ملكان كلاهما اسمه آبيون، أحدهما يحكم قوريني والآخر ليبيا الجافة أو عمون. ويظن أن القديس جيرولاموس الذي يذكر مرتين نفس الشيء أشار في مكان إلى آبيون الأقدم الذي آلت قوريني بوصيته إلى الرومان وفي مكان آخر إلى آبيون وهمي ملك ليبيا. وفي هذا الكفاية .

حالة الدولة القورينية تحت الحكم الروماني

في حين أننا نجهل من جهة الجزء الأكبر من الحالة السياسية التي كانت سائدة في الدولة القورينية بعد أن أعاد الرومان إلى قوريني حريتها، نعلم من جهة أخرى أن الأمور عند كل من كانوا يقبلون حلفاء – في قوريني كما في المدن الأخرى – كانت تسير وفقا لأهواء الرومان. وكان على هذا يتوقف بقاء الحرية أو فقدانها من جديد، أي أن الرومان عندما أعادوا الحرية إلى قوريني لم يغفلوا عن مصالحهم.

والواقع أن الرومان قد فرضوا، كما يبدو، على القورينيين، وكما كان الأمر بالنسبة لكافة الشعوب التي منحت لها الحرية (كالمقدونيين مثلا بعد هزيمة برسيوس)، خراجا من السلفيوم ثمر الأرض الرئيس لديهم. ويروي بلينيوس أن في عهد قنصلية غايوس فاليريوس ومرقص آفنيوس قد جيء من قوريني إلى روما بثلاثين رطلا من السلفيوم لحساب الدولة وأن قيصر إبان ديكتاتوريته وفي مستهل الحرب الأهلية سحب من خزينة الدولة مائة وأحد عشرة رطلا من السلفيوم. وبما أن هذا المحصول أتي به لحساب الدولة، يحق لنا أن نفكر أنه كان من جملة الخراج الذي كان يجبيه " الكواستوريون " ويحفظ في الخزانة العامة. ولكن بما أن كمية الثلاثين رطلا من السلفيوم قد أحضرت إلى روما في عام 93 ق.م.، أي بعد وفاة آبيون بقليل وبعد انتقال قورينايا إلى الرومان وإذ كان كل من غايوس فاليريوس ومرقص آفنوس قنصلا كما ذكر، يمكننا أن نستنتج أن هذا الخراج كان يجبى قبل أن تصبح هذه المنطقة ولاية. وهذا فضلا عن أنه يثبت أن قورينايا كانت في تلك السنة تحت الحكم الروماني، يؤكد ما سبق أن قلناه عن التاريخ الذي انتقلت فيه المملكة إلى الرومان بموجب وصية آبيون. وإذا ما اعتبرنا إقبال الأقدمين على هذا المحصول، يبدو أن ذلك الخراج كان باهظا. ومن المعلوم أنه كان في قورينايا، كما كان في الولايات الخاضعة للحكم الروماني، أراضي وممتلكات خاصة بالملوك ترجع إلى عهد البطالمة أو حتى إلى أزمنة أقدم. فلا شك أن الشعب الروماني قد وضع يده على هذه الأراضي

والممتلكات في وقت متأخر بعد فقد قوريني لحريتها وبعد وصية آبيون مباشرة. ويروي شيشيرون [1] في هذا الموضوع أنه أثناء توليه القنصلية اقترح بوليوس سرليليوس رولوس أثناء النظر في قانون سرفيليا الزراعي بيع الحقول القورينية التي كان آبيون يملكها. ويقص علينا هيجينوس من جهة أخرى ما يلي: " توجد في ولاية قورينايا أراض ملكية أي الأراضي التي أوردها بطليموس للشعب الروماني ". وأخيرا يذكر تاشيتوس الحقول التي سبق أن كانت للملك آبيون وأوصى بها للشعب الروماني مع ملكه ". فليس من المحتمل والحالة هذه أن لا يكون الرومان قد وضعوا أيديهم على هذه الحقول – التي، يقول عنها هيجينوس وتاشيتوس [2] إنها تركت مع الملك – إلا بعد أن أصبحت قورينايا ولاية، وخاصة وأنهم إذا تنازلوا عن وضع يدهم عليها، صعب بعد ذلك تمييزها عن سائر الأراضي. ويفيدنا تاشيتوس أن كلاوديوس أرسل آشيليوس سترابون حكما بخصوص هذه الحقول التي كان أصحاب الأراضي المتاخمة لها قد استولوا عليها وأن القورينيين، وقد اعتادوا زمنا طويلا على الأعمال غير الشرعية، كانوا اتهموه أمام مجلس الشيوخ بابتزازها. أما كون القورينيين قد عادوا فوضعوا يدهم على هذه الأراضي فسيتخرج من كل نص لكل من شيشيرون وهيجينوس ومن تاتشنوس نفسه الذي يبدو أنه يشير إلى أن الاستيلاء قد تم لا بموجب سند قانوني بل بحكم تقادم الزمن.

ومهما يكن من أمر فإنه رغماً عن أن السيادة العليا على المنطقة كانت في يد الرومان اتخذت قورينايا شكل جمهورية حرة وعاش القورينيون في معظمهم حسب أهوائهم إذ لم يكن الرومان يتدخلون في الشئون الداخلية للمدينة لانشغالهم بأمور أهم.

ونظراً لافتقارنا إلى المعلومات لا يمكننا سوى أن نستخلص نوعا ما المبادئ التي على أساسها كانت تصرف الشئون العامة في هذه الفترة الأخيرة فيما سميت بالمدينة الحرة وذلك من الشكل السياسي الذي اتخذته تحت الحكم الروماني .

ولا يبدو لنا أننا نخمن دون وجه حق أن المدن الأكثر أهمية في المنطقة: قوريني وبطلومايس وآرسينو وبرنيق ولربما غيرها كذلك مثل سوتزوزا ودارنيس وخلافها كانت تؤلف دولا منفصلة بقوانينها الخاصة كما كانت في السابق وفي هذه

الفترة. وقد أورد المؤرخون في وقت متأخر أسماء هذه المدن كلها دون ترتيب وبغض النظر عن مكانتها. وفضلا عن ذلك فقد انحطت قوريني، التي كانت إلى هذا الزمن أم المنطقة حتى أن آميانوس دعاها بالمدينة الخالية ونعتها سينزيوس بالخرابة الكبرى. وأخيرا أورد أوتروبيوس اسمها في كشف المدن بعد برنيق وبطولومايس اللتين كان البطالمة أعادوا بناءهما وزينوهما .

وفيما يخص قوريني فيعرف عنها أنها كانت تضم بعد وصية آبيون أربع طبقات من المواطنين أي المواطنون والمزارعون والأجانب واليهود. وليس في الإمكان تعيين العلاقة التي كانت قائمة بين هذه الطبقات وبينها وبين القبائل القديمة الأخرى. غير أنه يتضح من مرسوم مرقص آغريباس الذي يقرر لليهود حق إرسال المال إلى معبد أورشليم والموجه إلى المجلس التشريعي وإلى الآركونت وإلى الشعب. يتضح من هذا المرسوم أن سلطة الشعب كانت كبيرة جدا وأن المجلس التشريعي الذي كانت سلطته قوية منذ قيام الجمهورية ظل قائما أو أنه أعيد تأليفه بعد عودة الحرية. وفي عهد سينزيوس أيضا كان يوجد المجلس التشريعي وجمعية القورينيين. أما فيما يخص إدارة المدن الأخرى نعلم أن يهود برنيق وحدهم كان لهم آركونت وكانوا يؤلفون طبقة خاصة .

هوامش الفقرة (70)

(1) شيشرون واسمه مارقوس توللیوس ,CICERO) MARCUS (TULLIUS .
سياسي وخطيب روماني شهير (106-43 ق.م.) اكتشف مؤامرة كاتيلينا ضد الدولة وفضح المتآمرين في مجلس الشيوخ الروماني فأدى ذلك إلى إعدامهم، فلقب " باب الوطن "، خاض السياسة فانضم على حزب بومبيوس ثم تركه وانضم إلى حزب قيصر. صدر في حكم النفي في عهد " حكم الرجال الثلاثة " فحاول الهرب فقتله رجال أرسلهم وراءه انطون وزوجته انتقاما منه. ترك مجموعة من الخطب وبحوث متنوعة .

(2) تاشيتوس (55-120 ق.م) (TACITUS) مؤرخ روماني، مؤلف حوليات التاريخ - عادات الجرمان وحوار الخطباء .

- 71 -
الحركات الثورية بقوريني في عام 88

بيد أن حالة القورينيين من الآن فصاعدا لم تكن ميسورة، ذلك أن بعد حصولهم على الحرية بالشروط المعلومة لاقوا المشاكل نفسها التي لاقاها سكان المدن الأخرى التي منحها الرومان حريتها. وهكذا لما جاء لوكولوس إلى قوريني بعد ذلك بسنوات قليلة وجد الفوضى سائدة فيها لتناوب المستبدين على الحكم فيها ونشوب صراع بين أهلها. ويروي لنا فلوتارخ بعض هذه الخلاقات وكذلك بوليئنوس الذي تبعه في شيء من الإهمال. فيقول فلوتارخ أن هذه الخلافات نشبت في " الزمن الميترايداتي " أي، إذا لم أخطيء في الزمن الذي شن فيه الرومان الحرب على ميترايدات [1]. ولكننا إذا اعتبرنا الحالة التي كانت عليها الدولة لما جاء لوكولوس إلى قورينايا، لا يبقى شأن في أن الاضطرابات حدثت قبل إقامته بقوريني أي قبل عام 86 أي في عام 88-87 إذ أن سيللا [2] خرج إلى الحرب على ميترايدات في عام 88. وحتى إذا أردنا تأويل عبارة فلوتارخ بالمدة التي كان فيها ميترايدات ملكا، بصورة عامة، فلا يمكن العودة إلى الخلف أكثر من عام 96 أي إلى نهاية الزمن الذي دان فيه القورينيون بالطاعة إلى الملوك .

ولكن دعنا نعود إلى سرد القصة. بعد أن عادت الحرية بزمن قليل، تولى نيقوقراتيس الحكم فطغا وبعد أن قتل الكثيرين من المواطنين ومن بينهم مناليبوس كاهن آبوللو – وقد قتله بيده – تولى منصبا كهنوتيا. وأراد أن يحول دون هروب المواطنين من المدينة فأمر حراس أبوابها بوخز جثث الموتى بالسيف أو بكيها للحيلولة دون نقل أحدهم خارج المدينة على أنه من الموتى. وكان من بين القتلى فديموس وكان عالي القدر بين مواطنين فأدى ذلك إلى نهاية الطاغية والواقع قد حدث أن تزوج نيقوقراتيس بآريتا فيلا أرملة فاديموس وابنة إيفلاتور وكانت اشتهرت بجمالها ورجاحة عقلها وبمقدرتها على تصريف شئون الدولة. وقد اضطرت إلى الزواج منه للضرورة. ورغماً عن حسن معاملة زوجها لها اشمأزت

آريتافيلا من سوء حظها وأصابها تأثر شديد من حالة وطنها فآلت على نفسها أن تحرره. واستمرت المذابح وتفرق المنفيون خوفاً فأصبحوا أكثر ضعفا من ذي قبل فيأست آريتافيلا من عون خارجي فاضطرت إلى اللجوء إلى آخر وسيلة للقضاء على الطاغية وحاولت أن تدس له السم. واكتشف أمرها فحاولت قالبيا والدة الطاغية وكانت إمرأة سفاكة للدماء، أن تأمر بقتلها ولكن نيقوقراتيس استمع لزوجته إذ قالت له معتذرة أنها إنما أعدت له دواء شهيرا مجلبا للحب وبما أنها لم تعذب حتى تعترف بالحقيقة اقتنع ببراءتها وزاد حبه لها. ولما لم توفق إلى غايتها فكرت في خطة أخرى كان لها نتيجة أفضل. فزوجت ابنتها من لئاندروس، أخ الطاغية، وحرضته عن طريقها على أخيه فقتله بواسطة عبد له اسمه دافينس بعد أن رشاه. وتولى لئاندروس الحكم الفردي وأساء التصرف. ولم تتمكن آريتافيلا من الحصول منه على إطلاق حرية المواطنين بعد موت أخيه ولكن كان لها نفوذ كبير عليه وبذلت قصارى جهدها بنتائج طيبة لتحرير وطنها. فدفعت آنابو ملك الليبيين المجاورين إلى الحرب، فدخل بجيشه إلى الأراضي القورينية وعسكر بقرب المدينة. وعندها وبعد أن أدخلت الشك في نفس لئاندروس في إخلاص أصدقائه وقادته تحدثت عن السلم. ثم ذهبت إلى معسكر العدو بذريعة المفاوضة على الصلح وأقنعت آنابو بقوة المال بإلقاء القبض على لئاندروس عندما يأتي للتحدث معه. وتفجر حقد الشعب على الطاغية فأذاقه وذويه أشنع أنواع العذاب. فقد وضع لئاندروس في كيس من الجلد وإلقي في الماء وأحرقت والدته قالبيا حية. أما آريتافيلا فقد خصت بعد تحرير الوطن بتكريم حافل يماثل تكريم الآلهة ودعاها الشعب لتسلم مقاليد الحكم ولكنها قنعت بالعيش عيشة هادئة معززة وما بقي لها من العمر.

هــوامش الفقرة (71)

(1) ميتريدات، ملقب باوباتور وبالاكبر (MITHRIDATE)

ملك البونت وهي بلاد تقع في الشمال الشرقي من آسيا الصغرى تولى الملك عام 111 حتى عام 63 ق.م. كان يتعاطى من صغره شتى أنواع السموم بكميات قليلة إلى أن اكتسب جسمه المناعة ضدها. كان يتكلم باثنتين وعشرين لغة. عدو لدود للرومان وخاصة للدكتاتور سيلا. دامت الحروب بينه وبينهم من عام 90 إلى عام 63 ق.م. تكاد تكون بدون انقطاع. كان ينوي الزحف على إيطاليا فمنعه إبنه فانتحر بأن أمر أحد عبيده بقتله .

(2) سيلا واسمه لوتشيوس قورنليوس CORNELIUS) LUCIUS (SYLLA,

دكتاتور روماني (138-78) نائب ماريوس ثم خصمه. انتصر على ميتريدات أوباتور ملك البونت. تولى زعامة الحزب الارستقراطي ثم أصبح سيد روما وإيطاليا بأسرها. كان ينفي خصومه عدل الدستور الروماني لصالح مجلس الشيوخ. لما بلغ أوج سلطانه تخلى عن الحكم في عام 79 ق.م.

- 72 -

نـظام لـوكـولـوس

لم تكد تهدأ الاضطرابات الناتجة عن هذه الحركات الثورية في الدولة حتى وصل إلى قورينايا بعد ذلك بقليل لوكولوس. كان هذا يصاحب سيلا في الحرب على ميتريدات بصفته حاكم ولاية وقد أرسله سيلا الآن لجمع أسطول من ليبيا ومن مصر، ذلك لأن حركة تموين الجيش المحاصر لآثينا كانت تتعرض لهجمات العدو. وفضلا عن فلوتارخ لم يتحدث عن مجيء لوكولوس إلى قوريني سوى يوسيف (1) ولكنه يقول أن سيلا قد أرسل لوكولوس لإخماد ثورة لليهود بقورينايا. فيخالف يوسيف إذن فلوتارخ في الباعث على رحلة لوكولوس. ونحن لا نشك في أن فلوتارخ حجة يعتمد عليه أكثر من الآخر، إذ أنه يتفق مع آبيانوس وتبدو روايته وكأنها مشتقة من " شروح " سيلا. ويجب كذلك اعتبار أن سيلا، نظرا لتزعزع وضعه، لم يكن لديه الوقت للانشغال في إخماد اضطرابات ليس لها أهمية كبرى في منطقة نائية لم يكن لها حتى شكل جمهورية، ذلك لأنه كان منهمكا في حربه مع ميتريدات ومعرضا لأخطار أعظم بسبب الحركات السياسية بروما. ولم يظهر من جهة أخرى أن اليهود على كثرتهم بقورينايا قد أثاروا قلاقل في هذه المنطقة، قبل تدمير أورشليم على الأقل. فلا نرى والحالة هذه، وأن لم تنقص اليهود القلاقل، أن سيلا قد اضطر إلى إرسال لوكولوس إلى هناك .

ولما بلغ لوكولوس قورينايا وجد - على حد شهادة فلوتارخ - المواطنين في دوامة انقلابات الحكام المستبدين والحروب الناتجة عنها، فعمد إلى إحياء دستور الدولة وقوانينها وأوامرها، غير ناس رد أفلاطون عليهم لما دعوه إلى التشريع لهم إذ تنبأ لهم بما هم فيه من سوء المصير. وآزره القورينيون عن طيبة خاطر. ولكنه ما أن انتهى من تنظيم شئون المدينة حتى بارحهم إلى مصر. لا نعلم شيئا عن الحالة السياسية التي خلقها ولكن هناك ما يحملنا على الظن أن لوكولوس، نظرا لعدم توفر الوقت لديه لوضع قوانين جديدة، اكتفى بإعادة المدينة إلى شكلها السياسي

القديم. وعلى كل حال فإن مجرد الاحتياج لسلطة لوكولوس، أي لسلطة روماني، لإعادة الهدوء يدل في حد نفسه على مدى نفوذ الرومان على هذه المدينة التي كانت تنعت بالحرة. ولا يبدو ما إذا كانت نظم لوكولوس تخص مدينة قوريني وحدها أم المدن الأخرى في المنطقة كذلك. ولكن يحتمل ترجيح الحالة الأولى ذلك لأن فلوتارخ لا يذكر إلا المدينة ولا تبدو عبارات يوسيف شاملة سائر المنطقة .

أما فيما يخص العام الذي نظم فيه لوكولوس شئون المدينة على هذه الصورة فيقول فلوتارخ أن لوكولوس جاء إلى قوريني في فصل لا يلائم الملاحة أي في فصل الشتاء. وبما أنه يتضح من نفس المؤلف أنه كان نفس الشتاء الذي فتح فيه سيلا آثينا وبما أن آثينا تم فتحها في أول يوم من شهر آنتستريون الذي كان يوافق في تلك السنة أول مارس أي في عام 86، فلا شك أن لوكولوس بارح قوريني في أوائل هذه السنة.

هـوامش الفقرة (72)

(1) يوسيف أويوسيفوس واسمه فلافيوس GLAVIUS) (IOSEPHUS مؤرخ يهودي ولد بأورشليم (37-95 ق.م.) ترك كتابا عنوانه: "العهود اليهودية القديمة".

- 73 -

أصبحت قورينايا ولاية

بما أنه يبدو أنه حتى بعد نظام لوكولوس لم يعد إلى قوريني الوفاق والسلام عمد الرومان إلى جعل قوريني ولاية بدافع هذا السبب أو برغبة التوسع وحده. فأخمدوا آخر مظهر من مظاهر الحرية. وهكذا خبر القورينيون نفس المصير الذي حل بالأقوام التي منحها الرومان الحرية. ولكن ليس في الإمكان تعيين الزمن الذي تغير فيه وضع القورينيين السياسي بسبب سكوت المؤرخين أو بسبب اختلاف آرائهم، مما أدى إلى تأويلات عديدة لدى المؤرخين المحدثين. وسنرى على كل حال أن هذا التاريخ لا يمكن أن يسبق عام 86 للأسباب التي شرحناها آنفا ولا أن يتعدى عام 54 أي في وقت مرافعة شيشرون لصالح غينوس بلانشيو. ففي هذه المرافعة تصور الشعب الروماني يقول العبارات الآتية موجهة إلى مرقص يوفنتيوس لاترنسيس، حاكم قورينايا: " اشتاقتك عيني لما كنت بقوريني وكنت أود في الواقع أن أنعم أنا لا الشركاء [1] بفضيلتك فكنت بعيدا عني بقدر ما كانت حاجتي إليك ماسة ". ويستطرد فيقول عنه :" كان كريما بقوريني مع الجباة وعادلا مع الشركاء. فمن ينكر ذلك ؟ ولكن يحدث الشيء الكثير في روما حتى لا يكاد يسمع ما يقع في الولايات ". ومن هذه العبارات يتضح أن المنطقة ألحقت بالامبراطورية الرومانية قبل عام 54، إذ أن قورينايا كانت تعد بين الولايات وقد وصف لاترنسيس بأنه كان :" كوستورا " [2] هناك (وكان قد ط'ب أن يكون " أديلا " [3] إلى جانب بلانشيو)، فضلا عن ذكر " البوبليقان " اا كانوا على ما يحتمل المشرفين على الأراضي الزراعية الملكية .

ننتقل بعد هذا على فحص أقوال المؤلفين الذين تطرقوا إلى الموضوع، أي إلى آبيانوس و اوترابيوس المذكورين آنفا. فيقول آبيانوس أن قورينايا انتقلت إلى الحكم الروماني المباشر في عام 75 قبل الميلاد، في حين يقول اوتروبيوس (وقد مرت بنا روايته التي لا يجب ارجاعها إلى زمن ترك آبيون لملكه للرومان بوصية) أن ذلك

تم في عام 66. ولكن يبدو لنا أن قول آبيانو أكثر صدقا أولا لأنه أقدم ثم لأنه لا يروي بعبارات واضحة بأن هذا قد حدث في نفس الوقت الذي أدخلت فيه بتينيا تحت الحكم الروماني. ويضاف إلى هنا أنه ليس من العسير معرفة السبب الذي اختار أوتوبيوس من أجله وقتا متأخرا. فإذا ما علمنا في الواقع أن قورينايا بعد أن خضعت للرومان قد دمجت بكريت، لابد أن أوتروبيوس قد ظن أن المنطقة قد حصلت على شكل ووضع الولاية في نفس الوقت الذي أخضعت فيه كريت. ولهذا السبب دون شك يذكر جوستينوس وصية آبيون وكريت كولاية رومانية معا ولو أنه ميز بين تاريخ حدوث كل منهما .

ويختلف معنا في هذا الموضوع أغلب المؤرخين الحديثين الذين يرون، انطلاقا من أقوال اوتروبيوس والقديس جيرولاموس، أنه أقرب إلى الصحة أن قورينايا قد أحيلت إلى ولاية في عام 66 أي في نهاية الحرب الكريتية. أما وقد برهنا بوضوح على ما نظن، على مصدر خطأ اوتروبيوس ونظرا لأن حجة القديس جيرولاموس باطلة لأنها منسوبة إلى اوتروبيوس، لا نرى تفضيل رأيهما على رأينا .

ولكن نظرية من يقول أن لوكولوس هو الذي أحال قورينايا إلى ولاية أقل قبولا. والواقع أن لوكولوس، وقد بعثه سيلا لغايات مختلفة، لم يكن لديه سلطة القيام بعمل مماثل. ويتردد سيفونيوس بين أتباع اوتروبيوس وبين قبول هذا الرأي.

وأخيرا أن رأي ايخهورن خاطيء تماما إذ يكتب أن قوريني قد أحيلت إلى ولاية مع مصر، الأمر الذي لا يتفق بتاتا مع واقع الأمر، ذلك لأن الوحدة بين مصر وقورينايا قد انتهت بموت آبيون ولأن شيشرون يذكر ولاية قورينايا قبل ذلك الوقت.

هـوامش الفقرة (73)

(1) الشركاء: هذه هي الصفة التي يطلقها الرومان على سكان البلاد التي كانت في وضع الولاية القانوني .

(2) كوستور (QUESTOR)

وظيفة كبيرة رومانية اختصاص شاغلها العناية بالشئون المالية .

(3) أديل (AEDILIS)

وظيفة رومانية عليا صاحبها مكلف بالإشراف على المباني العامة وبمراقبة الألعاب العامة وبإدارة الاحتفالات وبالتموين وبإدارة الشرطة .

- 74 -

قورينايا موحدة مع كريت

وهكذا التحق القورينيون بالمجموعة الامبراطورية الرومانية الضخمة بعد أن عاشوا خمسة قرون ونصف القرن مستقلين تارة وخاضعين لمن كان أقوى منهم تارة أخرى. وفي هذه النقطة نرى الإشارة إلى الطريقة التي أديرت بها شئونهم بعد أن أصبحوا خاضعين للرومان. فلا يبدو أنهم احتفظوا بمعظم الوضع السابق. وفضلا عن ذلك يبدو محتملا أن قورينايا كانت ولاية قائمة بذاتها في بادئ الأمر وأنها لم توحد مع كريت فور إخضاع هذه الجزيرة للرومان، بل بعد ذلك بقليل. يقول أبيانوس أن بعضهم يروي أن أنطونيوس منح ولاية كريت وقورينايا لكاسيوس بعد أن تم تعديل الولايات على أثر وفاة قيصر. ولكن رغما عن ذلك يتضح من " الفليسيكا الثانية " لشيشرون، حيث يذكر أن ماركوس بروتوس كان نائب قنصل بكريت وأن كاسيوس إنما منح ولاية قورنيايا. وعليه أرى أن المنطقتين قد وجدتا في عهد اوغسطوس قيصر في الزمن الذي كانتا تؤلفان ولاية واحدة دون شك. أما كون هذه الوحدة قد بقيت حتى بعد ذلك فيبدو من أن فسبازيانوس كان حاكما لولاية كريت وقرينايا. ويمكن إثبات ذلك عن طريق النقوش. ويشهد سينزيوس من جهة أخرى بأن قورينايا لم تتحد بعد ذلك قط مع مصر، عندما ذكر أن الدولة القورينائية كانت تكون في حالة أفضل لو أنها كان يحكمها نفس الولاة الذين كانوا يحكمون مصر.

الجزء الخامس

الديانة - العادات - دراسات

- 75 -

كان القورينيون على اتصال بوطنهم الأم بروابط كثيرة رغم عن بعدهم عنه شأنهم شأن الأغريق الآخرين القاطنين في الخارج. ولم تفسد معاشرتهم للشعوب البربرية طبائعهم قط - صحيح أنه لم يسعهم إلا تقليد شعائر من جاورهم من أقوام في كثير أو قليل - ولكنهم احتفظوا بجرس لغتهم الأصلي وعرفوا خاصة كيف يحافظون على عاداتهم ومميزات جنسهم سليمة وبعيدة عن اتصالات الشعوب الأصلية. بل على نقيض ذلك عمدت الشعوب المجاورة لهم إلى العيش والتثقف على منوالهم. فلزام علينا والحالة هذه أن نبحث في الوضع الداخلي للدولة لمعرفة القوم حق المعرفة إذ لا تكفي معرفة صفاتهم الخارجية وإدارتهم السياسية .

- 76 -
الدين - آبوللو

وعليه فإننا سنبحث أولا في الدين وعبادة الآلهة. احتفظت قوريني كما كان الأمر في المستوطنات الأغريقية بصورة عامة لا بنظم الوطن الأم المدنية فحسب بل أيضا بالنظم الدينية. وعليه فإذا لم يذكر الكتاب إلها من الآلهة الأغريقية بقوريني فلا يعني هذا أن ذلك الإله غير معبود فيها. وسنعرض الآن ما نعلم عن شعائر عبادة كل إله على حدة .

يتضح من تاريخ القوم أن آبوللو كان له مكانة عليا لدى القوريـنيين فهناك الأعياد الكارنية مثلا، التي تقبلها المستوطنون بشعور ديني قوي عندما حلوا بإفريقيا، وهي أعياد دورية أسست لشرف كارنيئو. وهو إله كان يختلف بالتأكيد عن آبوللو في البداية وكان الدوريون بأسرهم، على ما يبدو، يحتفلون بها. نشأت هذه الأعياد في تيبه وجاء بها الأجيديون إلى آميكليس ثم إلى ثيرا. وقد نسب إلى عبادة الدوريين هذه اعتقادهم أن كارنيئو إله الأجيديين القومي قد توحد مع الإله آبوللو وكان إلها للدوريين أيضا واندمج فيه أبان إنشاء قوريني .

وقد مر بنا قول بيندار الذي يؤيد عبادة هذا الإله بثيرا. وقد ذكر في نقش وجد بثيرا اسم كاهن لآبوللو كارنيو مما قيل أن الجزيرة بأسرها كانت مكرسة إلى هذا الإله. ومن هناك نقلت عبادته بعد ذلك إلى قوريني. ويؤيد خالليمقوس ابن قوريني، وهو أكبر حجة في شئونها، في نشيد كتبه احتفالا بأعياد آبوللو فقال :

يا آبوللو، يدعوك كثيرون بدروميو
وكثيرون كلاريو واسماؤك متعددة في كل مكان
ولكنني أدعوك كارنيو : إنه واجب لي وطني .
كانت سبارطه لك المقر الأول ياكارنيو
والثاني كان ثيرا والثالث مدينة قوريني

ثم يستطرد في مقدار تعداد مظاهر الشرف التي كان آبوللو كارنيو يحاظ بها بقوريني ولا يجب أن نغفل عن أن اسم الفيلسوف الرواقي المعروف كارنياس (وهو اسم شائع لدى القورينيين) المولود بقوريني قد اشتق من اسم هذه الأعياد التي ولد اثناءها .

وكان آبوللو ملك الدوريين كلهم وقائدهم كما كان قائدا للقورينيين في الوقت نفسه ويرجع منشأ ذلك إلى معبد دلفي. وإليه، حامي القورينيين وبني باتوس الرئيس، كان هؤلاء مدينين بكل ما حصلوا عليه من خير. وقال خاليمقوس في ذلك :" أنه لم يمنح أية مدينة أخرى ما منحه لقوريني من خيرات ". ولا عجب بعد ذلك أن يحيطه القورينيون بالإجلال وبكل أنواع الشعائر والشرف .

" ولم يعبد بنو باتوس إلها أكثر من عبادتهم لغيبو " على ما جاء في شعر خاليمقوس. وأطلق اسم آبوللو على العين حتى يكون الاسم زينة للمدينة وسكانها. وأطلق كذلك على ميناء قوريني. وعلى شرفه أيضا كانت تسير في الأعياد الكارينية المواكب الرائعة على الطريق المنقور في الصخر حتى المعبد القائم في الفوروم. وقد قيل إن هذا المعبد كان أسسه باتوس الذي تنسب إليه الاحتفالات الكارينية. وكان هذا المعبد الرائع حقا دار الشرف في المدينة وكانت تحفظ فيه النار المقدسة على محرقة .

وكان القورينيون يقيمون الشعائر لآبوللو دلفينوس ويؤيد ذلك شهر دلفينوس في تقويم جزيرة ثيرا. وحوت الدلفين (وكان مقدسا عند آبوللو) كان القورينيون كرسوه لعمون، وعلى نفس الأساس كرس أهل دلفي تمثالا لعمون أيضا. ولعله يجب نسبة الدلفين إلى نبتون وكان إلها مبجلا جدا لدى القورينيين. ولكن مما يرجح فكرتنا هو أن عبادة آبوللو كثيرا ما كانت تقترن بالدلفين .

وأخيرا كانت قوريني تبجل آبوللو الطبيب وكان يلقب ب (بئآن) وبهذا اللقب كانوا يدعونه. وكانت المواكب المخصصة لعبادته توصف " بالشافية " ولا عجب أن تنسب معجزة شفاء باتوس إلى هذا الإله وأن يزدهر الطب في قوريني .

ولهذا السبب تكثر صورة رأس آبوللو على النقود القورينية. وكان بطليموس أورجتيس الثاني حتى في زمن متأخر جدا يتقلد منصب كاهن آبوللو في كل سنة. وجاء ذكر ميناليبوس كاهن آبوللو في عام 88 ق.م. هذا وكان الليبيون أيضا يعبدون آبوللو ويرسلون الهدايا إلى دلفي. ويحكى أن الآمبليوت وهم ليبيون يقيمون بالساحل كانوا يبعثون بحزمة من السلفيوم إلى آبوللو الدلفي.

- 77 -

ديانا - جوبيتر - باللاس - نبتون - الزهراء مركور - فولكان [1]

بما أن الأغريق جروا على عادة تبجيل ديانا في معابد آبوللو الأكثر شهرة بوصفها أخته وإلها يتمتع بنفس المقدرة، يمكن الاستنتاج من هذا الأمر في حد نفسه، ولو أنه لا تتوفر الأدلة عليه، أن القورينيين كانوا يحيطون هذه الآلهة بمظاهر التكريم البالغ. وتدل أيضا على هذا نقود هذه المدينة التي نقشت عليها صورة ديانا وخاصة أعياد آرتميزيا التي أحدثت بقوريني تبجيلا لها كما أحدثت بسيراكوز وغيرها من المدن الأغريقية وهي أعياد يحتفل بها القورينيون احتفالا عظيما يولم خلالها كاهن آبوللو وليمة فاخرة لمن سبقه في هذا المنصب الديني. ولا عجب أن تشمل الطقوس في هذه الأعياد آبوللو أيضا في نفس الوقت، إذا ما اعتبرنا مدى الاتصال الوثيق الذي كان يربط بين عبادة كل من هذين الإلهين لا سيما لدى الدوريين .

ويبدو من قطعة النقود أن زئوس كان يعبد بثيرا، كما تظهر على بعض النقود الذهبية القورينية صورة هذا الإله. ومن المعلوم أن قوريني كانت تحتفل بأعياد أوليمبية. ويذكرنا هيزيكيوس بأن زئوس كان يعرف في قوريني بلقب " هلينمنوس " وكانت هناك صلة وثيقة بين زئوس أوليمبيوس وزئوس عمون. وكان القورينيون يعبدون هذا الأخير عبادة خاصة وكان بقرب قوريني مرتفع يعرف بتل زئوس ليقايوس. ويبدو أن عبادته هذه قد جاء بها دموناكس من آركاديا حيث كانت عبادة وطنية .

وهناك دلائل على عبادة باللاس بثيرا وكان لها هناك معبد ذكره شارح بيندار. وكانت تقام ألعاب باللادية بقوريني وهنا أقام آماسيس تمثالا لهذه الآلهة وما ذلك إلا لأنها كانت تحظى بمقام كبير لدى القورينيين. وقد نقشت صورتها على نقود قورينية وعلى آنية وجدت في أطلال بنغازي القديمة. بل لقد انتشرت عبادة

باللاس بين قبيلة الاوسنس الليبية اللهم إلا إذا كانت تكييفا أغريقيا لعبادة وطنية كانت موجودة من قبل وتشابه العبادة الأغريقية. وينسب الأغريق قصة باللاس تريتوجينيا في معظمها إلى مستنقع تريتونيا الليبي رغما عن أنها تبدو منقولة إلى ليبيا من بئوتيا .

وكان القورينيون يبجلون نبتون تبجيلا عظيما ولو أنه لم يكن إلها دوريا تماما إذ أن طبيعته أكثر اتساقا مع طبيعة اليونيين. ويحتمل أن تكون عبادته قد جاءت من تانارو إلى ثيرا حيث كان يوجد معبد للمينيين، الأقوياء في البحر. ومن هناك انتقلت بعد ذلك إلى قوريني واحتلت مقام الشرف بين شعبها الذي كان يمارس التجارة وتربية الخيول وانتشرت منهم بين بين الليبيين كذلك. ويبدو أنه من هنا، وقد ذاع صيتها، انتقلت من الليبيين إلى الأغريق. وكان نبتون يلقب لدى القورينيين بألقاب عديدة. ويذكر سينزيوس وجود أحد المعابد لهذا الإله بقورينايا .

وكانت عبادة فنوس هامة في المدن الساحلية ولعلها انتقلت من كيترا إلى ثيرا ومنها إلى قوريني. ويعرفه أن اوريكه وكانت امرأة من قوريني وزوجة لآماسيس كرست بقوريني تمثالا لفينوس تتجه أنظارها إلى خارج المدينة. ومن هذا يبدو أن المعبد الصغير كان أقيم في أحد أطراف المدينة على ما جرى عليه الأغريق في إقامة معابد هذه الآلهة. وربما قد أذاع بيندار شهرة مقام لفينوس خطط على شكل حديقة يانعة وذلك بتسميته حديقة آفروديت. ولعله هذا يرجع على الأسطورة التي تقول أن الآلهة فينوس قد كانت في استقبال آبوللو والعروسة قوريني عندما قدما إلى ليبيا. وكان يوجد معبد لها بجزيرة آفروديزياد على الجنوب الشرقي من ناوستاتموس. وأخيرا يتحدث سكتوس امبيريقوس عن كاهن آفروديت الليبية وسترابون عن معبد لها بجزيرة مستنقع تريتونيا .

وليس هناك شك أن الإله مرقوريوس كان يحتل مكانة سامية لدى القورينيين (وكانوا رجال تجارة) ولدى أهل ثيرا على السواء، رغما على أنه لا يبدو بصفة عامة أن الدوريين قد كرسوا له عبادة خاصة. والواقع أنه لم يعثر

بقوريـنايا على أي أثـر لعبـادة هذا الإله بقوريـنـي سوى رسم عصا الإله إلى جانـب رأس عمـون فـوق حجـر كـريم (ولـو أن هـذه العصـا قـد تنصـرف إلى أنـواع مـن العبادات الخاصة بعمون) .

ووجـدت صـورة فولكـان على بعـض الجـواهـر عثر عليها تحـت أطلال بـنغازي القديمة.

هــوامش الفقرة (77)

(1) تشترك الأساطير الرومانـية والأسـاطير الأغريقـية في الآلهـة فكل إلـه في إحداهـا يقابلـه إلـه في الأخـرى باسـم مخـتلف – أورد فـيما يلـي إسـم الإلـه الـروماني يلـيه مقابلـه الأغريقي:

ديانا – آرتميس : ابنة جوبيتر وأخت آبوللو، تمثل القمر وهي ربة الغايات والصيد.

جوبيتر – زئوس: إبن خرونو – والد الآلهة والشر – بيده قدر البشر. ولكن يعلو عليه القدر فلا قدرة لـه على رده. يعيش على جبل الأوليمب، وعلى شرفه تقام الألعاب الأوليمبية .

باللاس – آثينا : خرجت مسلحة من رأس جوبيتر مؤسسة آثينا وحاميتها. ربة الصناعة والأعمال السليمة والصحة البدنية والروحية ةالذكاء والحكمة والعدل .

نبتون – بوزيدون : رب البحر يسكن قصرا في قاع البحر ويتنقل على مركبة تجرها خيول بحرية. يضرب بعصاته فيهيج البحر ويشير إليه فيهدأ. تقام على شرفه الألعاب الآيستمية ببلاد الأغريق .

فينوس – آفروديت : ابنة جوبيتر وديانا ويقال إنها خرجت من زبد البحر. ربة الجمال والحب. زوجة فولكان .

مركور - هرمس : ابنة جوبيتر ومايا، رب التجارة والفصاحة والسفر، رسول الآلهة، يصاحب الأرواح إلى جهنم، يمثل بجناحين صغيرين في رأسه وآخرين في رجليه وفي يده اليمنى عصا كالصولجان .

فولكان - أفستوس : رب النار، حامي صناعة المعادن، زوجه جوبيتر بفينوس ليعوض عليه قبحه وعرجه، كانت له ألعاب تقام بروما .

- 78 -

سارتورنوس - سيبيل - باكوس - اسكولابيوس - العرائس [1] الديوسكوري - هرقل — آريستئوس - قوريني

يقول ماكروبيوس عن عبادة ساتورنوس بقوريني : " يتتوج القورينيون عندما يضحون له بالتين ويتبادلون الفطائر إذ أنهم يعتبرون ساتورنوس مبدع العسل والفواكه ". ولكني أعتقد أن هذا الكاتب المتأخر زمانه والذي لا نعلم عن مصادره شيئا قد نسب فضلا عن ذلك إلى ساتورنوس الشعائر التي كان يخص بها إما آبوللو أو آريستئوس. ثم إننا نعلم من بيندار بأن قوريني كانت تحتفل بالأعياد التللورية .

وكانت مدينة آرسينو تكرم سيبيل إكراماً كبيراً ويبدو أن أهل هذه المدينة كانوا يطوفون كل سنة أثناء الاحتفال بأعيادها بامرأة من نبلاء المدينة وعلى رأسها تاج على شكل برج. ولعل النقود التي يعتقد أنها من أصل قوريناني والتي تحمل على أحد وجهيها حرف (A) وعلى الوجه الآخر صورة رأس امرأة تزدان بتاج على شكل برج، إنما ترجع إلى هذه السنة التي كان يسير عليها أهل آرسينو.

رغما عن أن عبادة باكوس لا تنسجم مع عادات الدوربيين الصارمة وبالتالي قليلة الذيوع لديهم (باستثناء الشعوب الثرية كأهل قورينث وسيسيون والمستوطنين بإغريقيا الكبرى) فإنها كانت ولا شك شائعة جدا عند أهل ثيرا وبالتالي عند القورينيين هذا الشعب الغني القاطن في منطقة غنية بالكروم. وليست بقايا عبادة هذا الإله بقليلة في أطلال قوريني. وتشاهد بتوكره جدران معبد مكرس له. وكثيرا ما توجد صورة رأس باكوس على النقود القوريناية .

أما الإله اسكولابيوس وهو إله رئيس لدى الشعب الفليجي وانتقل إلى ليبيا

مع المينيين ولا شك، فكان يحظى بالشرف الكبير في بالغرا [2] بقرب قوريني، بل يبدو أن في المعبد المكرس له كانت توجد كذلك مدرسة للطب. ولا شك أن ستيفان بيزانتينوس إنما كان يشير إلى هذا المعبد بكلماته التالية : " باليس مدينة بليبيا بقرب قوريني سميت باسم أحدهم يوجد فيها معبد له ". ومن الواضح أن باليس هذه التي يذكرها ستيفان لا تختلف عن بالغرا التي يذكرها باوزانياس. وفي هذه الحالة يستنتج أن اسكولابيوس كان يعبد لدى القورينيين باسم باليس. ويحتمل أن هذا الاسم قد اشتق من اسم باليس الذي يطلق على عشبة كانوا يعتقدون أنها دواء سحري للدغة الثعبان وبالتالي أطلق اسم الإله على المكان كذلك .

أما أن عبادة العرائس كانت تمارس بقوريني أيضا كما كانت باسبارطه وكريت فواضح من اسم مكان خصب وموحش يقع غربي قوريني في المنطقة التي كانت خاضعة للامبراطورية القرطاجنية أي " تل العرائس " .

وكان الديوستوري إلهين خاصين بالمستوطنين الذين كانوا قدموا من آميكله إلى ثيرا وكان أهل آميكله يعبدونها قديما واتخذهما الدوريون كذلك من بعدهم. وإننا لنستنتج أن أهل ثيرا كانوا يقيمون لهما شعائر، من اسم ديوسقورو وكان يحمله أحد الملاكمين من سكان ثيرا. وفي قوريني بالذات كان " نجما الاسبارطيين " كما يدعوهما خاليمقوس القوريني. كانا يعبدان فوق أي إله آخر ومنذ عهد باتوس المؤسس، كما هو مشهور، وكان معبدهما قائما على الساحة الصخرية. ويذكر ستيفان البيزنطي " قرية الديوسقوري " بليبيا، وأن النجوم التي كثيرا ما تلاحظ صورها على النقود القوريني إلى جانب السلفيوم إنما تشير إلى هذين الإلهين ولا شك. وأن هذا لما يلقي ضوءا على النبذة الشهيرة لباوزانياس التي جاء فيها أن الديوسقوري قد نزلا مرة في بيت اسبارطي اسمه فورميون وذكرا أنهما كانا قورينيين ثم اختفيا مخلفين وراءهما بعضا من السلفيوم .

أما فيما يخص هرقل فسبق لنا أن قلنا إن الأساطير القورينائية ترمز إليه بصفة عامة على أنه من مستوطنة قوريني ومن هذا يستنتج أن هذا البطل الدوري الرئيسي كان معبودا وذا مكانة لدى القورينيين. وكان يوجد معبد له على شاطئ

البحر قرب قرية " باليورو " فيما وراء حدود قوريـنايا الأصلية نحو الشرق. وقد وجدت صورته على كثير من الأحجار الكريمة التي عثر عليها ببنغازي. وقد أطلق اسم هذا الإله على أماكن كثيرة من قوريـنايا كمدينة " هرقلية " التي عثر على كثير من نقودها و " برج هرقل " جنوب بنغازي و " شاطيء هرقل " .

وكان آريستئوس إله التياليين القديم وكان القوريـنيون يفخرون به على أنه ابن آبوللو وقوريني ويحسبه الآخرون أنه آبوللو نفسه وقد سبق لنا أن ذكرنا أن القوريـنيين يعبدونه على أنه مؤسس مدينتهم. كان إله الأغنام والنحل والزيت والنبيذ ويتناقل القوريـنيون أنه كان كذلك المعلم لزراعة السلفيوم وهو من أهم حاصلات المنطقة. وتحدثنا فيما سبق كذلك عن والدته قوريني، التي تبجل على أنها ألاهة .

هوامش الفقرة (78)

(1) ساتورنوس - خروتوس : قتل وألده اورانوس، ولد له من ريئا زوجته أرباب كثيرون وبما أنه كان يعلم أن أحدهم سيطرده من عرشه أكل أولاده كلهم ما عدا جوبيتر الذي أخفته والدته بكريت. ولما كبر جوبيتر أكره والده ساتورنوس على أن يقيء إخوته ثم خلعه عن العشر. وعاش تاتورنوس بقية عمره ملكا على إيطاليا .

سيبيل - ريئا : إبنة أورانوس وجيئا وزوجة ساتورنوس. كانت تقام لها أعيادا سنوية في الربيع .

ناكوس - ديونيزيوس : ابن جوبيتر، رب الكروم والخمور، طاف العالم لنشر عبادته إلى أن وصل إلى الهند وإليها نقل الحضارة الإغريقية .

اسكولابيوس : غله أغريقي إبن أبوللو. رب الطب. وكان في استطاعته بعلمه إحياء الموتى، فقتله جوبيتر بصاعقة. هذا في الأساطير الأغريقية. ولكن في الحقيقة كان طبيبا عاش في إغريقيا واشتهر في روما لما اجتاحها الطاعون في عام 461 ق.م.

غراتسيه – كارتيس : العرائس الثلاث بنات فينوس وربات الفقه والرقة. تمثل عاريات في أجسام جميلة متناسبة ممسكات بأذرعهن بعضهن ببعض .

(2) بالغرا : قرية قديمة ترجع إلى عهد الأغريق مازالت تحتفظ باسمها حتى اليوم تقع على بعد 15 كيلو مترا تقريبا جنوب شرق ماسه في الجبل الأخضر .

- 79 -

الآنتوريد - المعتقدات الليبية والمصرية - عمون

ولكن القورينيين كانوا يعبدون آلهة عديدة أخرى أتوا بها من الخارج فضلا عما أتوا به من بلاد الأغريق وقد ابتعدوا بسلوكهم هذا عن التقاليد الدورية. وقد سبق لنا أن ذكرنا مثلا أن القورينيين كانوا يعتبرون بني آنتنور من أبطال السكان الأصليين. ومما كان ذائعا عن هؤلاء وهم غلاوقوس وآدانتيس وهيبوليتوس أنهم قد ذهبوا إلى آمناس ملك الليبيين وأقاموا معه وأنهم استقروا بعد ذلك على " تل الآنتنوريد " في مكان مشرف بين قوريني والبحر – وتغنى بيندار في شعره بأن الأغريق عندما احتلوا المنطقة وضعوهم في مصاف الأبطال – وليس من الواضح ما إذا كانوا حظوا بهذا الشرف من جانب القورينيين لأنهم كانوا سائقي عربات ماهرين أو لسبب آخر.

ولا عجب في أن تنتشر المعتقدات الليبية بين القورينيين كما سبق القول، بعد أن احتفظ الفينيقيون المستقرون بإفريقيا أيضا ببعض المعتقدات المحلية. وهكذا كان من شأن قرب قوريني من مصر ومن التآلف الذي كان قائما بين الشعبين أن انتقلت المعتقدات المصرية بيسر إلى قوريني. فقبل كل شيء آخر كانت النساء القورينيات من أصل ليبي يمسكن عن أكل لحم البقر جريا على تعاليم الديانتين الليبية والمصرية، في حين لم تكن نساء مدينة برقة يأكلن لا لحم الخنزير ولا لحم البقر جريا على عادة الليبيين المتاخمين. وفي الزمن المتأخر بصفة خاصة يبدو أن القورينيين، إبان خضوعهم لحكم مصر، كانوا يعتنقون الديانة المصرية. فقد وجد على حجر زمرد عثر عليه ببنغازي صورة طير الأنيس.

ويبدو كذلك أنه نتج عن اختلاط الديانتين المصرية والليبية أن تبجل الأموات لدى القورينيين كان أعمق منه في بلاد الأغريق الأخرى. وقد تقدم القول بأن القبور في كافة مدن قوريتايا قد نحتت في الصخور وأن الأموات كانوا يقيمون بين الأحياء. وهذا مما يدفعني إلى التفكير في أن عبارة سينزيوس عن قبور هؤلاء

الناس :" القبور الدورية " مرجعها أصل القورينيين المنحدرين فعلا من الدوريين وأنها يجب أن تفسر بعبارة " القبور الأهلية ". ورغما عن أن كلا من اسبارطة وتارانتو قد جرت على دفن الأموات داخل المدينة فلا شك في الواقع في أن القورينيين قد اقتربوا جدا من عادات المصريين في بناء القبور.

وأخيرا قد نتج عن تعدد العلاقات ولا سيما التجارية منها بين القورينيين ومدينة عمون القريبة أن أحاط أهل قوريني عمون بمظاهر التبجيل الكبرى. ويجوز بذلك القول أن عمون قد دخل بلاد الأغريق عن طريق قوريني. وهذا ما جعل بيندار يقول أن قوريني " حديقة زيئوس " وقد خصص لها مكان في " قواعد زيئوس عمون". ويصف ثيودوروس القوريني عمون لأفلاطون بأنه " ألهنا ". وبشر عمون أوبرتا القوريني الذي فاز بأولمبيا في عام 141 الأوليمبي بهذا الفوز. وكان معبد عمون محاطا بأعمدة صغيرة عليها صور حوت الدلفين كتب عليها " هدية من حكام قوريني ". وكثيرا ما تظهر صورة هذا الإله ذي القرنين على نقود القورينيين والبرقاويين كما ظهرت على عقيق مصنوع بقوريني ومحفوظ بمتحف روسوني. وكذلك ظهر رأس كل من ماغاس على حجر آمتبست وبطليموس آبيون على قطعة من النقود وقد أحيط بقرني عمون. وأخيرا كرس أهل قوريني تمثالا لعمون محمولا على عربة بمعبد دلفي، ويبدو أنه كان من العادات المتبعة إهداء تمثال إله يوحي إلى إله آخر يوحي كذلك .

ومن هذا كله يتضح أنه كانت هناك علاقات أكيدة قائمة بين العمونيين والأغريق ولا حاجة إلى التدليل على أن هذا الإله تبوأ مكانة مجيدة لدى الأغريق قبل رحلة الإسكندر على معبد عمون بزمن طويل. بل إن قوريني، إذا لم أخطيء، حظت بشهرة عالية بسبب أن عبادة عمون انتقلت إلى بلاد الأغريق عن طريقها بالذات. ولا شك أن الأغريق الذين كانوا يقصدون معبد عمون كانوا يمرون في الغالب بقوريني. ويطيب لي أن أفسر أن معبد عمون لم يكتسب الشهرة التي اكتسبها عند الأغريق إلا بسبب عبادة القورينيين لهذا الإله لا بما يقول سترابون من أن المعبد كان في زمن مضى على شاطيء البحر.

أما عبادة أهل تيبه لعمون فإنه يفسر بسهولة بأن الأجيديين الذين كانوا يؤلفون السواد الأعظم من المستوطنين الوافدين على ثيرا ثم على قوريني هم من أصل تبي. وفي تيبة كان يوجد معبد لعمون منذ زمن بيندار بل إن بيندار نفسه أهدى إليه تمثالا. وقد بعث هذا الشاعر الذي ينحدر من أصل أجيدي بنشيد إلى العمونيين كتبه على شرف عمون كان مطلعه دون شك :" ياسيد الأوليمب "، كما جاء في شرح لشعر بيندار. وربما حمله وفد من تيبه قصد واحة عمون وكلفه الشاعر بحمله في عام وفاته .

ولا عجب في أن أهل اسبارطة، الذين كانوا يعتبرون قوريني مستوطنة لهم نظرا لوحدة الأصل معها، كانوا يعبدون عمون ويبجلونه تبجيلا عظيما. ولقد كان له في اسبارطة معبد وأن قصته ليزاندر [1] الذي يبدو أنه عمل على رفع مكانة وشرف عمون بصورة خاصة بين أهل اسبارطة لما يبرهن على مدى صداقة العمونيين والاسبارطيين. فقد سبق أن تبادل والد ليزاندر وملك العمونيين الضيافة. ولكن ليس هناك من لا يعرف أن ليزاندر نفسه – إذا ما صدقنا المتواتر من الحديث – قد فك الحصار عن مدينة آفيتيد وهي مدينة تقع في باللين (وكان سكانها يعبدون عمون بنفس الحماس الديني) بعد أن ظهر له الإله في المنام وأمره بذلك. وقد زادت عبادة عمون باسبارطة قوة على أثر ذلك – ولا حاجة بنا هنا إلى التوسع في الحديث عن رحلته إلى معبد عمون – وقد قام بها على غير طائل – متذرعا بالوفاء بنذر للإله – ولكن يبدو أنه يجب عدم إغفال أن هذه الرحلة قد تمت عن طريق قوريني وأن الذين اتهموا ليزاندر قد أرسلهم سكان عمون إلى اسبارطة .

وكثيراً ما راودت أعيان آثينا أنفسهم بقبول عبادة عمون التي كانت واسعة الانتشار ببلاد الأغريق الأخرى. ومنذ عام 449 ق.م. أرسل كيمون [2] وكان اسطوله مرابطا في الميناء بقرب قبرص وفدا لاستشارة عمون. ويبدو من "الطيور" لآريستوفانيس [3] أن وحي معبد عمون كان ينظر إليه بنفس مكانة الشرف التي كان يحتلها كل من وحي معبد دلفي ومعبد زيئوس الدودوني – وعليه فمن المحتمل أن يكون منذ ذلك الوقت الذي كتبت فيه هذه المسرحية أي في عام 415، أرسلت

آثينا وفدا إلى عمون – ويؤخذ من نقش نشره فورمون وشرحه بوخ أن القادة الآثينيين قد ضحوا في عام 333 لعمون الذي كان يستشار في شئون الحرب بصفته خاصة، كما يبدو. ويذكر هيزيكيوس أعيادا لعمون تحتفل بها آثينا في أوقات معينة. ثم أن السفينة المقدسة ذات طبقات المقاديف الثلاث التي ركب فيها الوفد البحر إلى قوريني ومنها استأنف رحلته إلى معبد عمون والتي ذكر وجود " تامياس " أو إداري فيها كانت تسمى " عمونيا " .

ولكن شعب الألي قد سألوا عمون الوحي أكثر من غيرهم ومنذ القدم. فقد شاهد باوزانياس لديهم معبدا حيث كانت أسئلتهم مسجلة إلى جانب وحي الإله رداً عليها وكذلك أسماء الموفدين لتلقي الوحي. وهنا قد اجتمعت عبادة عمون بعبادة مركور باراعمون وجونو عمونيا. وهذه كانت نفس الآلهة التي تشاطر عمون شرف العبادة لدى العمونيين كما يبدو .

وبصفة عامة يبدو أن الكهنة قد عملوا منذ القدم على الجمع بين زيئوس الأوليمبي وزيئوس عمون. وبهذا يجب تفسير لماذا ينادي بيندار عمون " بسيد الأوليمب ". أما أنه كان هناك اتفاق مثل هذا لتبادل المساعدة بين معبد وحي زيئوس الدودوني ومعبد وحي عمون فيستنتج مما كان شائعاً عن أصل المعبدين، منذ عهد كل من بيندار وهردوت .

هوامش الفقرة (79)

(1) ليزاندر (LYSANDER) : أمير البحرية الاسبارطية منذ عام 407 ق.م. خاض حرب البلوبونيز فحاصر آثينا. وانتصر في معارك بحرية. وفي عام 404 ق.م. كان أقوى رجل في العالم الأغريقي. فأخذ يشيد الامبراطورية الاسبارطية فجعل المدن الخاضعة تحكم بحكم أقلية من عشرة رجال. وكان مدى سنوات كثيرة المحرك للسياسة الاسبارطية إلى أن قتل في حملة على مدينة هليارتوس بمقاطعة بئوتيا .

(2) كيمون (CIMON) : قائد إغريقي عاش في القرن الخامس ق.م. غلب الفرس ودمر أسطول قرطاجنة واستولى على كرسونيز ثم استقر في آثينا فكان أكثر المواطنين

نفوذا. زين آثينا بالأعمال العمرانية. نفي لميله لسبارطة ثم استدعي فاستمر في مقاتلة الفرس إلى أن قتل في حصار قبرص.

(3) آريستوفانيس (ARISTOPHANES) : أشهر الشعراء الهزليين الأغريق ألّف 54 مسرحية وصلت إلينا منها 14. أشهرها " اسحب " تهكم فيها على الفلاسفة السفسطائيين في شخص سقراط و " الضفادع " و " الطيور ".

- 80 -

الزراعة - النحل - الأغنام - صيد السمك

دعنا نطرح ما تقدم جانباً، ونلقي نظرة على الموارد التي كان القورينيون يكرسون لها نشاطهم إذ أنه يهمنا البحث عن مصدر ثروة قوريني وعن الأسباب التي أدت إلى اضطلاع القورينين بالدور الكبير هذا الذي اضطلعوا به بين الأغريق. فكما أن الأغريق قد اعتبروا الزراعة أشرف الأعمال المدرة للربح وأكثرها اتساقا مع النظام الطبيعي، كذلك وجّه القورينيون عنايتهم إلى زراعة الأرض - ولم تذهب جهودهم سدى إذ كان الطبيعة سخية معهم – والواقع أن الجميع متفقون على الثناء على زراعة قورينايا الممتازة السخية بمنتجاتها. ولعل بعض العبارات كافية في هذا المجال إذ سبق لنا أن بحثنا في خصوبة الأرض. ومما يدل على عناية القورينيين بالزراعة ما أظهروه من اجتهاد بالغ في جمع المياه سواء ما كان ينساب من الجبل أو ما كان مصدره جوف الأرض ونقلهم لها عبر المناطق الجرداء. ويدل عليها كذلك ما سنوه من تشريع يفرض ضرورة مكافحة الجراد كل سنة بإبادة بيضه وفقسه وزحافه، تشريع يعاقب المخالف من المواطنين بنفس العقاب الذي كان يعاقب به المتخلف عن الجندية – يقدم لنا يوليوس اوسكونته وأوروزيوس مثلا محزنا عن المخاطر التي كان القورينيون يحاولون مواجهتها. فقد ذكرا أنه في عام 125 ق.م. وفي إبان حكم القنصلين ماركوس بلاوتيوس ايبسيوس وماركوس فولفيوس فلاكوس، جاء الجراد في أرحال كثيرة وبعد أن أتى على الأعشاب وورق الشجر قذفت به الريح إلى البحر فعادت به الأمواج إلى الشاطيء فأدّى ذلك إلى انتشار وباء قتال بين المواشي وكان السبب في موت الآلاف من البشر كذلك. إن هذه الكارثة التي وصفها أووزيوس بأنها كانت فادحة قد انتشرت على حد قوله على طول شاطيء إفريقيا. ونعلم من سينزيوس كذلك ما اجتاحت قورينايا بعد ذلك من أنواع الكوارث الأخرى. ورغما عن أن أقواما آخرين كانوا يسهمون في إبادة الجراد، لم ترتب في أي مكان آخر، إذا لم أخطيء، خدمة سنوية لمكافحة هذه الآفة. ولما أننا نعلم أن الرومان لم يعنوا العناية الكافية برفاهة هذه المنطقة الجميلة،

لا يخامرنا أي شك في أن هذا التشريع يرجع إلى أقدم الأزمنة. أما فيما يخص ما ذكره ارسطاطاليس عن وجود عدد كبير من الجدجد، إذ أن هذه الدابة اعتادت التكاثر في البقاع الجرداء العارية، فإنه قد يتبادر إلى الذهن أن الأرض قليلة الزراعة، ولكن بما أن أرسطاطاليس يضيف أن الجدجد يوجد بقرب المدن فقط لا في الريف، فإننا نستنتج من قوله أن الأراضي القريبة من المدن وحدها لم تكن مزروعة بالقمح. وعليه فلا يخالجنا أي شك في أن السواد الأعظم من القورينيين كانوا يعملون في زراعة الأرض. ويشهد سترابون أن قوريني إنما نمت خصوصا بسبب جودة أرضها ويحتمل أنه يجب البحث في الثروة المتراكمة الناتجة عن الأعمال الزراعية، عن السبب الذي من أجله يوصف الرجل الغني السعيد لدى القورينيين بوصفه " أوبنيوس " أي مترف. وأخيرا يمكن إضافة إلى ما ذكرناه آنفا عن الخصب الزراعي في المنطقة أن سترابون يورد أن الأرض كانت تنتج كثيرا من الشعير كذلك .

كان ربح القورينيين من زراعة الكروم أقل (وسنرى في الواقع أن النبيذ كان سلعة مستوردة) ولكن من المعروف رغما عن ذلك أن بعض النبيذ كان يصنع في قوريني .

ويبدو أن زراعة الزيتون كانت أهم، وهي زراعة ذات بال، نظراً لوجوه استعمال الزيت المتعددة عند الأقدمين – يصلح الزيتون كثيرا في قورينايا ويعطي الكثير من الزيت – ولا يخالج سينزيوس أي شك في تفضيل زيت قورنايا على أي زيت آخر. ويجمع الرحالون المعاصرون على وجود الزيتون بكثرة .

وكان القورينيون يصيبون ربحا ولا شك من النحالة كذلك. وكان عسل قورينايا جيد جدا كما يشهد بذلك سينزيوس رغما عن أنه أقل شأنا من عسل هيمتو[1]. ولم يكن العسل وشمعه فضلا عن ذلك من آخر السلع التي كانت تصدر من قورينايا سواء في القرون الوسطى أو في زمننا هذا – ويتجمع اليوم النحل في أعالي الصخور المشرفة وينتج عسلا شهيا .

سبق لنا أن ذكرنا مدى حرص الأغريق على ترك الحرية لليبيين المجاورين

في الاحتفاظ بمعظم عاداتهم في الحياة. والظاهر أنهم كانوا يراعون في ذلك طبيعة المنطقة التي كانت أقل قابلية للزراعة في كثير من نواحيها وكانت تشمل في الوقت نفسه المروج الجميلة الواسعة. ولذلك كانت تربية المواشي مربحة في قورينايا في ذلك الوقت كما هو الأمر في هذا الزمن – ومن المعروف أنه لم يكن ينقص القوريني‌ين الأبقار ولا الخنازير أو الماعز وأن مواشي الضأن كانت كثيرة بنوع خاص ويظهر ذلك مما ذكره الأقدمون من أن قورينايا كانت " مربية المواشي " و " الغنية بمواشيها ". ولهذا كثيرا ما نجد صورة الكبش على نقود قوريني. والواقع أن في زمننا هذا أيضا تشتهر المنطقة بمواشيها. ويفضل الصوف القوريناني على الأنواع الأخرى من الصوف وما زال يصدر في عصرنا هذا كما كان يصدر في العصور الوسطى عندما كان الجنويون يشترون هذه السلعة الهامة في المنطقة. واشتهرت قورينايا شهرة عظمى بخيلها التي جلبت المجد لأصحابها وللوطن بانتصاراتها العديدة في حلبة السباق، المجد الذي خلده بيندار في أشعاره. ولكننا نسبحث في هذا بعد قليل عند التحدث عن العربات والحرب .

وأخيرا بما أن في بحر قورينايا وجداولها يكثر السمك يجوز لنا التخمين بأن عددا غير قليل من السكان كانوا يعيشون على صيده. ولكن بما أنه من الثابت أن صيد السمك أو أنواع الصيد الأخرى (ولا بد أن حيوانات الصيد كانت وافرة في البلاد) لم تؤد قط إلى إثراء أي قوم من الأقوام فإننا نكتفي بما ذكرنا.

هوامش الفقرة (80)

(1) هيمتو (HYMETTO) : جبل في مقاطعة آتيقا الأغريقية شهير بما ينتج فيه من عسل معروف بجودته منذ القدم، كما يشتهر الجبل بنوع من الرغام لونه أبيض يميل إلى الزرقة كان قدماء الأغريق يستعملونه في مباني العاصمة آثينا القريبة من الجبل.

- 81 -

تجارة القورينيين

يهمنا أكثر الآن النظر في تجارة القورينيين إما لأنه منها نما أو لربما ولد سلطان المدينة وإما لأن جميع المعلومات التي استقاها الأغريق عن حالة أفريقيا الغربية ودواخل البلاد إنما جاءت عن طريق التجارة، في معظمها وفي الزمن القديم على الأقل. ورغما عن القورينيين لم يعنوا بالتجارة حالا منذ نشوء المدينة بل ولم يقتصروا حتى بعد ذلك عليها وحدها، كما سبق أن ذكرنا، فإنهم وجدوا أنفسهم مندفعين طبيعيا إلى تبادل السلع نظرا لجودة منتجاتهم ولموقعهم الملائم غير بعيدين عن عمون وقرطاجنة المدينتين التجاريتين. ولو لم تبتل قوريني بخلافات داخلية وكانت أكثر قربا للبحر لنافست قرطاجنة التي كانت تقتسم معها التجارة مع وسط إفريقيا. ويشاهد المرء في يومنا هذا كذلك في الوادي الفاصل بين ربوتين من مدينة قوريني مساكن عديدة منحوتة في الصخر ومرتبة على شكل حوانيت كان يسكن فيها احتمالا التجار. وعليه يبدو مؤكدا أن التجار هنا كما كان الأمر في جهات أخرى من مدن العالم القديم كانوا يسكنون مفصولين عن غيرهم .

إننا نقسم موضوع تجارة قورينايا إلى قمسين :

تجارة بــريــة

تجارة بحريــة

بيد أنني أخمن أنه من الأولى التحدث قبل ذلك عن منتجات المنطقة ذلك لأن القورنيين لم يثروا إلا ببيع هذه المنتجات إلى جانب السلع الآتية من الدواخل .

- 82 -

منتجات قورينايا : السلفيوم

ولنبدأ السلفيوم أو لازر أهم منتجات قورينايا وأشهرها عند الاقدمين. لا أستطيع تعميق وصف طبيعة هذا النبات سواء لأن الوقت يحثني على مواجهة مواضيع أخرى أو لجهلي لعلم النبات. ولكن ما دمت في سياق عرض تاريخ قوريني القديم، قوريني التي كانت شهيرة جدا بهذا النبات الذي لا ينبت إلا فيها وينبت جيدا، أرى لزاما على أن أتحدث عن استعماله المتعدد لدى الأقدمين وأن أرد رأي من يعتقد أن السلفيوم قد انقرض تماما اليوم .

يذكر الأقدمون كثيرا جدا السلفيوم الذي يسميه الرومان اللازر كنبات ذي فائدة كبرى لا في الطب وحده بل في الطهي أيضا. ولكن المؤلفين يختلفون على اسم هذا النبات وعلى أجزائه. يذكره الأغريق باسم السلفيوم غالبا وكان يقصد بهذا الاسم في بادئ الأمر، كما يبدو، جذوره فقط وكانوا يسمون عصيره سلفيوم أيضا أو العصير. ويحتفظ الكتّاب اللاتين بالاسم الأغريقي سلفيوم أو يسمونه في غالب الأحيان لازر أو لازربيتيوم أو سربه. ويبدو أن اسمه في اللاتينية القديمة لاسيت ويورده فيجتزيوس [1] وهو كاتب زمانه متأخر باسم لازار. وأخيرا يثني سكريبونيوس لارغوس [2] على عصير هذا النبات ويسميه " الدمعة القورينائية ". أما نحن فنقبل تفسير سالمازيوس أي أن هذا النبات معروف باسم سرفي أو سلفي باللغة المحلية وأن من هذا الاسم قد اشتق الاسم اللاتيني سربه وكذلك عبارة " لاك سربيثيوم " (أي عصير السلفيوم) ومن هذه العبارة بدورها جاءت كلمة " لازر " وكلمة " لازربيتيوم " للدلالة على العصير أولا ثم النبات. ولكني أكرر أن ليس هناك وفاق بين الكتاب الأغريق واللاتين على أسماء لشتى أجزاء النبات أي جذوره وساقه وأوراقه وبذرته وعصيره. والواقع أن هذه الأجزاء كانت جميعها مستعملة ولو أن العصير المستخرج من الجذور كان أكثرها استعمالا ويعتبر العنصر المهم من النبات .

ومن هذا كله يتضح مدى اهتمام الأقدمين بالسلفيوم الذي كان يعتبر جديرا بالتقدير لتعدد وجوه استعماله. فهذا النبات كان يصلح علفا للمواشي ودواء لآفاتها في نفس الوقت. وعلى سبيل المثال نقول أن آريانوس يروي استنادا ‘لى قول آريستوبولوس (3) أن بلاد القوقاس مسكونة بكثافة وتكثر فيها المواشي رغما عن أنه لا ينبت فيها عشب سوى السلفيوم – وكانت المواشي تقبل على رعيه بشراهة وما أن تشتم رائحته حتى تجري إلى مصدرها وتحفر عليه وتأكل جذوره – وهذا ما دفع القورينيين إلى ترحيل المواشي من منابت السلفيوم. وجاء في قول ثئوفراستوس أن الضأن تسمن كثيرا على أكل السلفيوم ويصبح لحمها شهيا. ويعلمنا بلينيوس فضلا عن ذلك أن الجباة الرومان قد أتلفوا السلفيوم القوريني بسبب مرعى المواشي. ويوصف السلفيوم كدواء لأمراض الحيوانات كذلك. ويثني كتاب أقدمون آخرون على السلفيوم كدواء لآفات الشجر، كما كانوا يوصون باستعماله كدواء وغذاء للانسان خاصة في طهي السمك. ولكنني أرى مضيعة للوقت التحدث عن أشياء معروفة بما فيه الكفاية، ومع ذلك نود إضافة أنه أثناء مطاردة بسوس (4) لجيش الاسكندر كان السلفيوم مفيد جدا لسد رمق الجنود الذين كان الجوع قد أنهكهم وكان ينبت بكثرة في تلك المنطقة. وهذا يدل على مدى اختلاف وجوه استعماله وكثرتها عند الأقدمين .

لم يقتصر السلفيوم على بعض مناطق معلومة ذلك لأن الأقدمين يذكرون أنه كان ينبت بكثرة على الجبال الفاصلة بين بلاد فارس والهند وفي بلاد ميديا وأرمينيا وسوريا. ولكن من المعروف أنه لم يكن ينبت في سوريا على حد قول ثئوفراستوس وديسقوريدس وإن ما كان يسمى بالسلفيوم السوري إنما كان يستورد من ميديا عن طريق سوريا. ويحتمل أن هذه المناطق الآسيوية لم تكن تنتج السلفيوم الحقيقي الذي اشتهرت به قوريني بل لعله " الماجيداريس " وهو نبات آخر من نفس الفصيلة ولكن أقل مفعولا ولا ينبت بقورينايا. ومهما يكن من أمر فإن الأقدمين يجمعون على أن سلفيوم قورينايا يمتاز عليه بما لا يقاس

وأنه لم يكن يستعمل إلا بديلا عنه في بعض الأحيان وذلك عندما أصبح السلفيوم أكثر ندرة – وعليه فإن عصير سلفيوم قورينايا كان معروفا بأنه الأفضل وكان وحده يسمي (أوبوس) أي العصير.

وعليه فلنتحدث عن السلفيوم القوريناثي الذي يروي عنه القورينيون أنه نبت قبل تأسيس مدينتهم بسبع سنين على أثر هطول مطر لونه كالقطران ويفخرون بأن الآلهة قد وهبت البلد هذا النبات من أجلهم. ولكن لا يعرف في أية ناحية من قورينايا ينبت السلفيوم. يقول هردوت أن منبته يقع في المنطقة بين جزيرة بلاتيا حتى سرت الكبرى. وينضم سيلاكس غليه في ذلك. وتشمل منطقة السلفيوم هذه شريطا مساحته أكثر من أربعة آلاف ستاد يمتد من أوسبيريدس إلى ذلك المكان من ليبيا. بيد أن ثئوفراستوس وبلينيوس يقولان أن منبته في سرت أوسع رقعة وهناك آخرون مثل آريانوس وسترابون وبطليموس يبعد منبت السلفيوم إلى الصحراء على ما يبدو. على أننا نعتقد أننا نقول الصواب إذا قررنا أن السلفيوم ينبت بقورينايا بأسرها ولكن غالبا ما يكون جمعه في الدواخل في المنطقة قبل الصحراء حيث كان السكان يشغلون أنفسهم تجمعه. أما كونه لا ينبت في الصحراء فيتضح من الكلمات التي استعملها سوفوكليس [5] على ما يبدو للاشارة إلى المنطقة الليبية المنتجة للسلفيوم أي " سلفيوم المروج ".

ورغما عن أنه ليس هناك إجماع بين أهل العلم على ما إذا كان ينبت السلفيوم وحده في الخلاء أو أنه يتطلب عناية زراعية. يبدو أن ثتوفراستوس يكاد يبدد كافة شكوكنا في هذا المجال بقوله أن السلفيوم ينبت من البذر الذي يسقط على الأرض وإذا ما زرع فإنه يخرج عن طبيعته. ولعل هذا هو السبب الذي فشلت من أجله محاولات زرعه في البلوبونيز ويونيا. بيد أن القورينيين رغما عن أنهم لم يكونوا يزرعون السلفيوم في حقول معلومة، لم يكونوا يتوانون تماما عن حفظ هذا النبات، ويبدو أن القورينيين رغما عن أنهم لم يكونوا يزرعون السلفيوم في حقول معلومة، لم يكونوا يتوانون تماما عن حفظ هذا النبات، ويبدو هذا من العناية التي كانوا يبذلونها في إبعاد المواشي من الأماكن التي كان ينبت فيها. وقد جاء في نبذه

لبلاوتوس [6] في حوار بين تراكاليونيس وديمونيدس القوريني " إذا أنت تأمل في جمع الكثير من السلفيوم وعصيره في هذه السنة ". وإنما أريد بهذه الكلمات، إذا لم أخطيء، أن المواطنين كانوا يجنون الربح من زراعة السلفيوم. ومثل هذا يقول سينزيوس أن السلفيوم كان يزرع في الحدائق في زمنه. ومن المحقق أنه كان له أو أن معلوم وطريقة معلومة لفصد جذوره حتى لا تتلف وكان ممنوعا بحكم القانون استخراج عصيره بكمية أكثر من الكمية المنصوص عليها. ولا غرابة إذن أن يوجه القورينيون قصارى عنايتهم إلى السلفيوم، ذلك لأن عليه كان يتوقف ثراهم. والواقع أن ثئوفراستوس يصفه بأنه " ميزة لقوريني ". إذ أن قوريني لم تشتهر الشهرة الواسعة إلا به – ويذكره آنتيفانيس [7] بأنه من أبرز الأشياء بقوريني. ويقول كاتولوس أن قوريني صاحبة عصير السلفيوم. كما يقول أوستازيوس عنها أنها " منتجة للسلفيوم ".

أما عن مدى تقدير القورينيين للسلفيوم فإننا نستنتجه من أنه كثيرا ما كانوا ينقشون صورته على نقودهم. ومن المحقق أنه لم يكن أي مواطن قوريني يثمن أكثر من محصول وافر من السلفيوم. وقدم أهل مدينة آمبيليوس ساقا من السلفيوم هدية لآبوللو بدلفي، كما أرسلت ساقا أخرى إلى نيرون هدية خاصة. وكان الأغريق يقدرون السلفيوم لدرجة أن عبارة " سلفيوم باتوس " أصبحت عندهم كناية عن هدية ثمينة جدا. ولا ينبغي أن نغفل عن أن الأغريق بذلوا أقصى جهدهم لنشر هذا النبات عبر البحر ولكن دون جدوى. وكانت قيمة السلفيوم عند الرومان عالية لدرجة أنه كان يساوي وزن الكمية منه فضة. وأثناء الحرب الأهلية أخرج قيصر من خزينة الدولة الكثير من السلفيوم فضلا عن الذهب والفضة ويقال أيضا أن القيصر أغسطس كان يداعب مسيناس [8] بتلقيبه بالسلفيوم الأريتي للدلالة على أنه غال عند شعب اتروريا بلده كما كان السلفيوم غاليا عند الجميع.

ومن كل هذا يتضح مدى الأهمية التي كان يشعر بها أهل قوريني بانفرادهم بملك هذا النبات الذي لم يكن يحتل آخر مكانة بين المنتجات التجارية في ذلك الزمن. ولما كان عصير السلفيوم أثمن جزء فيه فقد وفقوا على إيجاد وسيلة لحفظه

من التلف لمدة طويلة وذلك بخلطه بالدقيق قبل تصديره. وبما أن هذه الطريقة كان تحفظ طبيعته دون تغيير فقد نسب فخر هذا الابتكار إلى آريستئوس الذي كان القورينيون يعتبرونه المبتكر لفنون كثيرة .

ولكن قبل أن نترك هذا الموضوع، يبدو من الضروري البحث فيما إذا كان يوجد السلفيوم اليوم أم لا. يبدو في الواقع أنه لم ينقرض كليا بل أصبح نادرا جدا بعد أن آلت قورينايا إلى الرومان لقلة العناية به. وكان من شأن ذلك أن ظن كتاب ذلك العصر بأنه اختفى تماما. ويبدو أن سبب ندرته يرجع إلى عدم مبالاة الحكام وإهمالهم وأن ذهب الكتاب إلى آراء مختلفة في تقليل ذلك. أما كون السلفيوم اختفى في زمن سترابون بعد أن عمد البربر إلى اقتلاع جذوره أثناء إغاراتهم فأمر يشهد به سترابون نفسه. ويروي سولينوس نفس الشيء على أنه يضيف إلى ذلك أن المزارعين أنفسهم قد اقتلعوه لفداحة الضرائب. ويؤكد بلينيوس ذلك بقوله :" منذ سنوات كثيرة لم يعد اللازر موجودا بقورينايا لأن الجباة الذين كانوا يشرفون على المراعي دأبوا على نهبه لاستعماله علفا للأغنام وكان يجنون من وراء ذلك ربحا أوفر ". كان هؤلاء – آفة قورينايا والولايات الرومانية الأخرى – يفضلون إذن إطعام السلفيوم للمواشي للتخلص من الضرائب الفادحة. ويروي بلينيوس نفسه بأن في زمنه لم يكن يحمل إلى روما أي سلفيوم سوى السلفيوم الذي كان ينبت ببلاد فارس وميديا وآرمينيا. وبناء على هذا القول نافرا في الواقع في عهد بلينيوس كما يبدو واضحا من كلمات سقريبونيوس لارغوس : " اللازر القوريناني إذا وجد " (رغما عن أنه قال بوضوح أنه كان يوجد في زمنه). وعلى كل حال أعتقد أنه لا يمكن القول أنه لم يكن اللازر القوريناني يوجد قطعا في ذلك الزمن إذ أن ديسقوريدس كان يميز بوضوح بين النوعين القوريناني والميدياوي الذي كان يستعمل في ذلك الوقت .

ويبدو من غلينوس [9] أن اللازر القوريناني كان يوجد بكثرة بروما حتى في القرن الثاني للميلاد، ذلك لأنه يتحدث بوضوح عن عصير السلفيوم القوريناني في تركيب ترياق كثيرا ما كان يصفه لمرضاه .

ويشهد آبيشيوس [10] وفجيتزيوس بأن استعمال اللازر القوريناني لم يكن

توقف في زمنهما ولكن ليس في الإمكان استنتاج ما هو مؤكد لاختلاف مفهوم كلمة اللازر القوريـنائي في ذلك الزمن المتأخر عما كـان عليه في الأصل. ولكن شهادة سينزيوس أهم إذ يروي بأنه جمع " الكثير من عصير السلفيوم " وأن هذا النبات الذي يظهر تلقائيا في إحدى المناطق لا يمكن أن يغير طبيعته بسهولة لا سيما إذا أهمله الإنسان كما حدث في قوريـنايا. وأخيرا يضاف إلى هذا أن كلا من لوميرو دللاتشللا رأى حقول برقة يغطيها نبات من فصيلة الخيمية وله كافة مميزات السلفيوم القديم .

ليس من اختصاصنا أن نحدد نوع نبات السلفيوم القوريـنائي لا سيما وأن علماء النبات أنفسهم ليسوا على اتفاق على ذلك. فسبرنقل كذلك في شك بين فيرولا تنجيتانا وثابيا غوميفرا ولو أنه يميل إلى الأخيرة. وليس من قبيل الصدف أن يحذر فيفياني من أنه أمر عجيب ألا تنبت المنطقة التي كانت وطناً للسلفيوم في الماضي هذا النبات اليوم في الوقت الذي لا ينبت فيه نبات فيرولا تنجيتانا في الأراضي القوريـنائية. وقد نسب فيفياني النبات الذي أراه إياه دللاتشللا إلى فصيلة ثابسيا وأطلق عليه اسم ثابسيا سيلفيوم .

هـوامش الفقرة (82)

(1) فلافيوس رناتوس فيجيتزيوس VEGETIUS) RENATUS (FLAVIUS : كاتب لاتيني عاش في القرن الرابع ب.م. في القسطنطينية. كتب " المختصر في الشئون العسكرية ". وهو كتاب هام لمعرفة النظم الداخلية للجيش الروماني في عهد الكاتب والعهود السابقة

(2) سفريبونيوس لارغوس LARGUS) (SCRIBONIUS :

طبيب الإمبراطور قلاوديوس الخاص. وضع في عام 271 ب.م. 271 وصفة طبية .

(3) آريستوبولوس (ARISTOBULUS) :

مؤرخ أغريقي صاحب حملات الاسكندر الأكبر وكتب عنها من حيث الجغرافيا والسكان.

(4) بسوس (BESSUS) :

وإلي من ولاة دارا الفارسي. وقد ثار على دارا في عام 330 ق.م. عندما كان هذا

ينسحب أمام الاسكندر وخلعه ثم قتله. وقع في عام 329 ق.م. أسيرا في يد الاسكندر فقتله الفرس أنفسهم .

(5) سوفوكليس (SOPHOCLIS) :

شاعر مسرحي أغريقي ولد عام 494 ومات عام 406 ق.م. بقيت من أعماله سبع مسرحيات منها آنتيفون، انكلترا، أوديب الملك، أجاكس .

(6) تيتوس ماثيوس بلاوتوس (TITUS MACCIUS (PLAUTUS :

شاعر هزلي لاتيني (254-184 ق.م.) من أعماله المسرحية آنفتريون، الجندي المهرج وغيرها.

(7) آنتيفانس (ANTIPHANES) (408-334 ق.م.)

من أهم كتاب المسرحيات الهزلية - الأغريق – نسبت إليه 365 مسرحية، معروفة بعناوينها اليوم ومن بعض مقطوعاتها التي وصلت إلى زماننا هذا .

(8) مسيناس، غايوس (MAECENAS, GAIUS)

مواطن روماني اريستوقراطي ولد بآريتيوم (آرتسو اليوم) بإيطاليا، بين عام 74 وعام 64 ق.م. كان ثريا وصديقا لقيصر أغسطس. اشتهر برعايته للآداب وقد خص برعايته الشاعرين فرجيل وهوراس. اشترك في الحياة السياسية وقام بمهمات رسمية.

(9) غالينوس، قلاوديوس (GALENUS, CLAUDIUS)

طبيب أغريقي وفق إلى اكتشافات هامة في التشريح وترك بحوثا عديدة .

(10) آبيثيوس، غايوس (APICIUS, GAIUS)

مترف روماني عاش في عهد الامبراطور بتبريوس وإليه تنسب وصفات لمأكولات وحلويات .

- 83 -
منتجات قورينائية أخرى

ولننتقل الآن إلى الحديث عن منتجات زراعية أخرى بقورينايا والتي كانت سلعا تجارية رغما عن أنها لا يمكن أن تقاس قطعا بالسلفيوم، ألا وإنها القمح والزيت والزعفران وعطر الورد ومواد طبية مختلفة والأرز والعسل والخيل والصوف والجلود وريش النعام والنطرون والباراتونيوم. ويبدو أن هذه المنتجات كانت الرئيسة .

ومن المعروف أن الكثير من القمح كان يصدر في كل زمن من أفريقيا وأن بلاد جنوبي أوربا كانت تشتريه في الماضي ومازالت تشتريه في الحاضر. وعليه إذا نحن اعتبرنا الزراعة بقورينايا مجزية فإننا لا نشك في أن القورينيين كانوا يخصصون الكثير من عملهم لزراعة القمح. والواقع أن من بين الأنواع الكثيرة التي كانت ترد إلى البيريوس كان يذكر كذلك " القمح الليبي " الذي كان ولا شك من قورينايا. وعلى كل حال يشهد الديجست التاسع عشر 2-61 أن القمح كان يصدر من قوريني. ولا يمكن القول أن تسلم بطليموس فيسقون عندما كان متوليا الحكم بقوريني لكمية من القمح من أخيه يكذب ذلك، بل على نقيض ذلك، يبدو أن الاتفاق الذي كان تم بين الأخوين كان يهدف إلى توفير القمح لسكان المنطقة المجدبة بين قوريني ومصر التي كانت ضمن ولاية فيسقون. ويضاف إلى هذا أن في عهد أبي الفدا كان الشعير يصدر من طلميطه كما يصدر القمح في زمننا هذا من أوجله ومن بنغازي .

وبما أن الريف القورينائي كان ينتج زيتا وافرا ومن نوع جيد، فإنه يذكر بين السلع التي تصدر من هذه المنطقة .

وهناك سلعة كانت لها أهمية كبرى في التجارة وهي الزعفران الطبي وكانت تنتجه أرض قورينايا الخصبة بكميات وافرة وبأنواع ممتازة. إن هذا النبات لم يكن أصلاً من منتجات المنطقة بل كان ينبت بصورة أفضل في جهات أخرى ولكن

الجميع كانوا يثنون على الزعفران القوريني. ويقول تئوفراستوس في ذلك أنه إذا كان أريج كافة الزهور الآتية من قورينايا زكيا فإن أريج الزعفران كان إلهيا حقا. ويمتدح سينزيوس الزعفران ويضعه في نفس مستوى السلفيوم مع أن هذا كان أنبل نبات بقورينايا – صحيح أن ديوسقوريدس [1] كان يقول أن الزعفران القوريني كان أقل قوة ولكن لعله لم يكن يقصد إلا استعماله الطبي، والواقع يفضل عليه في الطب الزعفران الكوريكي [2]. ولكن بما أن استعمال هذا الزهر كان شائعا جدا لدى الأقدمين فإننا نستنتج بأنه كان من أهم السلع التي كانت تصدر من قوريني. ومن المعروف في الواقع أن الأقدمين كانوا يستعملونه على نطاق واسع في الطعام، وفي العلاج وفي البخور والصباغ – وكذلك كان استعمال مرهم الزعفران شائعا وثمينا لدى الأغريق والرومان.

ولكن قورينايا اشتهرت بالورد أكثر من اشتهارها بالزعفران. والواقع أن المنطقة كانت شهيرة عامة بأريج زهورها ولكن رائحة وردها لم تكن تضارعه رائحة أي ورد في مكان آخر. وكان يستخرج من هذا الورد عطر ممتاز لا سيما في عهد برنيق أبنة ماغاس. ولا نشك في أن هذا العطر كان يصدر في كميات كبيرة نظرا لتعدد استعماله لدى الأقدمين .

وكانت هناك منتجات أخرى ذات طابع طبي بقورينايا ويذكرها الأقدمون بإصرار مما لا يدع مجالا للشك في أنها كانت تصدر. منها الـ"أسفانيوس" وهو نوع من الطحلب الأهدب (أو الأزغب) ذي رائحة وكان يخلط بالعطور وكذلك الخيار وكلاهما دواء وكان ينتج من نوع جيد بقورينايا.

وينبت الأرز وهو شجر نبيل لم يكن يوجد إلا بالأ[illegible] نبتا ممتازا بقورينايا. وكان لخشبه مكانة ممتازة لدى الرومان والأغريق ع[illegible]واء، وكانو يستوردونه كما يبدو من قورينايا لاستعماله في المصنوعات الخشبية الثمينة (وكان الرومان بصفة خاصة يستوردونه في زمن ترفهم من المغرب ويستعملونه في زينة المناضد والأسرة إلى درجة أنه غلا ثمن هذا الخشب حتى أنهم كانوا يعمدون إلى صبغ الأخشاب الأخرى بلون خشب الأرز.

ويجوز لنا تصور جودة العسل القوريناني وتجارته المربحة في ذلك الزمن القديم (عندما كان العسل في قائمة أهم السلع التجارية) من رواج تجارته في العصور الوسطى.

وبما أن عدد البقر وافر جدا في المنطقة وبما أن البقر كان يصدر إلى مصر والشرق الأوسط حتى في العصور الوسطى وإلى مالطا في عصرنا هذا، فلا شك أن القورينيين كانوا يجنون أرباحاً طائلة ببيع مواشيهم في الخارج. وكذلك كانوا يصدرون الخيل إلى بلاد الأغريق، إذا لم أخطيء، في أعداد غير قليلة، مما جعل شهرتها تزداد انتشارا. وأعتقد أن الصوف القوريناني كذلك الممتاز كما سبق القول، كان من بين المنتجات المفضلة التي كانت تصدر في القدم بكميات لعلها لا تقل بل تزيد عما كان يصدر منه في العصور الوسطى وفي زمننا هذا. وبين السلع المصدرة المنتجة بقورينايا يجب ذكر الجلود. ولا عجب في ذلك إذ كان الأفريقيون منذ القدم مشهورين بصناعتها. وكما كان الجنويون في العصور الوسطى يستوردون هذه البضاعة من برقة كذلك تصدر اليوم منها إلى مصر.

من المحتمل أن ريش النعام، الذي كان الأقدمون يستعملونه لتزيين خوذهم، كان مطلوبا جداً ولا يخامرنا إلا قليل من الشك بأن الأغريق، الذين كانوا يتخذونه لذلك كما ذكر منذ عهد ثئوفراستوس، كانوا يستوردونه من قوريني التي كان صيادوها في الصحراء يأتون به. ويدعم ذلك أن الجنويين اعتادوا البحث عن هذه السلعة ببرقة وأنه حتى في يومنا هذا تصدر كمية صغيرة من ريش النعام من بنغازي.

كان الأقدمون يمجدون ملح عمون [3] لنقائه ولم يكونوا يصدرونه إلى مصر لاستعماله في مراسم التضحية فحسب، بل كانوا يقدمونه كذلك في الولائم للملك الفرس ويستخدمونه في إعداد الوصفات الطبية. وكان النوع القوريني جيدا حتى أنه كان يزيف بالملح القبرصي والصقلي.

وأخيرا كان الباراتونيوم، وهو نوع من طين الطفلة يصدر من قوريني ومصر وكريت إلى روما وكان يستعمل في صناعة الصباغة وقد أشاد بلينيوس بالنوع القوريني.

هــوامش الفقرة (83)

(1) ديسقوريدس واسمه بدانيوس PEDANIOS) (DISCORIDES,

طبيب أغريقي معاصر لبلينيوس عمل في جيش الإمبراطور نيرون. وصف حوالي 600 نبات طبي ومنتجات الحيوانات من حيث القيمة الغذائية والطبية.

(2) الزعفران الكوريشي أو الكوريكي : لم نتمكن من العثور على اسم البلد الذي ينسب إليه هذا النوع من الزعفران .

(3) ملح عمون : لا ندري ما هو المقصود من " ملح عمون " فهل كان هذا ملحاً نقياً يوجد بواحة عمون أي واحة سيوه اليوم أم هو ملح الآمونيا .

- 84 -

تجارة القورينيين البرية

بما أننا نعتقد أننا توقفنا عند هذا الموضوع بما فيه الكفاية، ننتقل إلى تجارة القورينيين ونبدأ بالتجارة البرية. من المعلوم أن رينل وخاصة هيرن قد شرح كل منهما طبيعة التجارة الليبية القديمة وتناظرا بطريقة فريدة في التجارة التي كانت تتم في القدم بين أقوام أفريقيا الشمالية مع أقوام دواخلها. وبما أن أخيرهما خاصة قد عرض الكثير من الأشياء التي تخص تجارة القورينيين رغما عن قصر بحثه على العلاقات بين المصريين والقرطاجنيين، فإني أسمح لنفسي بإحالة القارئ إلى مؤلفه الفريد حتى لا أكرر هنا أشياء بحثت على أحسن وجه. إن تجارة هذا الشعب البرية كانت تقتصر على ذلك الجزء من الأراضي التي تقوم على ساحل قوريني ولكن يبدو أن هذه التجارة كانت نشطة جدا. فمن المؤكد أن شعوب أفريقيا الشمالية، عندما كان يسكن هذه المنطقة أقوام أولو بأس ومترفون، كانت ترتبط بعضها ببعض بتبادل تجاري لا يقل عن تبادلها التجاري اليوم.

تقوم أوجله بقورينايا على مسافة ثلاثة عشر يوما إلى الجنوب وهي محطة شهيرة على طريق القوافل الكبيرة عبر الصحراء ومركز هام بالنسبة لتجارة القورينيين. فكما يذهب التجار اليوم من بنغازي إلى أوجله ومنها إلى مرزق عاصمة القرمنت من حيث تتجه القوافل في رحلتها إلى المناطق الجنوبية، كذلك كانت تجارة القورينيين الهامة جدا في زمنها تتم عن طريق هذه المحطة ذائعة الصيت (خط سير التجارة في هذه المناطق تكاد تكون هي هي في كل عصر) ولكن الطريق من أوجله يتفرق إلى فرعين أحدهما يتجه جنوبا بأرض القرمنت والآخر نحو واحة عمون – سنتكلم عن الطريق الأول بادئ ذي بدء – .

لا نكاد نشك في أن التجارة المارة بأوجله ومنطقة القرمنت كانت ذات أهمية قصوى في القدم على الأقل، ذلك لأن بواسطتها كان القورينيون مرتبطين بالقرطاجنيين وأقوام الدواخل. إني أعتقد أن التجار القوريناثيين المتجهين إلى

قرطاجنة لم يكونوا في الواقع يسلكون الطريق المباشر في الزمن الذي لم تكن فيه المنطقة الواقعة بين سرت الكبرى وسرت الصغرى خاضعة للحكم القرطاجني لما كان من الممكن أن يواجهوه من مخاطر في تلك المفازة المقفرة، بل إنهم كانوا يفضلون عليه الطريق الذي اعتاد القرطاجنيون استيراد السلع عبرها من الدواخل. ورغما عن أنه يمكن الاستنتاج مما رواه هردوت عن القرطاجنيين وطرق تجارتهم، أن هذه الطرق كانت مطروقة قبل عهده، فإنه قد يكون من المناسب (في الوقت الذي لا تتوفر إلا القليل من المعلومات عنها) بحث موضوع التجارة بين القورينيين والقرطاجنيين عندما سنتحدث عن الطريق الذي كان يصل بين هذين الشعبين المشهورين بنشاطهم التجاري.

ويعتبر طريق المواصلات القائم بين قوريني والدواخل عبر اوجله وبلاد القرمنت أهم بكثير، ذلك لأن القورينيين والقرطاجنيين على السواء لم يكونوا قادرين على الحصول على السلع إلا عبرها كما يتضح من نوع المشتريات القورينية التي لم يكن من الممكن استيرادها من جهة أخرى. ومن المحتمل في الواقع أن الذهب كان يأتيهم من هناك كما يدل على ذلك وجود عملة مسكوكة منه بكميات وافرة لديهم. وكان القورينيون مشهورين كنقاشين للأحجار الكريمة مما لا يدع مجالا للشك في أن هذه الأحجار كانت تأتي لقوريني ولقرطاجنة على السواء من جبال الدواخل حيث كانت تستخرج بكميات وافرة. ويحتمل أيضا أن العبيد من الأحباش كانوا ينقلون إلى بلاد الأغريق عبر قورينايا وكان الآخرون والرومان يطلبونهم إرضاء لترفهم – وقد يكون الدليل على هذا [1] صورة حبشيين يتصارعان، وجدت على آنية عثر عليها لومير ببنغازي – ليس في استطاعتنا أن نقول متى نشأ هذا التبادل التجاري ولكن يبدو أنه لم يكن قد مر زمن طويل على إنشاء قوريني عندما أخذ القورينيون يمارسونه مدفوعين بدافع موقعهم الجغرافي الملائم. لا شك أن هذه التجارة كانت رائجة في زمن هردوت الذي كان على علم تام بخط سير التجار ولا بد أنها ازدادت بعد ذلك رواجا إلى أن امتدت إمبراطورية القرطاجنيين إلى حدود قورينايا، حتى اشتملت على منطقة سرت التي كان سكانها في معظمهم يكونون جماعة التجارة المباشرة مع الدواخل. ويبدو أنه بسبب الخصومة التي تنشأ

طبيعيا بين شعبين متنافسين على التجارة إنما نشبت تلك الحرب الكبرى بين المدينتين التي سبق لنا أن ذكرناها. ومما لا ريب فيه أن في هذه المناسبة نقصت تجارة القورينيين مع شعوب الدواخل لأن القرطاجنيين قد اضطلعوا بالجزء الأعظم من التبادل. ولسنا نقول إن تجارة القورينيين قد توقفت تماما. والواقع أنه رغما عن أنهم لم يكونوا قادرين على تأليف القوافل برجال خاضعين لحكمهم فقد كان طريق أوجله مفتوحا أمامهم على كل حال.

ولنتكلم عن هذا الطريق بالذات. أنه يوصل بادئ ذي بدء إلى مدينة عمون التي لم تكن شهيرة بعبادة عمون فحسب، بل كانت أيضا، وهي في وسط صحراء ليبيا، محطة للتجار الذين كانوا يحملون السلع إلى مصر سواء من أفريقيا الشمالية أم من الدواخل. سبق فيما تقدم أن تحدثنا عن شتى الروابط التي كانت تجمع بين القورينيين والعمونيين وعن السبب الذي من أجله كثيرا ما كان معبد عمون يعتبر جزءا من قورينايا جغرافيا. فقد أخبر أيتاركوس، ملك العمونيين، القورينيين عن الأشياء التي رواها لنا هردوت بعد ذلك: عن النهر العظيم بقلب افريقيا الذي يجري نحو الشرق. ويحتمل أن بعض المستوطنين القرينائيين قد استقروا بين العمونيين. ومن هناك كان يسير الطريق التجاري عبر الواحة الكبرى نحو طيبة ومن طيبة إلى الحبشة جنوب مصر. والآن إذا عرفنا أنه كان يوجد بالواحة الكبرى مستوطنون من ساموس واعتبرنا أن الصلات التجارية تربط بين هؤلاء والقورينيين، اتضح لنا أنه كان من المحتمل أن يكون بعض القورينيين مقيمين في هذا المركز التجاري. أما كون القورينيين قد اشتركوا اشتراكاً فعالاً في هذا النشاط التجاري في زمن أقدم وبعد عام 500 ق.م. بقليل فإننا نستنتجه على كل حال من أن استعمال المنسوجات المصنوعة من سعف النخيل الحبشي كان قد وصل إلى صقلية وبلاد الأغريق في عهد أبيقارموس[2] ولا يمكن الشك في أن هذه المنسوجات قد استوردت عن طريق قوريني من واحة عمون. ومع هذا بأن مصر السفلى في زمن نشوء قوريني كانت قوية جدا وأن الاسكندرية أصبحت بعد ذلك سوقا لمصر العليا وللحبشة، يبدو أن هذه المبادلات التجارية لم تكن ذات أهمية كبرى إلا من حيث أن السلع كان يتم تبادلها احتمالا عبر واحة عمون بين مصر السفلى والقورينيين حتى زمن متأخر.

هوامش الفقرة (84)

(1) يعلق الأستاذ فري مترجم الكتاب من اللاتينية إلى الإيطالية على هذه النقطة من الفقرة بقوله :" أن هذا الرأي خاطيء أصلا " وأظن أنه يقصد بذلك أن استقدام العبيد الأحباش إلى بلاد الأغريق عبر قوريني لا يتفق مع ما كان يحدث – ويجوز أنه يقصد أن وجود صورة حبشيين يتصارعان على آنية وجدت ببنغازي لا تثبت أن العبيد الأحباش كانوا يستقدمون إلى بلاد الأغريق عبر قورينا.

(2) أبيقاوموس (EPICHARMUS) (528-435 ق.م)

أكبر كاتب مسرحي هزلي في صقلية في العهد الأغريقي. لم تصل إلى هذا الزمن من أعماله إلا بعض المقطوعات .

- 85 -
التجارة المباشرة بين مصر وقرطاجنة

نظرا لتعدد وجوه العلاقات بين قوريني ومصر كان لا بد أن تقوم بينهما صلات تجارية بعد أن فتحت مصر أبوابها نحو الخارج. وعليه منذ عهد آماسيس فصاعدا وفي الزمن الذي حالف فيه القورينيون المصريين ثم بعد ذلك وطول مدة احتفاظ الفرس بالامبراطورية المصرية جنى القورينيون الأرباح ولا شك نتيجة لنقل السلع إلى مصر سواء عبر واحة عمون أو عن طريق باراتونيوم [1] أو البحر، لتفادي رحلة شاقة جدا في البر (ومن هذا نشأت معرفة الأغريق الجيدة للشواطيء التي كان يسكنها المارماريد). بيد أنه يبدو أن هذا التبادل التجاري قد نشط في عهد البطالمة خاصة. ولكن هذه التجارة كانت تدر أقل، إذا لم أخطيء، على القورينيين منها على سكان الاسكندرية التي كانت تصدر من سوقها السلع القورينائية. وفي حين كانت تجارة القورينيين البحرية تتدهور بهذه الصورة، أصبحت الإسكندرية سوقا لكافة منتجات غربي أفريقيا والدواخل – وكانت تنقل من قوريني إلى الإسكندرية البضائع الكمالية كذلك ومنها خاصة السلفيوم وخشب الأرز نظرا لما اشتهر به بلاط البطالمة من عظمة – .

ولا ريب في أن القورينيين والقرطاجنيين قد مارسوا التبادل التجاري على نطاق واسع. وقد أشرنا آنفا إلى الطريق الذي كان يتم التبادل عبره في بادئ الأمر ورغما عن أنه ربما تم عن طريق البحر أيضا فإن الطريق العادي الذي اتبعه التجار فيما بعد كان عبر منطقة سرت. وكانت سوق القرطاجنيين شاراكس آخر مكان مسكون من امبراطوريتهم شرقا وكانوا يبيعون فيها النبيذ الذي كان في استطاعتهم جمعه متنوعا وبكميات كبيرة عن طريق صلاتهم التجارية مع صقلية وأفريقيا الكبرى، رغما عن أن قورينايا أيضا كانت تنتج النبيذ. وكان القرطاجنيون يبتاعون مقابل النبيذ السلفيوم قبل كل شيء آخر وربما صدره القورينيون تهريبا لتفادي دفع الضريبة التي كانت مفروضة على هذه السلعة إذا لم أخطيء. وبعد عام 400 ق.م. بقليل (رغما عن أنه من المشكوك فيه ما إذا كان

التبادل التجاري كان يتم بشاراكس أم لا نظرا لأن أراضي القرطاجنيين لم تكن بعد امتدت في ذلك الوقت حتى هذه النقطة) كانت هذه التجارة رائجة وإنا نستنتج ذلك من كلمات أوبولوس[2] أي " سيلفيوم من قرطاجنة " وإنما أراد بها ولا شك السلفيوم الذي كان يستورد من قورينايا إلى قرطاجنة. وإنه ليمكن استنتاج مدى فداحة الضريبة المفروضة على السلفيوم بقوريني من أن الآثينيين كانوا لا يتوانون عن السفر إلى قرطاجنة لشراء السلفيوم بها، سالكين بذلك طريقا أطول. وفي الزمن المتأخر من المحتمل أن تكون المبادلات التجارية بين قرطاجنة ومصر تتم عبر قرينايا. وعليه أعتقد أن هذه المبادلات التجارية قد زادت نظراً لأن السلع المصدرة من قرطاجنة وخاصة النبيذ كان لها سوق رائجة جدا بالإسكندرية .

هوامش الفقرة (85)

(1) باراتونيوم : مرسى مطروح اليوم .

(2) أوبولوس (EUBULUS) :

شاعر آثيني ومؤلف مسرحي هزلي اشتهر حوالي عام 370 ق.م. تعد له 104 مسرحية كوميدية لم يبق منها إلا 50 مسرحية. كان يتحاشى السياسة في أعماله وأغلب مواضيعه تتعلق بالأساطير الأغريقية .

- 86 -

تجارة القورينيين البحرية

شغل القورينيون بالتجارة عبر البحر كذلك. ولا ريب أنهم قد وجهوا نشاطهم التجاري صوب البحر منذ أيام المدينة الأولى، فقد كانوا مواطنين لمدينة أسسها سكان جزيرة. وفضلا عن ذلك لم يهملوا الملاحة حتى لا يكونوا بمعزل عن باقي الأغريق إذ كان الاتصال بهؤلاء ضروريا بنسبة بعدهم عن الوطن – وقورينايا في وضع مناسب جدا لهذا الاتصال سواء في اتجاه قرطاجنة أو صقلية أو أغريقيا الكبرى أو البلوبونيز أو كريت أو آسيا أو قبرص. ولم يكن ينقصهم الخشب لإنشاء السفن. وكان هناك وفرة من الموانيء الجيدة، بالشاطئ الغربي على الأقل. ورغما عن أن قوريني كانت داخل البر كان لها ميناء جيد حيث كانت تتجمع البضائع الكثيرة، ثم أن مدنا كثيرة تم انشاؤها على الساحل. ولا يفسر عدم تأسيس القورينيين لمستوطنات خارج أراضيهم بأحجامهم عن التجارة، لأنهم لم يعتادوا زيارة إلا المناطق التي كان الأغريق جعلوا فيها مستقرا لهم - وكانت بضائع قوريني وباقي أفريقيا بعضها توسق على سفن قورينية وبعضها الآخر على سفن أجنبية. وبدل توفر النقود القورينية بكثرة على أن تجارة التصدير هذه لم تكن مجرد مقايضة للبضائع مثل تجارة الدواخل – والواقع أنهم كانوا يضربون النقود الذهبية لأنفسهم فكانت هناك قطع ذات الخمسة دراخمات ونصف ستاتر وستاتر وأربعة ستاترات [1] وقد وصلت نماذج كثيرة منها إلينا.

ورب قائل يقول كيف لم يحتل الفينيقيون هذه السواحل قبل وصول الأغريق وكيف لم يترددوا عليها بسفنهم بعد ذلك. والواقع أن الفينيقيين كانوا أهملوا المنطقة لأن الساحل الأفريقي غرب قورينايا كان ملاذا لهم أقرب وأكثر راحة لرحلاتهم إلى إسبانيا - ولكن لم يكن أيضا أقل فائدة للتجارة القورينية – ومن المعلوم كذلك أن الفينيقيين كانوا يعرضون عن المناطق التي يحتلها الأغريق تفاديا للمنافسة وذلك بعد أن بدأت التجارة البحرية .

هذا وينبغي عند التحدث عن تجارة القورينيين البحرية التمييز بين الزمن قبل والزمن بعد إنشاء الاسكندرية لأن هذا الحدث قد غير الوضع غير قليل. ويتعذر تحديد بداية الحركة التجارية. ولكن القرائن تدل على أن القورينيين انصرفوا إلى الملاحة والتجارة بمجرد أن توطدت أركان دولتهم بقليل في عهد باتوس الثاني. كما أخذ الأغريق بدورهم منذ ذلك الزمن فصاعدا يقومون برحلات بحرية إلى قورينايا في فترات متقاربة. وإلى هذا تشير كلمات بيندار ولا شك إذ قال : " عين ضاحكة للأغراب " .

والآن نستعرض أقوام الأغريق الذين كان أهل قوريني يتاجرون معهم. فأول من دخلوا معهم في صلات تجارية كانوا سكان كريت بحكم قربها لقورينايا فإنها لا تبعد عنهم سوى يومين من الملاحة. ثم أن الكثير من مدن الجزيرة ولا سيما غورتين الثرية التي يسكنها المينيون الذين لم ينسوا رابطة وحدة الأصل مع القورينيين. فكان معبد اسكولابيوس بلابينا، وهي مرسى غورثينا، مشيدا على هيئة معبد نفس الإله بقرب قوريني. ووصف فيلوكسينوس وكان مواطنا قورينيا مع أحفاده في أحد النقوش بأنه كان : " مضيف الأغراب بغورثينا " [2]. ولكن القورينيين النشيطين لم يكونوا يقتصرون على التردد على المدن التي أنشأها واحتلها المينيون. ومما يدل على ذلك أن تمثال باتوس الذي كرسه القورينيون لدلفي كان من صنع آنفيون القنوسي وأنه حفظ في نفس المعبد تمثال كريتي وعربة كاروتوس القوريني وكذلك كان يعتقد أن " الجزر البيض " بقرب ساحل كيدونيا إنما سميت على أحد القورينيين وكان اسمه غلاوقوس[3]. وفضلا عن هذا كان القورينيون الذين يغادرون مدينتهم إلى المنفى يلجئون إلى كيدونيا. فلا يبدو أي شك والحالة هذه في أن الكريتيين الذين اشتهروا بالملاحة والقورينيين كانوا يتاجرون بعضهم مع بعض منذ القدم ولو أنه تنقصنا المعلومات المباشرة عن ذلك.

ويحتمل أيضا أن بضائع قورينايا كانت تجد مشترين بين الأغريق في آسيا الصغرى والجزر المجاورة لها، ساموس وخاصة قبرص، ويستخلص من المحاولات التي بذلت لتصدير السلفيوم إلى يونيا [4] أن كمية قليلة منه كانت ترسل إلى تلك

المنطقة. هذا وقد رأينا فيما تقدم أن القورينيين كانوا عقدوا قديما صداقة دائمة مع سكان ساموس ويتأكد أمر وجود تجارة رائجة بين الدولتين بما جاء عن أحدهم وهو ألبيس ساميوس الذي كان وصل إلى أفريقيا عن طريق البحر ومكث فيها مدة طويلة لأسباب تجارية. أما أنه كانت هناك تجارة جارية في عهد أسرة باتوس يتضح من آركيسيلاو الثالث الذي قد لجأ إلى ساموس عندما طرد عن عرشه. ونعلم كذلك أن فرتيمة قد لجأت إلى قبرص وأن آركيسيلاو ذاته نفى بعض من كانوا قاموا بمشاغبات مدينة إلى تلك الجزيرة. وهذا يوحي بأن التبادل التجاري كان قائما مع قبرص .

ولا عجب بعد ذلك في أن يكون الأثينيون قد تاجروا مع قوريني في فترات متقاربة جدا – وأن السلعة التي كانت تصدر إلى آثينا وهي السلفيوم كانت ضرورية جدا للأغريق لدرجة أن حصيلة بيعه كانت تدر على قوريني ثروات طائلة. ولهذا وضع آرميبوس شاعر المسرحيات الهزلية القديمة السلفيوم في قائمة البضائع القورينية الثمينة. وفضلا عن ذلك يحتمل أن ما قاله ثئوفراستوس عن السلفيوم قد بلغ مسامع التجار فأخذوا يجلبون السلعة إلى البيريوس ويبيعونها بعد ذلك بآثينا، ذلك لأنه يبدو من الكثير من نبذ الممثلين الهزليين (إذا طرحنا جانبا جميع ما يمكن استنتاجه من هيبوقراط عندما يتحدث عن القيمة الطبية للسلفيوم الليبي إذا ما كان كتابه أصيلا غير مزيف) أن هذه التجارة ترجع إلى أول العهد الذي امتاز فيه الآثنيون بالنشاط التجاري. وإذا تغاضينا عن أوبولوس وآناكساندريدس اللذين عاشا حوالي عام 370 ق.م. فإن آريستوفانيس، وهو أقدم منهما، كان كثيراً ما يشير إلى استعمال السلفيوم الذي كان شائعا بين الآثينيين في زمنه – ويبدو أن قلئون [5] خاصة كان يصر على ربط المواصلات البحرية مع قورينايا. وقد حدث فعلا أن في تلك الأوقات وجدت كميات كبيرة من السلفيوم في آثينا. ولكن يمكن الاستنتاج من كلمات سوفوكليس ذاته عندما ذكر " مرج من السلفيوم أن هذا النبات كان معروفا بآثينا حتى قبل ذلك العهد " وكانت آثينا تستورد فضلا عن السلفيوم سلعا قورينائية وأفريقية أخرى كالقمح الليبي والجلود .

ولا يساورنا شك في أن الأسواق الأخرى ببلاد الأغريق وفي مقدمتها قورينتوس مارست التجارة مع القورينيين. واعتاد الملاحون الليبيون التوقف بكثيرا وكان سكانها – في الأصل مواطنين اسبارطيين ولكن غير متمتعين بالحقوق السياسية – يحتكرون معظم التجارة مع لاقونيا. وكان سكان البلوبونيز يقدرون قيمة السلفيوم ومما يدل على ذلك المحاولات الفاشلة التي بذلت لاستيراد هذه السلعة إلى هذه المقاطعة ورواية باوزانياس عن ساق السلفيوم الذي تركه الديوسقوري في سكن فورميون .

وأخيراً وجدت تجارة بين القورينيين وأغريقيا الكبرى وصقلية منذ الأزمنة القديمة ويستدل على ذلك بالآتي : ذكر أن فيليبوس الكروتوني وكان رجلا ثريا رافق على متن سفينة ذات ثلاث طبقات من المقاديف مجهزة على حسابه الخاص، دوريكوس مؤسس مستوطنة دورية على نهر الكينيبس ثم غادر وطنه واستقر بقوريني. ولم يطل الزمن حتى أخذ أغريق صقلية في استعمال المنسوجات المصنوعة من سعف النخيل الحبشي. وأنه لما يؤكد وجهة نظرنا ما رواه جامبليخوس عن كليناس التارانتي تلميذ فيثاغوراس من أن كليناس هذا لما علم بأن معلمه بوروس القوريني كان على وشك أن يخسر ثروته ركب البحر إليه بقوريني لإصلاح حالته المالية، هذا إذا كانت الرواية صادقة. وأخيرا يبدو أن القورينيين كانوا يعرفون حق المعرفة الطرق البحرية المؤدية إلى البلوبونيز حتى أنهم قادوا السفن التي أقلت القوات من البلوبونيز إلى صقلية في عام 413 ق.م. هذا وأن استعمال السلفيوم كان شائعا بين الأغريق القاطنين بأغريقيا الكبرى كذلك. والحجة الكبرى على هذا الموضوع قد جائتنا من بلاوتوس إذا كان من المباح الاستشهاد به. فقد ذكر أن كمية وافرة من السلفيوم كانت تستورد من كابوا [6]. بيد أن بوتزولي [6] وهي تقع بقرب كابوا هي التي كانت سوقا لمصر وأفريقيا ولكن في وقت متأخر ويجوز أن هذه الإشارة كما ير بعضهم كانت إضافة من بلاوتوس. ورغما عن هذا فليس من المستبعد أن يكون هذا الخبر راجعا إلى ديفيلوس وقد كانت كابوا في عهده غنية جدا ومترفة. والخلاصة أنه لم يكن هناك ما يحول دون هذه المدينة الثرية من مدن كامبانيا، والتي كانت حوانيت بيع العطور القورينية

الشهيرة تحيط بطريقها الرئيسي، ودون اشتراكها في التجارة القورينية كما كان الأمر بالنسبة لمدن أغريقيا الكبرى الأخرى .

ومن الواضح أن بعد تأسيس الاسكندرية وبعد أن خضع القورينيون لنفس مصير المصريين السياسي قد انحطت تجارتهم البحرية وقد سبق لنا أن ذكرنا ذلك. ولكن رغما عن أن معظم السلع التي كانت تطلب بقورينايا ودواخل أفريقيا أصبحت تصدر من الاسكندرية فلا شك في أن الملاحة من قورنيايا وإليها لم تنقطع قط، كما يتضح من غرضنا. ومن الواضح في الواقع أن البضائع القورينية كانت تستورد إلى روما خاصة منذ عهد بطليموس اورجيتيس الثاني وأن السلفيوم كان يجد هناك سوقا رائجة. أما أن السلفيوم كان بضاعة متداولة بروما مبكرا منذ عهد كاتو فيمكن استخلاصه من كتاب الزراعة المعروف باسمه. ولكن بما أننا لنسا متأكدين من المؤلف له، نعتقد أن هذه السلعة لم تصبح متداولة بين الجميع إلا حين خضعت قوريني للحكم الروماني .

هوامش الفقرة (86)

(1) ستاتر (STATER) :

نقد ذهبي وفضي يساوي الذهبي منه من 20 إلى 28 دراخمة ويساوي الفضي من 2-4 دراخمة.

(2) فيلوكسنوس (FLOXENOS) :

تعني هذه الكلمة وهي نعت " المحب للغريب " أي الكريم باللغة الأغريقية القديمة والحديثة. ويغلب على الظن أنها لم تكن اسم القوريني بل الصفة أو اللقب الذي أطلق عليه لكرمه .

(3) غلاوقوس (GLAUCOS) :

اسم علم معناه اللون الأزرق الفاتح .

(4) يونيا (IONIA) :

اسم يطلق على مجموعة المستوطنات الأغريقية في الشاطئ الشرقي من آسيا الصغرى نسبة إلى اليونيين الذين أول من أسس تلك المستوطنات .

(5) قلئون (CLEON) (422 ق.م.) :

رجل سياسة آثيني من خصوم بريكلين وفي عام 430 ق.م. عندما اجتاح الطاعون آثينا تولى زعامة المعارضة. وفي 427 كان الحاكم في المدينة .

(6) كابوا وبونزولي : مدينتان إيطاليتان قرب نابولي .

- 87 -

إيرادات القورينيين العامة

إننا نجهل تمام الجهل كيف كانت تدار الإيرادات العامة في مدن الأغريق المختلفة، ما عدا في آثينا، وبالتالي نجهل ذلك ذلك بالنسبة لقوريني أيضا. فيمكن تخمين أن المواطنين الأغريق أنفسهم كانوا ملزمين بدفع الرسوم وأن الليبيين الذين كانوا يستغلون المراعي هنا وهناك كانوا مطالبين بدفع الضرائب. ولكي لا نطلق لأنفسنا العنان في التخمين والتصور نرى عرض البيانات الأكيدة القليلة التي تتوفر لدينا. يتضح قبل كل شيء أن الأراضي المخصصة للملوك في قورينايا كانت تسمى " حقولا عامة "، إذا لم أخطيء. وقد انتقلت ملكيتها بعد أن قامت الجمهورية الحرة إلى الدولة ثم عادت إلى الملوك عندما استرجعوا ملكهم وهكذا إلى أن تملكها الشعب الروماني. وفضلا عن ذلك كانت تفرض مكوس على السلع سواء ما كان مصدرا منها أو مستوردا. ولم يكن هناك استثناء لأية بضاعة إذ كان يدفعها حتى التجار الذين كانوا يصدرون السلفيوم .

- 88 -

قوة القورينيين العسكرية

نتحدث الآن بإيجاز عن الدفاع العسكري لدى هؤلاء القوم. لا يبدو محتملا أنه كان في الإمكان جمع جيوش جرارة في منطقة غير واسعة مثل قورينايا. ومن جهة ثانية لم تستخدم الجنود المرتزقة في الأزمنة القديمة أكثر مما كانت تستخدم في المدن الأغريقية الأخرى. والواقع أن الجنود المصريين الذين استنجد بهم لياركوس إذ كان يسيطر على المدينة لم يكونوا سوى قتلة مأجورين لذلك الطاغية العاتي. وعمد كل من آركيسيلاو الثالث والرابع إلى تجنيد رجال من الأغريق لإخماد ثورات داخلية لا للقتال في الخارج. ولم تكن قوريني في الحقيقة في حاجة إلى جيوش برية ضخمة : فقد كانت أراضيها منيعة من الأعداء بحكم الصحراء المحيطة بها. وأخيرا حين انتقلت القيادة بقوريني إلى يد الأجنبي في زمن متأخر، استخدم أوفيللا في حملته ضد القرطاجنيين جيشا من المرتزقة الأغريق. وعليه فإن الجيش القورنائي كان مؤلفا دون شك من المواطنين وربما انضم إليهم الليبيون من رعايا المدينة المباشرين .

أما إذا نحن حاولنا تحديد حجم الجيش الذي كان في الإمكان جمعه فمن الضروري أن نحسب عدد الجنود المسلحين اللازمين لشتى المناسبات. ولكن بما أن معلومات من هذا القبيل لم ترد إلا في النادر، وبما أن من جهة أخرى لم تؤلف مختلف المدن القوريناية دائما دولة واحدة فإن هذه الطريقة تبدو وعرة المسلك. أما فيما يخص الجيش البري فإن الحرب الملائمة التي شنها باتوس الثاني على المصريين تبرهن على أنه كان من الممكن جمع جيش غير صغير، حتى في الزمن القديم، إذا ما لاح خطر، ففي المعركة التي دارت بلوكونيس في عهد آركيسيلاو الثاني سقط في الميدان سبعة آلاف قوريني. ونستخلص النتيجة نفسها من العزم الذي واجه به القورينيون الحرب الطويلة القاسية ضد قرطاجنة. وفي الزمن المتأخر فرض تيمبرونيس على مواطني قوريني تزويده بثلاثمائة حصان مروض لاستعمالها في الحرب. وقاد اوفيللا في حملته ضد القرطاجنيين عشرة آلاف راجل وستمائة

فارس ومائة عربة قتال فضلا عن القوات المساعدة. ولما ثار القورينيون فيما بعد على بطليموس فيسقون انزلوا إلى الميدان ثمانية آلاف راجل وستمائة فارس. ولعل هذا العدد (نظرا لأنهم لم يجمعوا أكثر من ذلك رغما عن أن الخطر كان يحدق بهم) كان أقصى عدد من كان يستطيع حمل السلاح فضلاً عن الحامية المكلفة بالدفاع عن المدينة. لا نعلم كيف كان تنظيم الجيش وتسليحه، ولكن من الواضح أن هؤلاء القوم الأباة لم يهملوا الاستعداد العسكري بل امتاز الكثير منهم فيه، كما يبدو من الدفاع المستميت عن برقة ومن الحيلة التي لجأوا إليها لرد الفرس الذين كانوا حفروا أنفاقا تحت الأسوار.

يمكن تصور أن القورينيين كانوا أقوياء جدا في البحر نظرا لازدهار التجارة البحرية. إننا نمسك عن تكرار ما كان بصفة عامة يساعد على الملاحة لدى هؤلاء القوم ونقتصر على إيراد المتواتر من الحديث القائل أن القورينيين كانوا المخترعين لنوع من السفن القصيرة والسريعة جدا المسماة " لمبي ". ونظرا لأن كل مدينة بحرية أغريقية كان لها قوة تذكر، كانت تنسب إلى نفسها ابتكار نوع معين من السفن، فإن ابتكار القورينيين هذا برهان على مدى النشاط البحري الذي كان القوم يمارسونه. وتقدم آنفا أن فيليبوس الكروتوني جهز سفينة ذات ثلاث طبقات من المقاذيف بقوريني. وقد أسهم القورينيون في عام 413 حين ما اتجه الاسبارطيون إلى صقلية بسفينتين ذات ثلاث طبقات أيضا بملاحيها. وخلاصة القول أنه لا يمكن الشك في أن القورينيين الذين واجهوا حربا طويلة الأجل ضد القرطاجنيين لم يكونوا أقوياء جدا في البحر. ولكننا نجهل الطريقة التي كانوا يجمعون بها الأساطيل وكيف كانت تزود هذه الأساطيل بالقذّافين .

- 89 -

الفن القوريني

لا ريب في أن القورينيين، هؤلاء التجار الماهرين، قد اعتنوا أيضا بالفنون ومعاملها. ولكنهم كانوا يتذوقون الفنون الجميلة فوق كل شيء آخر، بعد أن أثروا من التجارة وخصب الأرض وترفهوا. ولا أدل على ذلك من نقود الذهب والفضة التي اشتهرت بالاتقان وفن الضرب. وقد حفظت المتاحف كمية وافرة منها خاصة ذات القيمة الزهيدة وتوجد كميات أخرى تحت أطلال المدن الخربة. واشتهر القورينيون فوق ذلك بالنقاشة على الأحجار الكريمة. فقد عثر على جواهر غاية في الجمال تحت أطلال بنغازي وقد وصف بكلي حجرا فاخرا من الأمتيست من صنع قوريناني .

ليس في النصوص القديمة ما يشير إلى أنه ازدهر بقوريني فن نحت التماثيل ولكن في ذلك المزدحم من الأعمدة وقبور الرخام والرسوم البارزة المنثورة في خرائب المدينة لا بد أنه يوجد شيء من صنع محلي .

وأما أن القورينيين كانوا يعنون بالرسم فظاهر على القبور المنحوتة في الصخر التي مازالت تحتفظ بأثر الرسوم في ألوان سليمة لم يتطرق إليها الفساد. وعثر فضلا عن هذا ببنغازي على أوان عليها رسوم جيدة الصنع .

وكان القورينيون في غاية المهارة في الفن المعماري ولا أدل على ذلك من الآثار الفخمة للمدينة والتي مازالت ماثلة للعيان (وقد أشرنا إليها كثيرا في بحثنا) ومنها أعمدة يونية وقورينثية ولما يدهش الزائر مجاري المياه والطرق والآبار والمباني والقبور المنحوتة في الصخر. ورغما عن أن معلوماتنا في الموضوع ما زالت محدودة، إلا أن طراز البناء يبدو قريبا من الطراز المصري. وقد يرجع هذا إلى التجارة التي كانت قائمة بين القورينيين من جهة والمصريين والعمونيين من جهة أخرى، وربما يكون كذلك نتيجة لما ورثه القورينيون عن الفن الميني الذي كان له بعض الشبه بالفن المصري. وسنكشف الأمر عندما يتم استطلاع هذه الآثار بعناية.

- 90 -

الرياضة البدنية - العربات

اشتهر القورينيون شهرة عظيمة بولعهم بالألعاب الرياضية وكانت تغذي هذا الولع الألعاب التي جاؤا بها من الوطن الأم المرتبطة بالأعياد البلادية والتللودية والأولمبية. سبق لنا أن رأينا أنهم نقلوا عن أهل مدينة مانتينيا المعارك الفردية ولكنهم كانوا يشتركون بصفة خاصة في الألعال البيتية والايستمية والأولمبية (كان لهم بأوليمبيا دار لكنز) بنفس الحماس الذي كان يخالج سائر الأغريق. ولهذا يدعو بيندار قوريني " ميدنة شهيرة بالألعاب ". وسبق لتليسقراتيس بن كارنياس أن فاز في سباق المسلحين في الألعاب البيتية الثامنة والعشرين في عام 75,3 الأولمبي فدعاه بيندار الذي كتب القصيدة البيتية التاسعة على شرفه " المسلح بترس البرونز". وقد أقيم تمثال بدلفي بعد أن فاز في الدورة البيتية الثلاثين في عام 77,3 الأولمبي بسباق الستاديوم احتفاء بانتصاره وفاز مرارا بهجيرا وميغارا وفي وطنه. ومن ذلك الزمن حتى عام 126 أولمبي قد ذكر مرارا القورينيون الذين فازوا في الألعاب المقدسة وفاز آكوسيلاو في عام 165 أولمبي في ملعب أوليمبيا. وإذا اعتبرنا المباريات المختلفة التي تقدم إليها القورينيون فإن من فاز منهم فضلا عن تليسقراتيس هم : بوليمناستوس في عام 81 أولمبي وأوباتوس في عام 93 وأبوتاس في عام 104 وبوروس في عام 105 و 106 وبوليقليس في عام 108 وأيديوس، وقد لقب بالنيكاتور [1] بعد انتصاره كما يبدو، في عام 826 وأكوسيلاو في عام 165 وكان فوزهم جميعهم بأوليمبيا. وقد فاز هناك أيضا آمسينوس البرقاوي في عام 80 ولكن من غير المحقق الوقت الذي فاز فيه أوريدامنتيس، ذلك الذي ابتلع على ما قيل أسنانه التي كان خصمه في الملاكمة كسرها له، وكذلك الوقت الذي فاز فيه مناسياس في سباق المسلحين.

واشتهر القورينيون كذلك بالخيل والعربات. وكثيرا ما نعت الشعراء قوريني بصفات مقرونة بالخيل: "ذات الخيل الجميلة" و"منتجة فضلى للخيل" و"راعية الخيل" و"أم الخيل المطهمة" ويصف بيندار العروسة قوريني كذلك بأنها "سائقة الخيل" .

هذا ويشيد كل من آنتيفانيس وباوزانياس و سينزيوس بخيل المنطقة. وينسجم هذا مع عبادة بنتون وبما نجده من صور الحصان على النقود القورينية. ولا نعجب إذن مما يعرف تقليديا من أن البرقاويين كانوا تعلموا سياسة الخيل. وأخيراً ما زالت تولد الخيول الجميلة في عهدنا هذه بتلك المنطقة .

ويفهم والحالة هذه كيف أن القورينيين اشتهروا بدرايتهم بقيادة العربات ذات الحصانين والأربعة أحصنة. يدعو بيندار قوريني " مدينة العربات الجميلة " ويقال أن القورينيين كانت لهم الأعنة والعربات عوضا عن المقاذيف. ويتحدث سوفوكليس عن " الليبي سادة العربات " وعن " العربات البرقاوية " ويشيد آنتيفانيس بالعربات القورينية. وفضلا عن ذلك، بما أن بيندار يذكر أن فن العربات من الفنون التي كان يقدرها القورينيون كثيرا، فإن عبارة أيفوروس (2) : " يهتم القورينيون بفن قيادة العربات " وعبارة ماكسيموس بتريوس : " أن العربات دربة القورينيين " تؤيدان الموضوع. والواقع أن استعمال العربات كان أمرا عاديا لدى القورينيين حتى أنهم كانوا يطلقونها حتى داخل أسوار المدينة. ولذلك مازالت ترى آثار هذه العربات عميقة في كافة الميادين والطرق التي كانت بقوريني محفورة في الصخر حول المنطقة السكنية. هذا وكثيرا ما كانت النقود القورينية تحمل صور الخيل والفرسان والعربات ثنائية الجياد والعربات رباعية الجياد ومن جملة الهدايا التي كانت قوريني تهديها إلى معبد دلفي كانت تلاحظ العربات الكثيرة. ولما مر الاسكندر في طريقه إلى معبد عمون أهداه القورينيون خمس عربات رباعية رائعة الشكل. وكان البرقاويون ماهرون جدا في قيادة العربات حتى أنه نشأت عن ذلك أسطورة أن الإله نبتون علمهم فن ترويض الخيل وعلمتهم الآلهة ميزفا فن قيادتها. ومن الشائع أن أنيكيروس القوريني كان يظهر مهارته بقيادة عربته بكثرة في الأكاديميا على نفس أثر عجلاتها في الأرض دائما دون الخروج عنها. وكذلك كان الليبيون المجاورون لا سيما أفراد قبيلة الآسبست مشهورين بقيادة العربات رباعيات الجياد ويعتقد هردوت ذاته أن الأغريق قد تعلموا فن الجمع بين أربعة أحصنة من الليبيين.

كان القورينيون يستخدمون العربات الحربية كثيرا. ويتحدث أنيئا الملقب بتكاتيكوس عن ذلك بإسهاب ويروي كيف أن الجنود، إذا ما حان وقت القتال، كانوا يترجلون من العربات التي كانت تصف جنبا إلى جنب ويخوضون المعركة في أحسن وضع. وهناك من يعتقد أن الجنود كانوا يقاتلون من أعلى عرباتهم على ماذكر كسنوفون [3]. ومهما يكن من أمرهم فإن هذه العربات كان لها قيمتها في الأغراض العسكرية. وقد سبق القول أن آرسام قائد الفرس اشترط عندما استسلمت إليه برقة تزويد مليكه الذي كان يستعد للحرب ضد الأغريق بالعربات وأن ليبيين بعرباتهم كانوا ضمن حملة كسره ضد بلاد الأغريق. وفرض تيمبرون على القورينيين أن يسلموه نصف العربات الحربية التي كانت جاهزة لديهم. وأخيرا قد نقل أو فللا حصة في حملته ضد القرطاجنيين مائة عربة حربية .

ورغما عن هذا كله فإن استخدام العربات كان أكثر شيوعا في الألعاب المقدسة حتى أن النقود الذهبية القورينية كانت تحمل صورة آلهة النصر محمولة على عربة ذات أربعة جياد. ويذكر بين القورينيين الذين فازوا في سباق قيادة العربات، آركيسيلاو الرابع آخر ملوك قوريني وقد مجد بيندار انتصاره (الدورة البيتية 31 = عام 78,3 أوليمبي). وفاز آركيسيلاو الثاني في الدورة الأولمبية الثمانين كما فاز أوباتوس هناك في سباق العربات في الدورة الأولمبية الرابعة بعد المائة أي في نفس السنة التي فاز فيها بقصب السبق في الجري. وفضلا عنهما فاز قراتستينيس ابن الفداء مناسياس وقد كرست له عودة للآلهة أولمبيا، كما فاز أيضا اثنان من أسرة تئوقريستيس : انتصر الجد في الدورة الايستمية وكلاهما بأوليمبيا في سباق الخيل أي بالعربات على ما يبدو. ويروي أن برنيق ابنة ماغاس بعثت بخيل إلى أوليمبيا مع خاليمقوس. ولكن يبدو أن هذا الخطأ قد نتج عن سوء تفسير كلمة " آثلوفوروس " التي وجدت على حجر رشيد. ورغما عن تفسير درومان لها بمعنى أنه قد تم انتصار بأوليمبيا فإن بوخ فسرها بما هو أصح في نظري، أي أنها صفة تعود إلى الشخص الذي كان مكلفاً بتوزيع الجوائز في الألعاب التي أقيمت على شرف برنيق [4].

هذا وليس هناك شك في أن الدخول لمشاهدة المباريات كان عاما لا بالنسبة للبنات فحسب بل أيضا بالنسبة للنساء المتزوجات كما جرت العادة عند الدوريين. ويحتمل فضلا عن ذلك أن الفتيات القورينيات كن يمارسن الألعاب وفقا للعادة الدورية وللعرف الذي كان متبعا لدى قبيلة الأوسي الليبية والذي كان يقضي بأن تقاتل الفتيات مسلحات في العاب الآلهة باللاس. وكانت العروسة قوريني كذلك تصور وهي تمارس الصيد بعيدة عن النعومة والرغد - ويؤيد كل هذا نقش قوريناني يؤخذ منه أن النساء كن يدرن الألعاب بقوريني حتى إبان الحكم الروماني – ويبدو أن بيندار إذ قال أن قوريني " مدينة النساء الجميلات " إنما أراد أن يشير إلى ذلك الجمال الرياضي الخشن الذي اشتهرت به اسبارطه كذلك .

هوامش الفقرة (90)

(1) نيكاتور : أي المنتصر أو الغالب .

(2) أفوروس (EPHORUS) (400-330 ق.م.)

مؤرخ يوناني من يونيا بآسيا الصغرى. كتب التواريخ في 29 جزءا وهو أول تاريخ عام. وقد نشره دموفيلوس وأضاف إليه جزءا أخيرا. وكان أول مؤرخ قسم كتابه إلى أجزاء ووضع مقدمة لكل جزء .

(3) كسينوفون (XENOPHON) (القرن الخامس ق.م.)

مؤرخ أغريقي تلميذ لسقراد. قضى شبابه في دراسة الفلسفة والآداب. صحب قوروس الأصغر الفارسي في حملته على أرشير ولما هزم قوروس قاد عشرة آلاف من المرتزقة الأغريق في انسحابهم عبر آسيا الصغرى قاصيدين بلادهم، وسجل وقائع الانسحاب في كتابه " آنابازي ".

(4) والواقع أن كلمة " آثلوفوروس " تعني حامل الجوائز أي الرجل المكلف بالاهتمام بشئون الجوائز من حفظها إلى توزيعها على الفائزين، إذا جاز هذا التفسير.

- 91 -

طباع القورينيين وحياتهم وعاداتهم

لا يمكن تكوين فكرة عن طبيعة شعب ما وعن سجاياه بمجرد معرفة أعماله ورغماً عن أنه يبدو أننا قلنا الكثير في الموضوع فإنه لا يسعنا إلا أن نضيف بعض الشيء الآخر إليه. من اليقين أنه لا يمكن الشك في أن القورينيين مع احتفاظهم من جهة في كثير أو قليل بالمزايا المنحدرة إليهم من الدوريين، قد ابتعدوا من جهة أخرى عن طبائع أجدادهم، ذلك لأنهم كانوا شعبا انصهرت فيه شعوب أغريقية مختلفة بعيداً عن الوطن وكان يسكن منطقة تدعو فيها الحرارة المرتفعة وخصب الأرض إلى الحياة الناعمة. يضاف إلى ذلك أن القورينيين كانوا على اتصال دائم مع الشعوب غير الأغريقية وخاصة مع المصريين والليبيين، نظرا لتجارتهم. أنهم كانوا مرحين كرماء، وأن تعتريهم ضراوة أثناء الشغب الداخلي، مزاولين الآداب والفنون فوق كل شيء آخر، على ما يمكن استخلاصه من البيانات التاريخية. ولا يمكن أن يقال قياسا على قسوة فرتيمية، وهي ظاهرة فردية، إن طباع قومهم قد تغيرت بحكم اتصالهم بالمصريين والليبيين، على أنه لا يمكن الشك في أن عاداتهم قد انحرفت في بعض نواحيها نتيجة للثروات التي كانت تحيط بهم. والواقع أنهم كانوا في سعة من العيش منذ الأزمنة القديمة والدليل على ذلك أن قمبير رفض هداياهم التي كان يتوقع أن تكون أثمن بكثير نظرا لغناهم. وفي زمن تال فرض تيمبرون على المدينة تعويضا قدره 500 تالنت من الفضة ورغما أنها لم تدفع سوى 60 منها، فإنه يبقى واضحا ماكان المنتصر يقدر الحصول عليه. ومن البديهي أن كل هذا لم يخل دون القورينيين ودون استسلامهم إلى الترف شيئا فشيئا. وكان الترف سرى فيهم منذ أيام حرب البلوبونيز والبرهان على ذلك أن المهرج أوبوليس وقد عاش حوالي عام 88 أولمبي قد روى " بماريكا " أن أغنياءهم كانوا يحملون أختاما ثمن كل منها عشر مينات وحتى إذا بالغ أوبوليس في هذه الأرقام فإن أليانوس [1] يستنتج منها، وله الحق في ذلك، أنهم كانوا يعيشون في ترف بالغ. ولكن يمكن الاستماع إلى شاهد

أكثر أهمية عاش بعد أوبوليس بقرن أي عندما كان القورينيين في أوج عزهم، ونعني به الكسيس [2] الشاعر الكوميدي والمعاصر للاسكندر الأكبر إذ يقول : " والواقع أن هناك بقوريني، إذا دعا أحدهم آخر إلى العشاء يحضر المدعو معه ثمانية عشر شخصا آخر وعشر عربات شحن وخمس عشرة عربة ذات جوادين، ولا بد لك من أن تطعمهم جميعا. وعليه كان من الخير لك ألا تدعو أحدا " .

والواضح من جهة أخرى أنه نشأت عن الولائم الفاخرة ومن النفقات الطائلة الضرورية لتربية الخيول الأصلية، مناسبات كثيرة أخرى والحاجة إلى حياة أفخم – تؤيد هذا كلمات ستراتونيقوس العازف على القيثار – الشهير بلدغاه – الذي أراد أن يعبب على أهل رودس نعومتهم فقال أنهم : " قورينيوت بيض " لأنه لم يكن بينهم وبين القورينيين فرق إلا في لون البشرة. لهذا السبب نفسه رفض أفلاطون، كما نعلم، أن يشرع لهم. ولا عجب بعد هذا أن تجد فلسفة آريسيتيوس أتباعاً بينهم .

هوامش الفقرة (91)

(1) أليانوس واسمه كلاوديوس (AELIANUS, GLAUDIUS) :

كاتب روماني ومدرس للبلاغة عاش في عهد سبتموس سقروس حتى عام 222 - كتب بالأغريقية. أبرز أعماله " عن طبيعة الحيوان " في 17 جزءا ضمنه حكايات طريفة ونبذا عن حياة الحيوان – ثم " قصص مختلفة " في 14 جزءا يحتوي على نبذ عن الإنسان وعادات البشر.

(2) آلكسيس (ALEXIS) :

شاعر كوميدي أغريقي – انتقل في شبابه إلى آثينا وأصبح مواطنا بها – كتب في النصف الأخير من القرن الرابع أو في النصف الأول من القرن الخامس. ويقال أنه عاش حتى بلغ 106 سنوات من العمر، وأنه مات وهو على خشبة المسرح. يقول سويدا عنه أنه كتب 245 مسرحية هزلية تعرف الآن عناوين 130 منها وبعض مقطوعات لا تتجاوز الأسطر.

- 92 -

لغة القورينيين

كان يتفاهم القورينيون باللغة الأغريقية إذ أنهم من أصل أغريقي، وعلى وجه الدقة كانوا يستعملون اللهجة الدورية مثلهم مثل أهل جزيرة ثيرا. والواقع أن بين مختلف الأقوام التي كانت تتألف منهم المستوطنة كان المينيون الدوريون أوفرهم عددا. وكانت النبوءتان اللتان تتصلان بتاريخ القورينيين وأدرجها هردوت بين النبوءات الأخرى في تاريخه (الكتاب الرابع 157 والخامس 159) محررة باللهجة الدورية. وإذا كانت النبوءة الأولى ترجع إلى تقاليد كانت قائمة بين القورينيين فإن الثانية كذلك كانت من نفس الأصل على ما يبدو. فضلا عن ذلك، فقد كتب آريسيتيوس بعض محاوراته باللهجة الدورية واستعمل خالليمقوس نفس اللهجة لما كتب " نشيد ديمترا " و " اغتسالات باللاس " وفي وقت تال كتب سينزيوس كذلك أناشيده باللهجة الدورية. وتدل النقوش والأسماء القورينية، إذا طرحنا الأشياء الأخرى على جانب، على نفس الأمر وكذلك أسماء الأعياد السنوية التي كانت تقام على شرف ديانا (آرتيميزيا).

ومع هذا لا يمكن الشك في أن اللغة القورينية قد اتسعت شيئا فشيئا لعناصر من لغة الليبيين المجاورين لقوريني. فكما كان سكان ما ساليا يستعملون اللغة الكلتية، كما هو معلوم، كذلك ما كان للقورينيين بد من تعلم اللهجات الليبية المحلية. ورغما عن أنه يحتمل أن القورينيين الأوائل لم يكونوا يستعملون هذه اللهجات إلا في النادر وإلا إذا قضت الضرورة، فإن أهل برقة كانوا أكثر اتصالا بالليبيين منذ إنشاء مدينتهم وكانت تجمعهم إليهم وحدة اللغة كذلك على ما يبدو. وعليه ربما ملت إلى أن أشرح على ضوء هذا الافتراض ما ذكره دللاتشيللا من أنه كثيرا ما كان يرى بين أنقاض قوريني نقوشا بلغة مجهولة. ولكن هذا ما سيكشفه فحص هذه الآثار بطريقة أفضل.

- 93 -
الدراسات الأدبية

لا حاجة إلى تكرار ما يتضح مما ذكرناه من أن الأغريق الآخرين لم يتفوقوا على القورينيين إلا في مجالات قليلة. ولا شك في صحة هذا القول فيما يخص ثقافة هذا الشعب. والواقع أن في أوج ازدهار القورينيين قد سادت جميع الظروف الملائمة للنشاط الأدبي والفني، أي الحرية وسعة العيش والاتجار مع أقوام متحضرين جدا، مما كان يساعد بالضرورة على تيسير تداول المعرفة والعلوم، ومستوى من الحياة رفيع ورغبة جامحة في التأنق والحركة والاجتهاد وشحذ الأفكار. وأني مقتنع بأنه لم تشتهر أية مدينة أخرى، ما عدا آثينا، بأسماء لامعة مثل ما اشتهرت بها قوريني. فقد كانت إما غاية في النبل لرجال عباقرة في كل مجال من مجالات النشاط الأدبي وخاصة أن : "قوريني قد أنمجبت لوحدها فلاسفة ونبلاء وعظماء أكثر عددا مما أنجبت آثينا ذاتها" .

أني لا أنكر، يقينا، أن القورينيين كثيرا ما انتفعوا بالأغريق من الوطن الأم كمعلمين وأن أبناءهم الراغبين في طلب المزيد من العلم كثيراً ما كانوا يقصدون آثينا حيث اختارت مقرها آلهات الآداب والعلوم. ولكن الآثنيين والأغريق الآخرين كانوا يرون في قوريني أيضا مقرا لعلوم ما كان لهم أن يحصلوا عليها لو هم بقوا في عقر دارهم. ومن هذا التبادل الثقافي جنى الطوفان أفضل الثمرات. ثم لما أخذت الاسكندرية تزدهر بدراساتها نهل القورينيون من ذلك الينبوع أيضا واشتهر عدد غير قليل منهم بسعة علمهم في تلك المدينة ولم تنقطع صلتهم الروحية بوطنهم. ونبغ منهم علماء مجيدون حتى في وقت متأخر. ولكنني إذا حاولت أن أعرض هنا كل ما يتصل بالأدب القوريني سأبتعد كثيرا حتما عن الغاية التي أتوخاها، رغما عن أنه لا يحسن السكوت عن ذلك في معرض المجالات التي امتاز فيها هذا الشعب. ومن الطبيعي ضرورة التمييز بين الزمن السابق لتأسيس الإسكندرية والزمن اللاحق له ذلك لأنه طرأ تغيير في ظروف الدراسات بعد قيام تلك المدينة .

- 94 -

تقدم الدراسات الأدبية قبل تأسيس الاسكندرية

آريستبوس

بدأ النشاط الأدبي بقوريني بالشعر، كما هو الأمر في كل مكان، وبصورة أخص بالشعر الملحمي. وهذا شيء طبيعي إذا فكرنا في الخرافات الجميلة التي أحاطت بنشوء المدينة (مما يوضح أن عبارة ماكسيموس تيريوس التي جاء فيها أن " الجنس الدوري بدأ في قرض الشعر متأخرا بليبيا " ليس لها أساس من الصحة). والواقع أنه منذ عهد باتوس الثاني (عام 53,3 الأولمبي = 566 ق.م.) كتب أوغامون القوريني "تليغونيا" في جزأين روى فيهما آخر الأحداث التي جرت لعوليس وموته على يد أبنه تيليغون الذي لم يكن يعلم أنه أبوه. وقد يكون كتابه عن قوم التيسبروت الذي أخذه عن موزيوم، جزءا من الملحمة ذاتها وقد روى فيه بإسهاب وصول عوليس إلى تيسبروتيا. ولا نعلم ما إذا كان أعرض القورينيون من هذا الوقت حتى تأسيس الاسكندرية عن الشعر اللهم إلا إذا قدرنا أن باتوس القوريني، ذلك الذي نسب إليه كليمنس آلكسندرينوس كتاب العرافة المنسوب لموبو، قد عاش في هذا العصر. ومما لا ريب فيه أن الموسيقى كانت نامية جدا بقوريني إذ كانت تحتل مكان الشرف ولأنها لها صلة وثيقة جدا بالشعر في بلاد الأغريق.

ومن ضمن أنواع الأدب الأخرى التي اشتهر بها القورينيون منذ القدم نذكر الطب والهندسة. ويشهد هردوت بأنه منذ زمن بوليكراتيس أي حوالي عام 530 ق.م. كان الأطباء القورينيون أمهر الأطباء بعد أطباء كروتون. وهذا لما يتفق مع ما كانوا يكنونه من احترام خاص لأبوللو الطبيب ولاسكولابيوس. أما فيما يخص الهندسة (التي ولد أميرها أراتوستونس فيما بعد بقوريني) فقد كان قورينيا أشهر علمائها في زمنه أي ثئودوروس وكان معاصرا وصديقا لسقراط وقد قدمه أفلاطون لا كأحد كبار علماء مادته فحسب بل أيضا كمجادل قوي الحجة ومتبحر في الآداب، لدرجة أن أفلاطون نفسه لم يأنف، كما قلنا، من السفر إلى قوريني ليأخذ عنه علم الهندسة.

وعليه يعتبر ثئودوروس فيلسوفاً ويجوز القول أن قوريني أصبحت من هذا الزمن فصاعدا مقرا للفلسفة. وأن ما يقوله جامبليخوس من القورينيين برودوس ومناليبوس وآريستا بخلوس وثئودوروس قد اعتمدوا على نظريات فيثاغوراس، فمما يجب استبعاده أو على الأقل عدم المبالغة في الأخذ به. فمن اليقين أن الأساس لمدرسة فلسفية قد وضع بقوريني قبل أن يظهر مؤسس المدرسة القورينية.

ولنأت الآن للفيلسوف آريستبوس الذي لم يمنح لباسا سوى "جلباب واسمال" والذي يليق به " كل لون وكل حال وكل شيء " على حد قول هوراتسيوس. والواقع أنه لا يمكن إغفال آريستيبوس إذ يعرض، على ما يبدو، صورة عن طبيعة القورينيين وشجاياهم. وإننا لنرى فضائلهم ورذائلهم معكوسة في فلسفته. وإذا أهملنا التوسع في عرض ترجمته وفلسفته، فلا أقل من أن نذكر ما هو ضروري لإلقاء الضوء على شخصيته وعلى النقط التي تتلاقى فيها فلسفته مع طبائع القورينيين. فقد ولد في مدينة ثرية جدا وقد وجد نفسه رجلا، بعد عام 400 ق.م. بقليل، في أوج ازدهار المدينة، مزدانا بكافة مواهب الطبيعة والحظ. وكان معتادا منذ نعومة أظفاره على كافة وجوه الحياة الرغدة. فما هو المستغرب بعد كل هذا إذا هو قال أن منتهى الخير في الحياة السعيدة أي في إشباع كافة الرغبات والشهوات في يسر وبصورة ملائمة ؟ إننا لا نعرف أصول الفلسفة القورينية وتطورها بما يمكننا معه من أن نميز ما كان منها آتيا من آريستيبوس مباشرة. ولكنها قد نشأت يقينا من عبقرية القوم المتفتحة، المنغمسة في حياة اللهو. وعليه فإن آريستيبوس ذاته يمكن أن يلتمس لنفسه العذر إذا لم يسلك دائما الطريق المستقيم وإذا انحرف في نواح كثيرة عن قدوة معلمه العظيم، بل يبدو لنا نحن أنه يستحق الاعجاب، إذ أنه وفق، بإرشاد الفلسفة إلى السعادة في الحياة وفقا لنظام فلسفي سام دون ما شطط وفي وقار. فلم يبحث عن المتعة ولكنه لم يبعدها عنه وكان ثابتا في حياته المليئة باللذات المختلفة، في حين أن معاصريه والأحفاد من بعدهم، يعتبرونه في الغالب جديرا بالعار لجهلهم بزمنه وبظروف حياته. ولا يستغرب أن الكثيرين من معاصريه قد اقتربوا منه واقتدوا به في فلسفته. ونظرا للتشابه بين فلسفته وطبائع القورينيين لربما أعطوا لمبادئه، التي كان أشار إليها في إيجاز، شكلا وجسما. ولكن في ابتعادهم

في ذلك عنه بما لا يقل عن ابتعاده هو عن سقراط، قد أودوا بهذا الرجل النقي الحر إلى مواطن الخزي، الخزي الجدير بهم هم وبطبائع قومهم أكثر مما كان جديرا بآريستيبوس. من المؤلم حقا أنه لم يصلنا شيء مما كتبه وإلا لكنا تمكنا على ضوئه ولا شك من الحكم للرجل أو عليه بإنصاف أكثر مما يمكن الحكم على ضوء مؤلفات خصومه. ومن المعلوم أنه قد اكتسب شهرة بين مواطنيه لا عن طريق التعليم مباشرة فحسب بل أيضا بكتبه ذات شتى المواضيع. ولا شك أنه كان ذا مكانة بينهم. إنه كان أول كاتب بين القورينيين عن شئون تستحق التدوين وإننا لنشعر بمرارة فقدان مؤلفاته عن ليبيا لأنها صادرة عن رجل من أهل البلاد وعن أديب أنيق فضلا عن ذلك .

ليس مما يتناسب مع أغراض هذا الكتاب معالجة مبادئ المدرسة القورينية بإسهاب وشتى الحالات التي تعترضها. إن ذلك من اختصاص تاريخ الفلسفة. ولكن يبدو أنه لا يتنافى مع غايتنا عرض أهم التغيرات التي طرأت على تلك الفلسفة بحيث تظهر في إطار مقتضب، لا سيما وأن مركزها كان بقوريني وحدها وكان قورينيين أصلا على ما يبدو جميع من جعلوها شهيرة. وبما أننا لا نعرف عن معظمهم إلا أسماءهم، كما هو ليس في الإمكان تحديد زمنهم، الشيء الذي ليس بذي بال في حقيقة الأمر، سنذكرهم وإن كان البعض منهم قد عاشوا بعد تأسيس الإسكندرية، لاسيما وأن نشاطهم الإسكندري لم ينتج شيئاً مهماً بصورة خاصة .

فمن بين الذين أصغوا لتعاليم آريستيبوس تذكر ابنته آريثة التي قامت بدور المعلم بعد وفاة والدها، على حدّ ما ذكر أتيوبوس الطلميطي وآنيتبارتوس القوريني. ولكن آريستيبوس‌ابن آريثة الملقب بالمترودياكتوس خلف صيتا أكثر ذيوعا وراءه. فقد ترأس المدرسة القورينية بعد وفاة والدته وعمق أسس هذه الفلسفة باجتهاد كثيف حتى أنه يعتبر المؤسس الثاني للمدرسة. ويعلم الجميع أن الفلاسفة الآخرين الذين أخذوا بمبادئ آريستيبوس قالوا تارة باللذة البسيطة معارضين بذلك الفضيلة وسلكوا تارة أخرى الاعتدال في الموضوع. ولا عجب أن تكون حججهم بعد ذلك متداعية دائما. بل إن بعضهم قد بالغ لدرجة الذهاب إلى

أن الناس يستطيعون الاستغناء عن الفضيلة وإخضاعها للمتعة إخضاعا تاما. وحسبنا أن نذكر بين أتباع آريستيبوس الجد والحفيد المتممين الرئيسيين لفلسفتها : ثيودوروس وهجزياس وآنيكريس.

اشتهر ثودوروس الملقب بالملحد تلميذ آريتيبوس الحفيد وفلاسفة كثيرون آخرون في عهد بطليموس لاجي. ونعلم أن ثيودوروس قد انساق إلى إنكار وجود الله متبعا مبدأ وجوب منح بعض القيمة إلى اللذات الموجودة، آخذا بتعاليم آريستيبوس. كان ذائع الصيت لحدة ذكائه وكاتبا قديرا. وكان بطليموس وماغاس يقدرانه كثيرا .

وتتلمذ هيجزياس الملقب بيسيثاناتوس على بارايباتس الذي كان من مستمعي آريستيبوس الحفيد على ما أظن وأبيتيميدس القوريني تلميذ آنيتباتروس. وكان معاصرا لثيودوروس على وجه التقريب. ولما أن أدرك أنه لا يمكن للانسان أن يتمتع بسعادة أبدية بعيدا عن كل ألم خرج بالاعتقاد في أنه يجب كره الحياة الدنيا. وقد شغل بالتعليم المباشر وعن طريق التأليف بالإسكندرية. وكان فصيحا حتى أن بطليموس أصدر مرسوما يحظر عليه، على ما يروى، مناقشة موضوع الموت، ذلك لأن كثيرين من الناس انتحروا بعد أن استمعوا إليه .

ولما بدا لآنيكيرس أن آخر استنتاجات هؤلاء الفلاسفة كانت تصطدم مع مبادىء التفكير السليم اضطر إلى إعادة الفلسفة القورينية إلى شكلها القديم وإلى وضع الفضيلة بقرب الحياة السعيدة. قد استعمل تعاليم بارايباتس ودرس الفلسفة بالاسكندرية في نفس زمن هيجيزياس على ما يبدو. ويجب أن لا يلتبس أمره مع آنيكيرس القوريني الآخر وهو أقدم منه بكثير وقد افتدى أفلاطون وقد تحدثنا عنه فيما تقدم. وكان أخوه نيقوتيليس كذلك مدرسا للحكمة.

ولكن هؤلاء على ما يقول ديوجينيس لائرتسيوس الفوا مدرسة على حدة. وربما لم تدم التعاليم القورينية زمنا طويلا، ذلك لأن الكثيرين لاذوا بمدرسة أبيقوروس وأخذ الرواقيون (وقد انضم إليهم عدد غير قليل من الليبيين) يهيمنون على المدارس الفلسفية الأخرى بشهرتهم .

ولا أدري ما إذا كان أرسطاطاليس القوريني المعاصر لستلبونيس وثئوافراستوس يعتبر في جملة المنحدرين من آريتيبوس. ولكن هذا محتمل نظراً للزمن الذي عاش فيه وللقليل الذي نعرفه من تعاليمه. يبدو أنه كان فيلسوفا شهيراً وإن انتقل بعض أتباع مدرسته إلى مدرسة ستلبونيس. ويتحدث ديوجينيس لائرتسيوس عن كتاب له في صناعة الشعر.

وأخيرا لا نغفل عن فيلسوف قوريني خارج مدرسة آريستيبوس اسمه آبوللوينيوس خرونوس ولا نعلم عنه شيئا سوى أنه كان مدرسا لديودوروس الديالكتي، وقد عاش ديودوروس هذا في عهد بطليموس لاجيء وعليه فإن مدرسة آبوللوينوس خرونوس، الذي استمع لتعاليم أوبوليدس يعتبر معاصراً للإسكندر.

- 95 -

الدراسات بقوريني بعد تأسيس الإسكندرية

نمت الدراسات بقوريني نمواً يدعو على الدهشة على أثر الاتحاد الوثيق مع سكان الإسكندرية. والواقع أنه منذ أن أخذ بلاط البطالمة يحمي الآداب استطاع القورينيون إظهار تفوقهم على السكان المحليين لما اتصفت به عبقريتهم من سمو. ولذلك في الوقت الذي كانوا فيه يستفيدون لم يستطيعوا من جهة أخرى تفادي ما كان سائدا من رذائل عرف بها عهد البطالمة. ولم يكن أحد من القورينيين يستطيع أن يصيب الشهرة إلا إذا كان شاعراً ونحوياً وفيلسوفاً في نفس الوقت، رغما عن أن الذكاء يضعف حتما أمام تعدد العلوم وتشعبها عوضاً عن أن تزداد حدته. وعليه كانت " العبقرية " في عهد البطالمة تكمن في " دراسة الآداب وحب كل علم وكل تاريخ ورواية الأشياء العجيبة الخارقة ". فتحتم على العلماء القورينيين أن يكونوا ذوي ثقافة متعددة الجوانب على هذا النحو.

كان خالليمقوس، القوريني المنحدر من أسرة نبيلة وحفيد القائد خالليمقوس وتلميذ النحوي آرموقراتيس، شاعرا شهيرا ومؤرخا ونحويا. درس في باديء الأمر بالاسكندرية بالزقاق الألوسيني ثم دعاه بطليموس فيلادلفوس، وكان راعيا للعلم، إلى الموزيوم حيث كان يستمع عليه علماء شهيرون – دعوا بالخلليمقيين – وقد ذاع صيته في عهد الملك المذكور وفي عهد خلفه بطليموس أورجيتيس. كان عارفا بعلوم الأقدمين ومتبحرا في علوم عصره. إن مؤلفاته التي فقدت كانت تعني بالتاريخ القديم وبالمسائل النحوية. وذاع صيته بسعة علمه وبتعدد نواحيه نظراً لطبيعة زمنه. وقد ظهر ذلك في مؤلفاته ذات المواضيع المختلفة جدّا التي خلفها بأعداد لا تصدق كما يقال. ولكن قد حال تبحره هذا دونه ودون قرض الشعر في يسر وسليقة. والواقع أننا معجبون بعلمه وفنه ولكننا مضطرون – متبعين في ذلك رأي الأقدمين والمعاصرين – على الحكم بأن العبقرية الشعرية السامية أخطأته وأنه لم يوفق في تفادي عيوب زمنه في هذا المجال. وأنه لمن المؤلم حقا أنه لم يصلنا من تأليفه سوى شعره وهذا في جزء ضئيل كذلك. ولم يصب خالليمقوس الأصغر وكان

إبنا لأخت لخالليمقوس الأكبر سوى شهرة متواضعة كشاعر ملحمي ومؤلف لكتاب عنوانه " حول الجزر ".

وكتب فيلوستفانوس وكان صديقاً لخالليمقوس كتب في أشياء كثيرة ولكن من نوع واحد مما يوحي بأنه ربما كان يسكن بالإسكندرية. وكان يجادل في المواضيع الجغرافية وقد غذت دراسته لهذا العلم الرحلات التي قام بها في أنحاء الأرض. بإيحاء من البطالمة. ولكن لم يقتصر على ذلك بل تعداه على مؤلفات متنوعة ذكرها الأقدمون ومنها مسرحية فكاهية بعنوان " دليوس " على أنه لم يتجنب فيما كتبه في الجغرافيا عيوب زمنه الذي كانت نفوس المتبحرين فيه تتطلع إلى كل ما هو جديد وعجيب.

وفي الزمن نفسه - تقريبا - عاش ايستروس خالليمقيوس. ولربما كان قورينيا رغما عن أن هناك روايات عديدة عن وطنه. كان خادماً ثم تلميذاً لخالليميقوس وجاء معه إلى الإسكندرية. كتب الكثير من الشعر والنثر وفي الجغرافيا وفي تاريخ الأقدمين والنحو.

ولا نعلم عن نيقوثيليس القوريني سوى أنه كان فلكياً عاش في العصر نفسه وأنه كتب كتاباً يعارض فيه قونونس ساميوس .

وألّف ليزانياس النحوي القوريني ومعلم ايراتستوينس شرحاً لبعض الشعراء. ولعله نفس ليزانياس ابن آقريونيس الذي كتب بحثاً عن ديوجينيس السنوبي على ما ذكر ديوجينيس لائرتسيوس. وإذا ما اعتبرنا أن ايراتستونيس أخذ عنه، فلا شك أنه لم ينقصه الذكاء الطبيعي وسعة العلم .

تتلمذ ايراتستونيس فضلا على ليزانياس المذكور وغيره، على خالليمقوس أيضا. وقد ولد بقوريني عام 126 الأولبي أي نحو عام 275 ق.م. وكان شاعراً وفيلسوفاً ومهندساً قديراً. وقد استدعاه بطليموس اورجيتيس إلى الاسكندرية فخلف فيها زينودوتوس في إدارة المكتبة الملكية. وكان عزيزا على البطالمة إذ كانوا ينظرون إليه كرمز لوطنه. ومات هناك عن إحدى وثمانين سنة في عهد بطليموس الخامس. لا أود أن أطيل الحديث أكثر مما يلزم لا سيما أن برنهارد قد كتب عنه

منذ وقت وجيز. ولكن ليسمح لي أن لا أوافقه على رأيه تماما، بأن استعير عباراته التي أثنى بها على هذا العالم الشهير :" أن جميع الرجال العظام الذين أنجبتهم قوريني تركهم ايراتستونيس خلفه بشوط بعيد، وكان من أعظم من أتى بهم إلى الإسكندرية فضل البطالة وحب العلم لما اتصف به من المواهب الروحية التي ينبع منها سمو الرجل العالم وعظمته. والواقع أنه سواء بالنسبة لعمق علمه أم بالنسبة لتبحره الفريد الدقيق الذي تنظمه ملكة عقلية صارمة ومقاييس حكم أم لعبقريته العلمية التي تتجنب الايجاز ونافلة الإسهاب وتبحث عن الحقيقة بصورة مباشرة وتسمو إلى تقييم الجنس البشري تقييما منصفا كريما، لا يمكن القول أن أحدا من الأقدمين ما عدا أرسطو قد بلغ مبلغ ايراتستونيس من انسجام لهذه الفضائل. وليس أدل على ذلك من تلك النبذ التي رغما عما أصابها من ضياع وتبديد قد مدتنا بأخبار مؤلفاته الرياضية والأدبية. ومما يبرهن على ذلك أيضا الاعجاب المتناهي الذي غذاه خصومه أنفسهم بعددهم وكتبهم. ومما هو جدير بالذكر من مؤلفاته كتاب "بنتاثنوس " وقد حفظه لنا سويدا وكذلك كتاب " فيلولوغوس ". وقد اكتسب شهرة ومكانة بمؤلفاته الجغرافية خاصة، مما ظل معه سيد الميدان ما لا يقل عن عشرة قرون ". وألّف فضلا عن ذلك قصائد وكتبا في العلوم الرياضية والفلسفية وفي الآداب عن المسرحيات الهزلية القديمة وتدوين الوقائع. ومع هذا لم يقع ايراتستونيس، أمير المتبحرين الإسكندريين الذي كان يبدو بمفرده وكأنه مكتبة شاملة لجميع العلوم، فيما كان يقع فيه جميع الاسكندريين من عيوب شائعة. ولذلك وعلى ضوء ما قاله فيه برنهارد نشك في نسبة كتاب " كاتاستريزمي " إليه. هذا الكتاب الذي لا يحتوي في رأينا على أية أصالة شعرية .

وعاش لاكيدس بن الإسكندر القوريني في عهد بطليموس اورجيتيس وكان تلميذاً لآركيسيلاو وخليفته في الأكاديميا وإن كان أقل منه علما. ثم تولى رئاسة الأكاديميا الثانية إذا صدقنا ديوجينيس لانرتسيوس وسويدا، وأصاب شهرة كفيلسوف : ولكنه لم يتأثر كما كان الأمر بالنسبة للفلاسفة المولودين بقوريني بصورة عامة، باتجاهات الدراسات الإسكندرية. والواقع أن الفلاسفة القورينيين

كانوا يفضلون الميل إلى آثينا حيث لم تستتر مسحة من المذهب العلمي الآتيكي سواء لدى الأكاديميين أو لدى الرواقيين. ولم يبق ما نقوله عنه سوى أنه رغماً عن أنه كان من المدرسة الأكاديمية لم يتخل قط عن مرحه وبشاشته مما كان متأصلا في طباع القورينيين على ما يبدو.

ويبدو أن بطليموس القوريني قد اشتهر في هذا العصر تقريبا وكان تلميذاً لأوبولس الاسكندري الذي كان من أتباع تعاليم أوفرانورس سلوكيوس وكان هذا بدوره تلميذا لثيمونيس المشكك، تلميذ بيرونيس – وقد بعث بطليموس الحياة في فلسفة التشكك بعد أن انحطت بعد وفاة ثيمونيس – وربما كان معلما لبطليموس في مصر، ذلك لما نعلمه من أن ثيمونيس قد أقام في مصر بعض الوقت وعلم أوفرانورس الفلسفة فيها بينما ولد فيها لأوبولس. وكان لتعاليم بطليموس القوريني في مصر اتباع كثيرون.

وفاق كارنياس (المولود في عام 141,3 الأولمبي ومات في عام 162,4) كلا من لاكيدس وبطليموس القوريني بمراحل وقيل عنه إنه: " جندي العلم المعمر المجد " وقد زاول العلوم الفلسفية بآثينا وكان الثالث في ذلك بعد لاكيدس (الذي كان مدرسا لايفاندروس مربي هجزينوس تلميذ كارنياس) لم يترك مؤلفات له ولكنه كان أنبل الأكاديميين وقد وهب بلاغة جارفة حتى أن طلاب هذا العلم كانوا يرون تعلم فن الكلام منه دون مدرسيهم. وكان حاد الذكاء حتى أنه لم يدافع قط عن قضية دون أن يتمكن من إقناع سامعيه بها ولم يرفض أية قضية دون التمكن من هدمها. وليس هذا المكان للتحدث عن فلسفته فهي معروفة جدا ومشروحة في كتب أخرى، ولكنها لا تتصف بطابع قوريني. ولكن ما يجب ذكره هو شخصيته بين أشهر الشخصيات القورينية.

ويبدو أن جازوينس اليهودي القوريني قد عاش واشتهر حوالي عام 160 ق.م. وعالج في مؤلف من خمسة أجزاء أحوال اليهود من عهد سيلوقوس الرابع إلى عهد أنتيوقوس أوباتور. وقد لخصت هذه الأجزاء في كتاب المكابي الثاني. نعتقد

أنه كان متحيزاً لليهود وأن مقياسه التاريخي لم يكن مستقيما، اللهم إلا إذا كان كل هذا يرجع إلى مؤلف الملخص .

وهنا في استطاعتنا ذكر أسماء شخيات أخرى ولو أنه لا يمكن تحديد الزمن الذي عاشوا فيه سوى أنهم سبقوا عهد المبراطورية الرومانية .

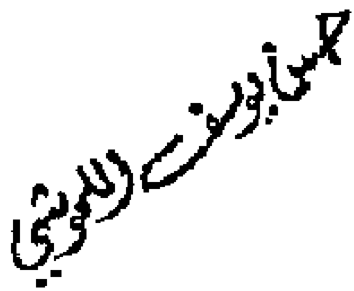
ونبدأ بآبيليس القوريني الجغرافي، المذكور في ملخص آرتيميدوروس أفزيوس وهو دون شك نفس الشخص الذي ذكره آثينيوس على أنه مؤلف كتاب "مدن البلوبونيز" إلى جانب كليمنس آلكسندرينوس مؤلف كتاب " دلفي " ولعله ذو طابع جغرافي – ولا شك أن هذا المؤلف يجب وضعه ضمن اتجاه الدراسات الجغرافية الاسكندرية .

ولا يعرف آبوللودوروس النحو إلا قليلا ولربما عاش في زمن تال. وكثيرا ما يذكر ناتاليس قومس كتبه. ويتضح أنه كان هناك أيضا من يسمى آبوللودوروس الآثيني مؤلف لبحث مشابه " عن الآلهة " في علم النحو والاشتقاق وصلت إلينا منه بعض البنذ – بيد أنه لم يبق أي أثر لآبوللودوروس القوريني سوى ما ذكره ناتاليس. ولكن جاءت النبذة التي نسبها ناتاليس قومس إلى آبوللودوروس (الثالث – 17) بحذافيرها في شرح على ثئقريطوس معزوة إلى آبوللودوروس " عن الآلهة " دون صفة القوريني مما يبدو أنه سميه الآثيني – وعلى أساس ذلك يشك غال في أن آبوللودوروس شخص واحد وهو الآثيني – ويحذو المعاصرون حذوه متهمين ناتاليس قومس بالغش. ولكن بما أن هذا الكاتب الذي لا ينقصه العلم، يذكر الكثيرين من الكتاب المفقودين وكثيرا ما يذكر آبوللودوروس الآثيني على حدة، ربما كتب كل من الآثيني والقوريني كتابا بعنوان " عن الآلهة " وأن بعض ما أخذ عن آبوللودوروس الآثيني جاء في الحقيقة من القوريني سميه الذي يقل عنه شهرة بما لا يقاس .

وكتب دامونيس القوريني كتابا " عن الفلاسفة " ولعله نفس الشخص الذي يذكره بلينيوس بصدد الفرناكي بالحبشة. ولكن يستبعد أن يكون دامونيس نفسه الذي كتب " تاريخ آتيكا " نظرا كذلك لفرق الإملاء باللهجة الأغريقية .

ويجوز كذلك ذكر ديمتريوس القوريني النحوا الملقب بـ " ستامنوس " والذي يمتدحه ديوجنيس لائرتسيوس على أنه رجل جدير بكل احترام. وأخيرا نذكر كتاب بوليانتوس القوريني " عن أسرة آسكليبيا دي " على ما قاله سكتوس أمبيريكوس .

ولا مكان هنا لذكر القوريـنـيين الذين شغلوا بالعلم في عهد الرومان رغماً عن أن بعضهم أصاب شهرة محدودة .

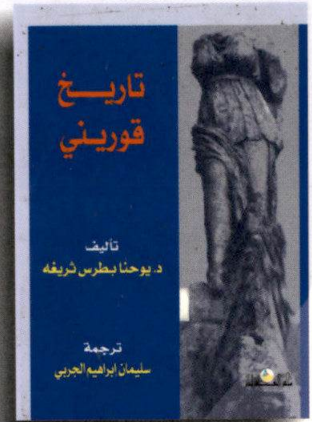


المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة



- يقدم مجلس الثقافة العام للقارىء الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آملاً إسهامًا جادًا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام